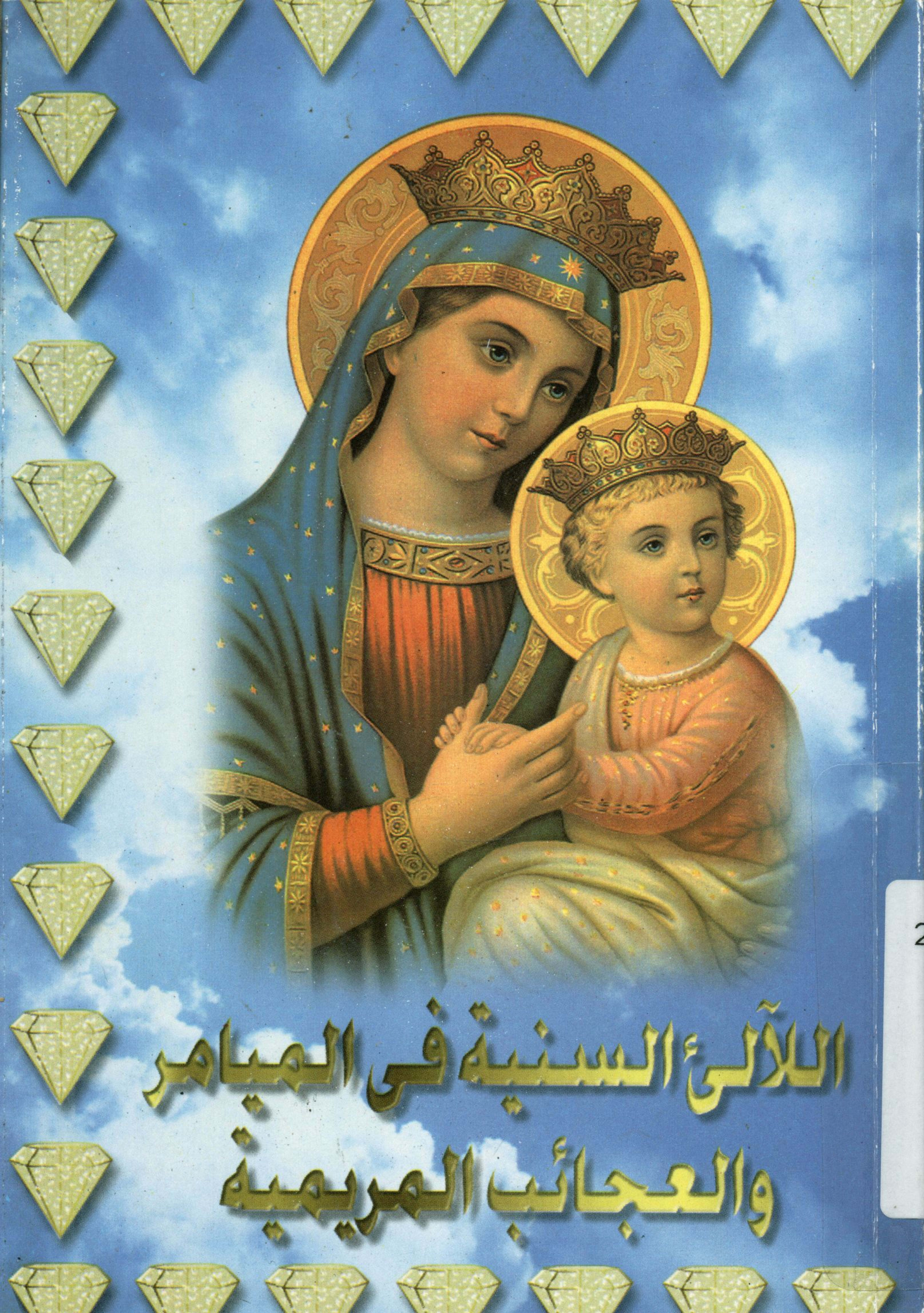
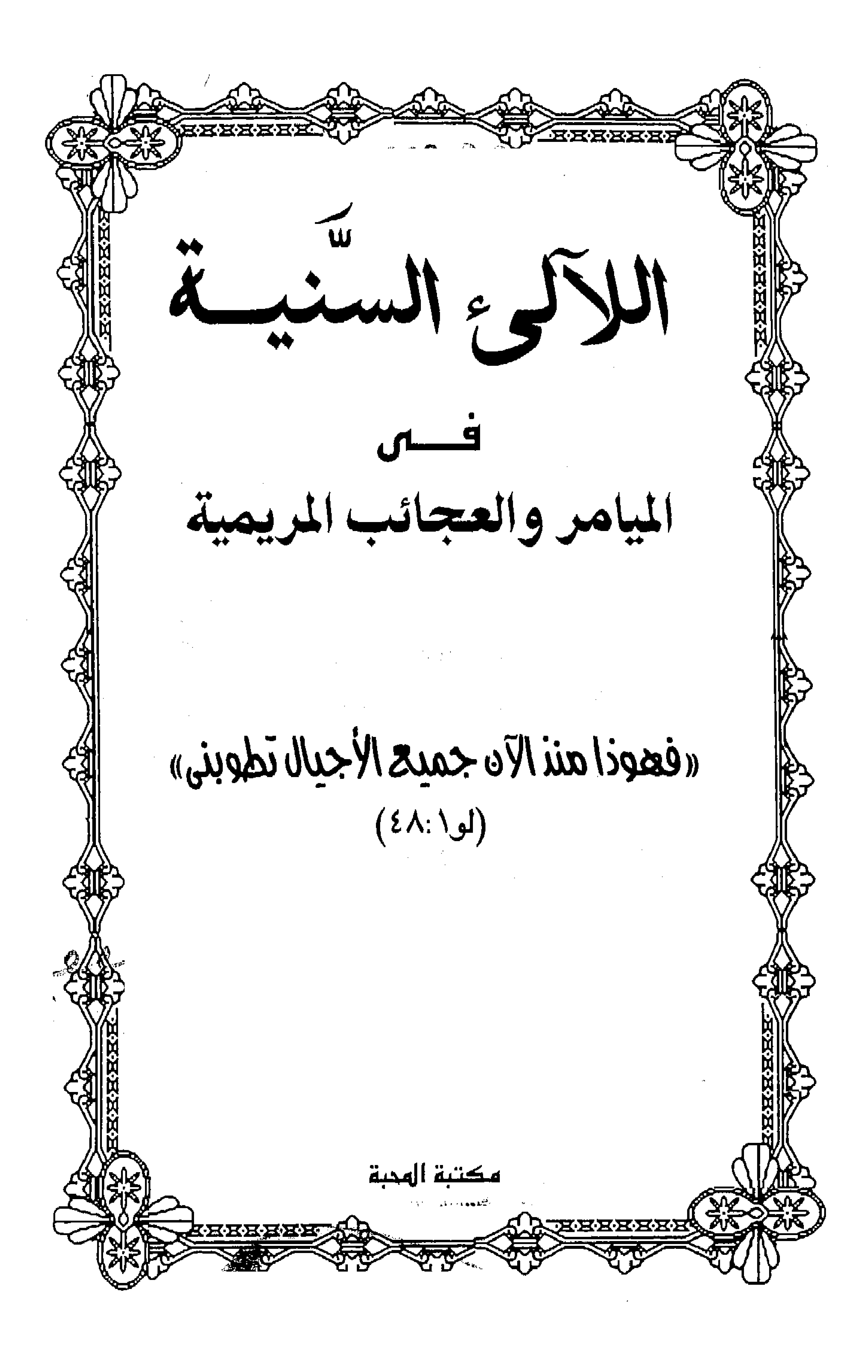

اللآلئ السنية فى الميامر
والعجائب المريمية



اللآلئ السَّنية

فى

الميامر والعجائب المريمية

«فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى»
(لو١ :٤٨)

مكتبة المحبة

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٨/١٠٤٧٦



قداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ملخص

تاريخ السيدة العذراء

كان رجل اسمه متان من سبط يهوذا من بيت داود تزوج بامرأة أولدها غلامين اسم أحدهما يعقوب والآخر يواقيم. ثم توفى متان فتزوجت امرأته رجلا من نسل ناثان أخى سليمان بن داود وكان اسمه متثات بن لاوى، فأولدها ابنا سماه هالى، فصار أخو يعقوب ويواقيم من الأم. وتزوج هالى امرأة ثم توفى ولم يخلف نسلا، فأخذ يعقوب أخوه امرأته فأولدها ابنا وسماه يوسف، وهو الذى سُمى فيما بعد خطيب مريم، وكان ابن يعقوب ودعى ابن هالى بالاسم من أجل قول الله لموسى «إذا مات رجل ولم يخلف ولدا فليأخذ أخوه امرأته ليقيم زرعا لأخيه» (تث ٢٥:٥و٦)، وأول ولد يجىء منه ينسب إلى المتوفى الذى لم يخلف، ولذلك نسب لوقا إلى يوسف أنه يظن به إنه ابن هالى بن متان بن لاوى بن ناثان، وإنما كان يوسف ابن عم مريم، أما يواقيم أخو يعقوب فقد تزوج بامرأة تدعى حنة وهى أخت أليشيع (أليصابات) العاقر امرأة زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان، ومكثا بعد زواجهما ٣١ سنة ولم يرزقا نسلا، وكانا بارين يتقيان الله ويحفظان وصاياه. وكانا يكثران من الصلاة والدعاء وتقديم القرابين والنذور ويواظبان على العبادة بكل اعتناء ويقومان بإتمام الفرائض طالبين إلى الله أن ينزع عارهما ويهبهما نسلا تقر به أعينهما، وقد عاهدا الرب أنه إذا أعطاهما زرعا ولدا كان أو بنتا يقدمانه قربانا للرب خادما ومقيما فى هيكله تعالى.

فكانا بذلك يشخصان العالم الفاسد الذى قرب من الاضمحلال، ويقتنيان بلسان حاله أصلا يثمر أثمارا كل من جنى منها يحيا ويتجدد من فساده الأبدى، ويستمد معينا مفيضا مياه حية كل من ارتشف منها تنتعش قواه. فاستجاب الله لهما دعاءهما وذكرهما مع البشر أجمع بالرحمة، وسر بأن يكون منهما الأصل الطاهر والزرع النقى والذرية المقدسة التى تصير علة الحياة ومصدر الخلاص.

وظهر ملاك الرب للقديسة حنة وبشرها بأنها ستلد زرعا يشيع اسمه فى جميع الأرض سلاما وخلاصا ورحمة وبركة.

ثم حبلت من ثم حنة وولدت بنتا دعيت «مريم» وأوقفت نذرا لخدمة بيت الرب. ولما أكملت من العمر ثلاث سنوات، قدمها أبواها إلى الهيكل إتماما لنذرهما، وفى السنة السادسة من عمرها توفى أبوها، وبعد ذلك بسنتين توفيت أمها أيضا.

ولما بلغت من العمر اثنتى عشرة سنة، تشاور الكهنة وفى مقدمتهم زكريا فيما بينهم عما يكون من أمرها، فقر رأيهم على خطوبتها ليوسف البار بأمر ملاك الرب الذى أمر زكريا قائلا اجمع شيوخ وشبان يهوذا وخذ عصيهم واكتب على كل منها اسم صاحبها والتى تظهر منها علامة يكون صاحبها هو المختار لمريم. ففعل زكريا كما أمره الملاك وعند تسليم العصى لأربابها، ظهرت من عصا يوسف حمامة واستقرت على رأسه. فسلم زكريا مريم إلى يوسف قائلا له خذها واحفظها عندك لتكون لك امرأة. فرضخ يوسف للأمر وسجد قدام الكهنة فأخذ زكريا الكاهن بيمين مريم الطاهرة ووضعها فى يمين يوسف وقال له يا يوسف انظر إنك من بيت الرب المقدس

أخذت هذه الابنة، والله تعالى هو الشاهد عليك فيما تفعله معها في أمرها، وصلى عليه حسب الناموس وباركهما، ومن تلك الساعة أخذها يوسف إلى بيته.

وفى الشهر السادس، أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى العذراء مريم المخطوبة ليوسف، فلما دخل إليها الملاك حياها قائلا السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.

فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك.

فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت مسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات. فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها. وامتلأت أليصابات من الروح القدس. وصرخت بصوت عظيم وقالت: مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي

إليَّ. هوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى. فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب.

فقالت مريم تعظم نفسى الرب. وتبتهج روحى بالله مخلصى. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى. لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس. ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة. كما كلم آباءنا. لإبرهيم ونسله إلى الأبد. فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها فى مدينة الناصرة.

وبعد عودتها ظهرت عليها علامات الحبل. فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا. ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس. وستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويُدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته.

وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بالاكتتاب، فذهب كل واحد إلى مدينته، وصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم

لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل.

وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما. فقال لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموى مسبحين الله وقائلين: المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة، ثم جاء الرعاة مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا فى المذود، وبعد ذلك رجعوا وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم.

ثم جاء مجوس من المشرق يتقدمهم النجم لما رأوا الصبى مع مريم أمه خروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا.

وبعدما انصرفوا ظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم وقال له قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه. فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلى مصر وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى. ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف فى مصر ثانية وقال له قم وخذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى.

ثم استوطنت العائلة المقدسة فى مدينة الناصرة.

وقد استمرت السيدة العذراء حتى وفاة يوسف النجار، وعند صلب السيد المسيح سلمها إلى تلميذه المحبوب يوحنا الذى كان يجلها ويحترمها ويعزها، فأقامت فى بيته حتى تنيحت بسلام يوم الثلاثاء ٢١ طوبه سنة ٥٤٥ للخليقة بعد أن عاشت على الأرض ٥٨ سنة و٨ شهور و٢٠ يوما.

أما الأعياد الخاصة بالسيدة العذراء، وتحتفل الكنيسة بتذكارها سنويا فهى:

(١) ميلادها فى أول شهر بشنس.

(٢) دخولها الهيكل فى ٣ كيهك.

(٣) نياحتها فى ٢١ طوبه.

(٤) فتح قبرها فى ١٦ مسرى والتحقق من صعود جسدها الطاهر فى نهاية الصوم المسمى باسمها ومدته ١٥ يوما.



الميمر الأول

ميلاد السيدة العذراء[١]

«يقرأ فى اليوم من شهر بشنس»

المجد لله الذى لم تدرك كيفيته العقول البشرية. ولم تحده الأوهام الفكرية. ولم تنته إلى الإحاطة بحقيقته قدرة إنسانية. هذا الذى قد تفرد بالذات الأحدية. والصفات الثانوية. فهو الإله الواحد (الآب والابن والروح القدس) الذى له وحده هذا الاختصاص، وبذاته الأزلية تتعلق هذه الخواص. فلا يشركه أحد فى تسميته. ولا يدركه علم فى كيفيته. ذو القدرة والجلال. والعظمة والكمال. والجود والأفضال. خلق الخلق تفضلا وجودا ومنح الأشياء من العدم وجودا . وأبدع الإنسان على مثال صورته وفضل نوعه وجنسه على بريته. الذى لم يبق قسما من أقسام الجود إلا أن جاد علينا بذاته. وجعلنا شركاء نعيمه ولذاته. فكمل جود اتحاده بتجسد كلمته وميلاده. وتدبير تأنسه واتحاده تدبيرا يفوق الأسرار. والأفهام والأفكار. وسرا كان مستترا من قديم الأدهار. نمجده على جزيل هباته. ونشكره على مزيد نعمه وحسناته. مستشفعين بكرامة الست السيدة مريم العذراء التى استحقت أن تكون هيكلا لروح قدسه. وفلكا لإشراق شمسه وواسطة لخلاص آدم وجنسه. ومغرسا لأقنوم الإله الكلمة الذى أثمرت قطوف الرحمة من ثمرات غرسه. وجبلا

---

[١] لواضعه القديس أنبا افرآم السريانى.

شاء الرب أن يجعله له مسكنا فصيره بحلوله هيكلا طاهرا. وبابا للحياة لم يدخله غير رب القوات. وسبيلا للخلاص لم يسلكه غير خالق الأرض والسموات. وكنزا مختوما لم يفك الحمل الإلهى ختمه. ولم يغير الميلاد المسيحى رسمه. وكرسيا للملك العظيم لم يجلس عليه إلا الإله الكلمة. قضيبا مثمرا ثمرة الحياة، ومطلعا لزهرة النجاة لا كعصا هارون التي أورقت زمنا يسيرا. وكان ذلك إلى سر السيدة العذراء مشيرا، وقبة شريفة مطهرة. وقدس أقداس دخله رئيس أحبار الخيرات المنتظرة فلنتوسل إليه بشفاعتها. ونستشفع إلى كرمه بتضرعاتها. ونسأله أن يعرفنا قدر هذه النعم التى أفاضها علينا. ويؤهلنا للقيام بفرائض هذا العيد المجيد. فإنه يوم فتحت فيه الخيرات أبوابها وفاضت السعادة أثوابها. وهطلت البركات سحابها وملأت الحكمة كؤوسها. هذا اليوم الذى تمت فيه النبوات السابقة. وتحققت الأقوال الصادقة. واستبشرت بالخلاص جميع النفوس. نسأله تعالى أن يبلغنا جميعا أمثاله أعواما مديدة صافية من الأكدار ويمنحنا صلاح الأحوال وزوال الأهوال. ويتعطف علينا بإدرار الأرزاق وعدل السلاطين. وردع المقاومين. وسلامة المسيحيين أجمعين. بشفاعة الرسل والشهداء القديسين. آمين.

أريد الآن أيها الإخوة الأحباء أن أعلمكم بهذا السر العظيم الذى هو ميلاد السيدة العذراء. وأسألكم أنا المسكين الخاطىء الدنس بآثامى الكثيرة أن تفتحوا مسامع آذانكم وتصغوا بقلوبكم لما أتلوه عليكم اليوم.

كان رجل غنى اسمه يواقيم من بنى إسرائيل يملك شيئا

كثيرا من ذهب وفضة وجواهر ثمينة وعبيد وإماء وحقول وبساتين وكل ما يتعلق بزخارف هذه الحياة الزائلة. وكانت له زوجة تدعى حنة من بنات هرون من سبط يهوذا وكانت عاقرا لم تلد البتة. الأمر الذى سبب حزنهما، فكانا يسألان الله سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار بقلوب خاشعة ودموع غزيرة أن يرزقهما نسلا صالحا يسرهما قلبا ويقرهما عينا.

فالرب الإله جابر القلوب وعلام الغيوب شاء أن يتخذ مسكنا لروح قدسه فأجاب دعوتهما وأعطاهما ثمرا طيبا بواسطته يكون الخلاص لآدم وذريته من نير العبودية. بينما كانت حنة تندب نفسها فى كل وقت قائلة أى شىء تساوى حياتى من الدنيا مع تجردى من الثمر، وهوذا البهائم والطيور وكل المخلوقات يرزقون نسلا أما أنا فلم أرزق. الويل لى أنا، وعظيم هو حزنى وألم قلبى. أسألك أيها الإله الدائم وحده. الذى سمع صوت سارة زوجة أبينا إبراهيم وأعطاها اسحق بعد الكبر. وسمع لراحيل وأعطاها يوسف وبنيامين أن تسمع صوت دعائى أنا المسكينة الخالية من النسل وتعطينى زرعا يسر به قلبى لأنى صرت مرذولة بين أهلى وعشيرتى لا سيما بعلى يواقيم الحزين القلب كثيرا. وها أنا أعترف بين يديك يا إلهى إنى لا أتركه يمشى على الأرض حتى أعطيه لهيكلك المقدس. وكانت القديسة حنة تقول هذا الكلام وهى تبكى بكاء مرا. وفيما هى كذلك جاءت إحدى جواريها فوجدتها على هذا الحال. فقالت لها ما بالك يا سيدتى متوجعة القلب. قالت لها حنة: دعينى لأن حزن قلبى عظيم. فأجابتها قائلة يا سيدتى أنا أشير عليك وسيدى العظيم أن تقدما لهيكل الله قربانا باسميكما لعل الإله يذكركما برحمته ويزيل حزنكما

ويرزقكما ثمرة صالحة. حينئذ حضر يواقيم من عمله فعرفته حنة ما قالته جاريتها فاستحسنه كثيرا وقام مسرعا وأخذ قرابينا وبخورا وذبائح كثيرة ومضى حيث كان يوم عيد اليهود الكبير. فلما جاء لتقديم قربانه على المذبح منعه الكاهن قائلا أنت لم ترزق نسلا فى إسرائيل فلا ينبغى لك أن تقدم قربانك على مذبح الرب، فذهب وأعلم زوجته بذلك فحزنت كثيرا وقالت وهى تبكى بكاء مرا: أنت ياربى العظيم وحدك المتعالى على كل أحد القادر القاهر لكل شىء، بمن أشبه أنا الحقيرة نفسى فى هذه الساعة مع أن سائر الوحوش والطيور والبهائم على اختلاف أجناسها يرزقون نسلا إلا أنا، فقد نزعت منى الثمرة وصرت عارا بين أبناء جنسى. من ذا الذى يخلفنى ليكون لى ساعدا حتى الممات. أسألك أيها الرب الجالس على الكرسى الشاروبيمى أن تسمع صلاتى ودعائى وترزقنى نسلا يسر به قلبى. وفيما هى تصغى إذ ظهر لها الملاك الجليل غبريال بنور سماوى. وقال لها يا حنة إن الله سمع دعاءك وصلواتك وإنك ستحبلين وتلدين ابنة مباركة وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال وفى أقطار المسكونة ومنها يكون الخلاص لآدم وذريته من أسر إبليس. فأجابت حنة الملاك قائلة: حى هو الرب إنى لو رزقت بمولودة كما قلت لى لقدمتها قربانا للرب لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدس. ثم تركها الملاك وتوجه إلى يواقيم حيث كان فى البرية يصلى إلى الله ويسأله بتضرع مدة أربعين يوما لم يأكل ولم يشرب، وقال له أيها الرجل الصالح لماذا أنت مكتئب القلب. إن الله اختارك وأكرمك أكثر من بنى إسرائيل. أجاب يواقيم وقال من أنت الذى تخاطبنى هكذا. فقال له الملاك أنا هو جبرائيل الواقف أمام كرسى

الرب الإله أرسلنى إليك لأبشرك. قم وامض إلى زوجتك المباركة حنة فإنها ستحبل وتلد ابنة عذراء وتدعوها مريم ومنها يكون خلاص آدم وذريته.

ولما قال له هذا غاب عنه، فقام يواقيم وجاء إلى زوجته فوجدها فى مراع الغنم، فخاطب بعضهما بعضا بما قاله ملاك الرب لهما وفرحا فرحا عظيما جدا وقالا ليكن اسم الرب مباركا. ثم أولما وليمة عظيمة للكهنة وشعب الرب وأخذا قربانا وذبائح وبخورا ومضيا بها لتقديمها لله ذبيحة مرضية قائلين إن كان الله قبل دعاءنا وسمع لنا وذكرنا فالكاهن يقبل قرابيننا ويقدمها أمام الله. فلما وصلا خرج الكهنة إلى يواقيم وقالوا له افرح فإن الله قد سمع لك وأكرمك. ثم أسرعوا وأخذوا القرابين وقدموها إلى الهيكل، وفى تلك الساعة صعدت إلى طيبا، ثم بارك الكهنة يواقيم وحنة زوجته وودعوهما وانصرفا وهما يسبحان الله ويقولان هكذا (تباركت يا الله يا من قبلت دعاءنا وسمعت طلباتنا). ثم انفردت حنة فى مكان وحدها للصوم والصلاة ولم تأكل شيئا دسما، وكانت تصنع صدقات كثيرة للفقراء والمساكين والضعفاء وذوى الحاجة، ولما تمت أيام حملها اشتد بها المخاض، فأرسلت بعض جواريها لتأتيها بقابلة، واستمرت قلقة حتى صبيحة اليوم الأول من شهر بشنس حيث وضعت العذراء الطاهرة بوجه ممتلىء من نعمة الروح القدس ودعتها مريم كبشارة الملاك قبل الحبل بها. أما سرورهما فى ذلك اليوم فكان عظيما جدا وقدما فيه القرابين شكرا لله وأطعما الفقراء والمحتاجين وتصدقا بشىء كثير ولبثا كذلك حتى انقضاء العام الثالث، ومن ثم قدما الطفلة إلى هيكل الرب وهى تنمو كل يوم وتزداد صحة وقواما بوجه

حسن ونور ساطع وهدوء وسكينة وعزة نفس، إلى أن أتاها ملاك الرب وبشرها بقبول الكلمة. وفعلا تم ذلك وكمل الخلاص لآدم وذريته بحلول الابن داخل أحشائها الطاهرة. فلنقل مع الملاك غبريال هكذا «السلام لك يا ممتلئة نعمة. الرب معك. منك أشرق الإله الحي الأزلي المتجسد من الروح القدس. حول أحزاننا إلى فرح قلب. فلهذا نسجد له ونرتل لأمه مريم الحمامة الحسنة ونصرخ بصوت التهليل ونقول:

السلام لك يا مريم أم عمانوئيل إلهنا الحقيقي. السلام لك يا مريم خلاص آدم أبينا. السلام لك يا مريم أم ملجأنا. السلام لك يا مريم تعليل حواء. السلام لك يا مريم ابنة يواقيم فرح هابيل البار. السلام لك يا مريم الحجر الكريم. السلام لك يا مريم خلاص نوح. السلام لك يا مريم الطاهرة العفيفة. السلام لك يا مريم نعمة إبراهيم. السلام لك يا مريم الإكليل غير المضمحل. السلام لك يا مريم نجاة إسحق. السلام لك يا مريم أم القدوس. السلام لك يا مريم تهليل يعقوب. السلام لك يا مريم سيدة الشعوب. السلام لك يا مريم فخر يهوذا. السلام لك يا مريم والدة الخالق. السلام لك يا مريم بشارة موسى. السلام لك يا مريم والدة السيد. السلام لك يا مريم كرامة صموئيل. السلام لك يا مريم فخر إسرائيل. السلام لك يا مريم أصل يسى. السلام لك يا مريم الرب معك. السلام لك يا مريم والدة الابن الحبيب. السلام لك يا مريم رفعة الصديقين. السلام لك يا مريم قوة إيليا. السلام لك يا مريم نعمة أليشع. السلام لك يا مريم والدة الإله. السلام لك يا مريم أم يسوع المسيح. السلام لك يا مريم الحمامة النقية. السلام لك يا مريم والدة الابن

الإله الأزلي. السلام لك يا مريم الشاهد لحبلها الإلهى كل الأنبياء والصديقين حيث قالوا هوذا الإله الكلمة يأتى ويتجسد منك بوحدانية لا ينطق بمثلها. ارتفعي بالحقيقة أكثر من عصاة هرون أيتها الممتلئة نعمة. ما هى العصاة إلا مريم لأنها هى مثال بتوليتها حبلت وولدت بغير مضاجعة إنسان، الأمر الذى لا تدركه العقول البشرية. ولدت ابن الله العلي الكلمة الأزلية الذى خلص آدم الحزين القلب. سر الرب أن يعيده إلى رئاسته الأولى، أشرق متجسدا من العذراء بغير زرع بشر حتى خلصنا. حواء التى أطغتها الحية أخذت القضية من قبل الرب وهى تكثير أحزانها وتوجع قلبها وتنهدها بسبب مخالفتها. فالرب الإله تراءف بمحبته للبشر وتجسد من العذراء بسر لا يدرك ليعتقنا دفعة أخرى. يسوع المسيح الكلمة الذى تجسد وحل فينا ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد لأبيه سر أن يخلصنا فأشرق متجسدا منك أيتها العذراء. رأى إشعياء النبى هذه النبوة بإلهام من روح القدس وقال يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبديا رئيس السلام.

افتح يارب باب مراحمك واعطنا أيها العلي فرحا وابتهاجا كوعدك الصادق يا من تنازل وأرسل لنا ذراعه العلي الذى أتى، وأيضا يأتى يسوع المسيح الكلمة المتجسد بغير تغيير صار إنسانا كاملا، لم يمتزج ولم يختلط ولم يفترق من بعد الاتحاد بل طبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة. السلام لبيت لحم مدينة الأنبياء التى ولد المسيح فيها آدم الثانى لكى يعيد آدم الاول إلى الفردوس ويحل قضية الموت الناشئة من مخالفته أمر الرب القائل له أنت تراب وإلى تراب تعود. لأنه بمخالفة آدم كثرت الخطية وبمجيء السيد المسيح له

المجد فاضت النعمة وزالت العداوة وعتقنا من العبودية المرة. كل نفس تفرح وتسبح مع الملائكة للسيد المسيح رب المجد صارخة قائلة: المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة. نور هو الله ساكن فى النور وملائكته نور يسبحونه لأنه أشرق متسجدا من العذراء النور. والروح القدس أيقظ داود قائلا: قم رتل لأن النور أشرق فقام داود النبى وأخذ قيثارته الروحانية ومضى إلى البيعة ورتل للثالوث المقدس قائلا: بنورك يارب نعاين النور فلتأت رحمتك للذين يدعونك لأنك أنت النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم. أتيت يا سيدى يسوع المسيح بمحبتك للبشر وكل البشرية فرحت بمجيئك. خلصت آدم من الخديعة وحواء عتقت من مخالب الموت وأعطيتنا البنوة. فلنسبحك ونباركك مع الملائكة: لسانى ضعيف وأنا خاطىء ومسكين، لم أستطع أن أنطق بكرامتك أيتها العذراء لأن آدم وحواء لما أكلا من ثمرة الشجرة المنهى عنها سقطا وسقطنا جميعا تحت سلطان الموت، ومن قبل مريم والدة الإله رد آدم إلى رئاسته الأولى مرة ثانية. داود وسليمان النبيان يسبحانك ويكرمانك؛ دعاك الأول مدينة الله العلى، وقال الثانى عنك فى نشيد الأنشاد: أختى حبيبتى الكاملة رائحة ثيابك أزكى من العنبر، فيا جميع العذارى كن طهارى لكى تصرن بنات للسيدة العذراء والدة الإله، تلك التى بواسطتها قد وجدنا دالة كى نسأل السيد المتسجد منها بالسر غير المدرك أن يغفر لنا خطايانا ويثبتنا على الأعمال المرضية ويشيد ما بنيناه من أركان الفضائل ويدحض ما أتيناه من أدران الرذائل. ويلهمنا أعمالا ترضيه تاركين ما يغضبه ويعصيه. ويكفينا شر تجارب الزمان ونوائب المحن وحدوث النقم وزوال النعم،

ويثبتنا على الإيمان المستقيم، ويؤهلنا ميراث النعيم ويرزقنا بسلطان يعطف علينا ويرأف بنا ويحسن إلينا، ويمن علينا بصلة الأرزاق وكثرة الخيرات ورخاء الأسعار وطيب الأخبار وخصب الزرع ونمو الأثمار ووفاء الأنهار بشفاعة السيدة العذراء. ولنقف فى بيعته المقدسة بقلوب صافية من الأكدار وعقول سليمة من تقسيم الأفكار ونفوس شاعرة بالتواضع والوقار ويوصلنا إلى ميناء الخلاص، ويجعلنا من أهل اليمين نحن العاملين بوصاياه الإلهية وأقواله الإنجيلية الناطق بها فى بيعته الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، بعقول خالية من الأفكار الشيطانية مصممين آذاننا عن كل رذيلة عاملين بالناموس فى السر والعلانية، مستحقين تناول جسده الطاهر ودمه الزكى اللذين بهما خلاص البشرية وغفران خطايانا وصحة أجسامنا وحياة نفوسنا المائتة بالخطية، ويجعلنا ممن فاز بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال. وأن يكفينا شر التجارب الشيطانية والمحن الزمانية والأمراض البدنية بشفاعة ستنا العذراء سيدة المؤمنين أجمعين. وكرسى رب العالمين. ابنة يواقيم. أم فادينا العظيم الذى له المجد مع أبيه الصالح وروحه القدوس إلى آباد الدهور. آمين.



الميمر الثانى
دخول السيدة العذراء الهيكل[١]

«يقرأ فى اليوم الثالث من شهر كيهك»

المجد لله المحقة كلمته. العزيزة قوته. العالية قدرته. الشاملة رحمته. فاتح أبواب التوبة. وشافى أوصاب النقمة. ومانح من صبر أفضل المطالب، وواهب من شكر أجزل الرغائب. مخلص المتوكلين عليه من عظيم النائبات وشديد الضيقات. منجى المساكين والبائسين. منقذ الهالكين واليائسين. منعم على عبيده بالشفاء المتدارك ومرمق شعبه بعين عنايته الكافلة. غير حاقد ولا مخلف ولا مخيب رجاء من يتوكل عليه بصدق النية. ولا راد دعوة من يدعوه بنقاوة ضمير وحسن طوية. يجود علينا نحن معشر الثابتين على الأمانة المستقيمة بإحسانه. ويصفح عن آثامنا السالفة بعفوه وغفرانه. لا بأعمال بارة قدمناها. ولا بتوبة نقية آتيناها. ولا بدموع حارة سكبناها. ولا بإقلاع عن عادات مذمومة ألفناها. بل برحمته أحيانا وبرأفته رد وجهه إلينا ولم يذكر خطايانا. وبيمينه الحصين قد اجتذبنا إلى بيعته وما أقصانا. لكى نعلم أن من رجاه بالصبر تعطف عليه. ومن طلب إليه بالفكر نظر إليه. ونتحقق صدق وعده القائل «أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهور»، ونصدق قول نبيه المغبوط القائل «حافظك حافظ إسرائيل لا يغفل ولا ينام». نشكره

[١] لواضعه القديس أنبا كيرلس أسقف مدينة أورشليم.

على ما أفاضه علينا من جلابيب نعمائه. ونحمده على استئصال قوة المعاند وظلماته. هذا الذى قد وهبنا من رحمته إحياء النفوس. وأزال عنا كل بؤس وعكوس. ورفع من الذل الرؤوس. وفتح لنا أبواب بيعته التى كانت مغلقة. وفك أعناقنا من أوثاق الخطايا التى كانت بها مطوقة. ومَنّ بافتداء رعيته من عبودية الطغيان. وأطلق ألسنتنا بالتسبيح والتقديس كل آونة وأوان. نمجده تمجيد من عرف قدر هذه النعمة العظيمة المقدار التى تعد فاتحة المواهب الجليلة وبداية النعم الجزيلة. وسلم يرتقى بها إلى أعلى الدرجات. ونسبحه بألسنة لا تفتر لحظة من اللحظات. حتى نشارك بذلك داود المرتل وفليمون الجاذب سامعيه بحسن صوته الذى ينعش القلوب قبل الآذان. على أن ذلك الصوت قد يكون عظيم الوقع. ما دام مصدره الصفاء وسلامة القلب. وإلا فما الألحان لنا بكافية. ولا بواجب الصلوات وافية. لكنها لذيذة تجذب الحواس. ما دام مصدرها قلب نقى من الأدناس. فنتحدث جيلا بعد جيل بعدل الرب وفضله ونخبر بعميم إحسانه وفعله: لكى يقال فى الأمم قد أحسن الرب الصنيع إلى هؤلاء فصاروا فرحين، وتصعد صلواتنا وتقديساتنا بين يديه كالدخنة الطيبة كل حين. مستشفعين إليه بكرامة العذراء البتول واسطة الرحمة ووالدة الإله الكلمة، ورسله الأطهار العاملين بسره المقتنين بصبرهم نفوسهم، المتوجين ببرهم رؤوسهم. المرتقين بإيمانهم أشرف المراتب والدرجات. الفائزين بما لهم من ملكوت السموات. هؤلاء المعدودين مع الشهداء. المحتسبين من السعداء. المستحقين أن يكونوا للكلمة خداما. المجتمعين اليوم فى البيعة الأرضية وغدا فى أورشليم السمائية. المغبوطين بالأمانة الأرثوذكسية والنعم الملكوتية. المسرورين بذلك الاجتماع الذى كانوا فيه يتشوقون. ومن قوته

يجـزعـون. المحـافظين على مـا لهم من نعـمـة الإيمان باتبـاعـهم الناموس. العاملين بما يتلى عليهم من فصول مقدسة، صابرين على تقلبات الزمان وطوارىء الحدثان. تاركين العالم الزائل. محافظين على الاعتراف بالإله المتجسد «الابن المبعوث» الذى تعطف وانتشلهم من جب الهلاك، معيدهم إلى هيكله المقدس.

هلموا معشر المسيحيين قدموا ذبائح الشكر للابن الوحيد الرب الإله الذى فتح لنا أبواب رحمته، فليتبارك اسمه فى أقطار المسكونة. هذا الذى فتح بيعته لندخل آمنين ساجدين لعزته الإلهية، متباعدين عن كل عيب وكل حسد وكل نميمة. حقا نعبد الإله الذى قد جمع شعبنا بعد الشتات، وجبر كسرنا بعد الحتات. وأزال عنا الضيقات. ولنعلم ما أطيب الرب ولنسكن هيكله المقدس، بقلوب طاهرة ولنقلع عن ذنوبنا بتقديم توبة نقية للحق سبحانه وتعالى. ولنترك الافتخار بالأمور العالمية والتناهى فى الأعمال البهيمية، لأنه قال على لسان إرميا النبى لا يفتخر الحكيم بحكمته ولا الجبار بقوته ولا المعطى بصدقته، وليعلم كل أحد أنى أنا الإله الذى يفعل المعروف ويظهر البر فى الأرض. يقول بطرس الرسول. فليفخر الأخ المسكين برفعته والغنى باتضاعه، إشارة إلى قول سيدنا له المجد إن المساكين بالروح يرثون ملكوت السموات مبينا أن الأغنياء بالجسد يجب عليهم أن يتضعوا بالقلب، فلنقتد أيها الإخوة بقول الرسول وكفى ما مضى من التهاون. ومن الواجب علينا أن نقوم ما اعوج من أفعالنا وأقوالنا وأفكارنا كى تكون هيكلا طاهرا مستعدا لقبول السيد له المجد الذى قال فى إنجيله المقدس: من يأتى إلى لا أخرجه خارجا، بمعنى أن من يطلبنى حقا ويسلك معى صدقا بنقاوة ضمير وعمل صالح واتباع ناموس لا أخرجه خارجا. إخوتى الأعزاء، لا تكونوا كالقبور المزينة

من الظاهر وباطنها عظام بالية، ولا كالكؤوس المطهرة من الخارج وداخلها أدران قتالة، ولا نمل من تقديم الصلوات كقوله له المجد: صلوا ولا تملوا. ولنحفظ ألسنتنا وأفكارنا وحواسنا من الاستهزاء والمجون. كيف لا، ونحن في موقف ملك سمائي تعترف له كل الطغمات. وتخضع إليه ألوف وربوات: وتهاب عظمته الملائكة والقوات: ولنعمل أثمارا تليق بالتوبة متضرعين إليه سبحانه وتعالى أن يلهمنا أعمالا ترضيه ويكفينا شر إبليس اللعين ويثبتنا على الإيمان المستقيم ويؤهلنا لميراث ملكوت السموات بشفاعة سيدة الأطهار والدة الإله سيدتنا مريم العذراء.

بالحقيقة يا أحبائي، قد كمل اليوم كلام المرتل داود إذ يقول: مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. نفسي تشتهي أن تدخل ديارك يارب. قلبي وجسدي يتهللان بالله مخلصي. بالحقيقة إن قلب الملك يستريح في قصره الذي هو مديم لأنها اشتهت أن تصير هيكله المقدس وقلبها يطلب مساكنه أكثر من كل العالم وأمواله الزائلة. وجهها يتهلل بتعليم الكهنة وطهارة جسدها نقية جدا أفضل من أن تكون في مساكن آبائها وأقاربها لأن العصفور وجد له مسكنا واليمام عشا حيث يضعن فراخهن، هكذا هي العذراء فرحت بوجودها في هيكل الرب، وتهللت عندما وجدت مسكنا لإله يعقوب. هكذا أخبر آباؤنا الرسل عند دخول العذراء إلى الهيكل، وذلك أنه ولدت العذراء وبلغت السنة الأولى من عمرها حيث كان وقتئذ يوجد في هيكل الرب من يدعى زكريا بن براشيا الكاهن العظيم الذي أوقف حياته لخدمة الرب، وفيما هو هكذا إذ ظهر له ملاك الله ذات يوم قائلا له: السلام لك أيها الشيخ المبارك. قم واخبر حنة ويواقيم

أن يحتفظا بالطفلة التى ولدت لهما ويقدماها لهيكل الرب وديعة طاهرة تظل مرعية بك حتى اليوم الذى سيعلمك به الرب ما تصنع بها . فلما سمع زكريا ما قاله الملاك تعجب كثيرا وبارك الله، وقص رؤيته على زوجته أليصابات التى قامت مسرعة معه حيث توجد العذراء البتول. ولما وصلا سلما على حنة ويواقيم العظيمين اللذين تجمعهما وإياهما رابطة القرابة. وبعد أن صرفا هنيهة من الزمن قام الكاهن العظيم زكريا وشرح ما سمعه من الملاك بشأن العذراء، فأجابته والدتها قائلة: يا أبى القديس إن كل ما أومأت به قد قيل لى قبل أن أحبل بها، وقد سبقت فأنذرت أن كل ما يعطى لنا ذكرا كان أو أنثى ندفعه لخدمة الرب داخل هيكله المقدس. فبارك زكريا السيدة العذراء وانثنى راجعا هو وزوجته المباركة إلى مدينته بسلام. وفى ذات يوم،حالما كانت حنة تسكب على الرضيعة ماء (لتحميها) اتباعا للسنة التى كانت متخذة قديما، إذ رأت وجهها يتلألأ نورا ساطعا، ففرحت وباركت الله وسبحت قائلة مع داود النبى: «إلهى قد رفعت شعبا متواضعا وأذللت أعين المتعنتين بسبب حلولك فى بيتى أنا المسكينة. نظرت إلى تواضعى فى شدتى وخلصتنى، بما أوجدته منى من الثمر أنا العاقر. عيناى نظرتا خلاص الرب القدوس إله إسرائيل. طوبى لى أنا الحقيرة بالمولودة منى مريم العذراء والدة الإله. فلتفرح معى قوات السماء والكهنة الروحانية والحيوانات الغير متجسدين والكراسى وكل خدام الله والشاروبيم والساروفيم. أشكرك أيها الرب القوى لأن رحمتك أحاطت بى كثيرا، أسبحك أيها الرب الإله ضابط الكل وأمجدك إلى الأبد، آمين.

ولما قالت حنة هذا الكلام لفت الرضيعة بمنديل ووضعتها على سرير وجلست أمامها مبتهجة بما لها من النعمة العظيمة، ولما بلغت السنة الثانية من عمرها صنع أبواها وليمة عظيمة للفقراء والمساكين اليوم الذى طلب فيه والدها أن يذهب بها إلى هيكل الرب لتقديمها خادمة أمينة للحق سبحانه وتعالى كسابق وعده، ولكن زوجته طلبت إبقاءها إلى أن تبلغ السنة الثالثة من عمرها، وفعلا تم إبقاؤها إلى أن أتمت السنة الثالثة وبضعة أيام، يقدرونها بثمانية عشر بدأت الصبية تمشى على الأرض، الأمر الذى ذكر والدتها بألا تدعها كذلك، حتى تذهب بها إلى هيكل العلى لتخدمه بالطهارة كما سبقت وأنذرت قبل الحبل. وليتم قول داود النبى القائل: إن أرجلنا قامت فى طريق مستقيمة. إلى هنا أرسل يواقيم خلف الرعاة، يأمرهم باستحضار ذبائح وقرابين كثيرة، وفعلا تم ذلك وذهب بها إلى أورشليم مع حنة زوجته والصبية ابنته يتبعهم الجم الغفير من الناس وستة عذارى من بنات اليهودية الطاهرات يلقبن باسم مريم (الأولى أم يعقوب والثانية أم يوحنا الذى دعى مرقس والثالثة أخت لعازر الذى أقامه السيد المسيح من الأموات والرابعة ابنة أكلويا والخامسة من جبل الزيتون والسادسة المجدلية) يحملن أغصان الزيتون والشموع موقدة ومجامر البخور بأيديهن صاعدة أمام كرسى العلى رائحة طيبة، وكن يصحن جميعهن قائلات «اللهم إله آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب. بارك على الصبية وهب لها اسما مهابا فى كل الأجيال». ولما وصلوا جميعا إلى الهيكل، وجدوا الكهنة فى انتظارهم يرتلون الأناشيد الروحية بوليمة عظيمة وفرح متناه، حيث هناك قدمت الصبية إلى

الكهنة خدام المذبح وأخذت المقام الأول بحلول نعمة الرب عليها، وكان ذلك فى يوم سبت ثالث شهر كيهك، وبقيت داخل الهيكل مع العذارى خادمات المذبح. ومن الغريب والأمر العجيب الذى احتارت فيه فلاسفة بنى إسرائيل، أن الصبية لما تركها أبواها، ومع حداثة سنها، لم تتألم ولم تغضب ولم تبك ولم تقلق، بل ظلت ساكتة ساكنة وهى تنمو كل يوم حتى كانت موضوع حديث بنى إسرائيل. وجم غفير من الشعب كانوا يقصدون إلى الهيكل، لينظروا مريم ابنة يواقيم ويحمدوا الله لأن خضوعها ووداعتها كانا أمرين طبيعيين معها، وبقيت هكذا مع العذارى يخدمن بيت الرب حتى أحبتها جميع العذارى اللواتى كن معها وصرن يقدمن لها الكرامة، ويتبعن أمرها ويخضعن لمشورتها ويتعلمن من عفتها، وفى مساء كل يوم كانت تدخل الواحدة منهن داخل مخدعها المخصص لها فى هيكل الرب، وكذلك السيدة العذراء مريم البتول، وكان الطعام مرتبا لهن من بيت المقدس ما عدا ابنة يواقيم التى كان أبواها غنيين من نسل داود الملك، فكانا يبعثان لها الطعام من بيتهما، وكانت تقبله بشكر وخضوع خاليين من الافتخار. وبعد خروج والديها تستحضر فقراء الهيكل وتعطيهم طعامها. وقد عرف ذلك جميع العذارى اللواتى كن معها والكهنة أيضا حتى تحيرت عقولهم وقلقت لذلك أفكارهم إلى أن انكشفت لهم الحقيقة بظهور نور ساطع فى غرفتها. وتحرير الخبر أن ملاك الرب كان يطعمها بطعام سماوى ممتلىء من نعمة روح القدس، وبذلك صارت فى وسط الهيكل كأنها حلّة نورانية، ولا عجب فى ذلك لأنها إناء مختار أو بالحرى مسكن طاهر لروح الله. وفى

آخر كل أسبوع كان أبواها يحضران ويعملان وليمة للفقراء فى بيت الرب، وكانت مريم تخدمهم وتعطى الطعام بالتساوى لكل محتاج. وظلت سيرتها الحسنة وأعمالها المرضية تزداد يوما فيوما وأعمالها تظهر حتى استحقت أن تدخل وتخدم قدس الأقداس الذى لا يجوز دخوله إلا لرئيس الكهنة. وكان ذلك فى الثانية عشر من عمرها. فلنبتهج الآن يا إخوتى لأن هذا هو يوم خلاص نفوسنا من رباط الخطية، ولنطوب جميع العذارى اللواى حفظن بتوليتهن من أجل هذه العذراء القديسة مريم، فإنهن سوف يرثن معها ملكوت السموات. ولنحافظ جميعا يا إخوتى الأعزاء بأن نقف فى هيكل الرب غير حاقدين، ولا منافقين، بل متيقنين أن من له القدرة على أن يجمعنا الآن داخل بيعته المقدسة، له السلطان أيضا أن يجمعنا فى أورشليم السمائية داخل بيعة الأبكار الروحانيين. فلنسبح السيد المسيح له المجد ونمجدك أيتها العذراء النقية بأصوات التهليل قائلين: إكليل فخرنا رأس خلاصنا ثبات كنائسنا مريم العذراء، التى ولدت لنا الله الكلمة المتجسد الذى صار إنسانا من أجل خلاصنا بميلاده العجيب الذى تم بإرادته وحده ومسرة أبيه والروح القدس. مجد بتوليتك عظيم يا مريم العذراء لأنك وجدت نعمة أمام الرب الكائن منك. أنت السلم الذى رآه يعقوب ثابتا على الأرض ومرتفعا إلى السماء والملائكة عليه ينزلون. أنت العليقة التى رآها موسى النبى والنار فى أغصانها ولم تحترق. أعنى أن ابن الله الأزلى حل فى بطنك بنار لاهوته وأحشائك لم تحترق. أنت حقل لم يزرع أخرج ثمرة الحياة. أنت الكنز الذى اشتراه يوسف ووجد الجواهر من داخله مختفية

أعني بذلك مخلصنا الذى ولد منك لخلاص البشرية، افرحي يا والدة الإله تهليل الملائكة، افرحي أيتها الهادئة بشرى الأنبياء، افرحي يا من استحققت حلول الكلمة المقدسة فى بطنها. افرحي يا من بواسطتها قد خلص آدم وذريته. افرحي يا من أرضعت مغذى كل البرية. إفرحي أيتنها القديسة أم الأحياء بأجمعهم. نطلب إليك أن تشفعي فينا، إذ أنه واجب بالحقيقة على كل واحد أن ينظر إلى السر العجيب الذى وجد منك ألا وهو ابنك الإله المتجسد الذى أتى وخلص العالم بأسره، وكفانا بذلك دليلا على أن تعظيمك وتبجيلك أمران واجبان، بل أن وساطتك لدى ابنك الإله تعد أهم الوسائط التى بها نخلص ونضمن النعيم فى الآخرة. بالله الكلمة أعطى الناموس لموسى على طور سيناء وتغطى رأس الجبل بالدخان، ومنك أيتها الطاهرة اتخذ جسدا بشريا لم يغير لاهوته بل صار إنسانا كاملا لكى يحل الخطية- خطية آدم. كرامتك أيتها العذراء مَن يقدر أن ينطق بها مع أن الله أحبها وسكن فيها. الساكن فى النور الحقيقى تنازل وسكن فى بطنك تسعة أشهر وولدتيه وأنت عذراء. لأن هذا هو الحجر الذى رآه دانيال النبى مقطوعا من جبل بغير يد إنسان، هو الله الكلمة الذى تجسد من العذراء وولد من الآب قبل كل الدهور، أخذ جسدا من العذراء بغير زرع بشرى لخلاصنا. من يقدر أن يطوبك أيتها الحمامة النقية أم المسيح، المسيح له من الملائكة والشاروبيم والسارافيم وجميعهم صارخين قائلين: هذا هو ملك المجد رافع الخطايا. نسأله أن يغفر خطايانا. عظيمة هى رحمته، وإياه نسأل بشفاعة هذه العذراء القديسة والدة الإله أن يتجاوز عن

هفواتنا، ويستر عيوبنا، ويجعلنا ممن فازوا بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال، ويكفينا ضربة الشيطان ومحن الزمان والأمراض البدنية، ويثبتنا فى الإيمان المسيحى إلى النفس الأخير، ويجعلنا مستحقين للوقوف فى البيعة المقدسة الواحدة الجامعة الرسولية، متشبهين بملائكته النورانية ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهنا على مر الأزمان والدهور، ويخذل سائر الأعداء المقاومين، ويرد كيدهم فى نحرهم، ويرزقنا بسلطان عادل، وطمأنينة فى الوطن، ويعطف قلوب المتولين علينا ويلهمهم الرأفة بنا والإحسان إلينا، وأن يسمعنا جميعا الصوت الفرح القائل: «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم» الذى «لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر». بشفاعة السيدة العذراء والأنبياء والرسل والشهداء والصديقين وكل من أرضى الرب الإله بأعماله الصالحة، الآن وكل أوان، وإلى دهر الداهرين، آمين.



تسليم مريم العذراء
ليوسف النجار خطيبها

وبشارة الملاك لها وميلاد السيد المسيح له المجد منها

كان من شرائع اليهود وسننهم أن العذراء أو الشاب الذى يكرس حياته لخدمة الرب، إذا بلغ أحدهما سن الزواج يعرض عليه الكهنة أمام جميع الشعب أمر الزواج، فإذا أراد الشاب مثلا التزوج يدفع لبيت الرب مقدارا من الفضة أو الذهب عن المدة التى قضاها، ويترك حرا فى عمله كبقية الشعب. وهكذا مريم، فإنها لما بلغت من العمر اثنتى عشرة سنة، دعاها زكريا الكاهن أمام خدام مذبح الرب فى بيت المقدس وقال لها: يا مريم إنك قد بلغت سن الزواج فإن أردت الاقتران نختار لك شابا تقيا ونزوجك منه. وإلا فتبقين داخل بيت الرب للخدمة. فأجابته سيدة العذارى قائلة بفطنة وتعقل: ها أنا أمامكم، ولتكن مشيئة الرب، وأنتم آبائى فما تريدونه افعلوه بى. فتحير الحاضرون من جوابها لأنه غير صريح من حيث تفويضها المشيئة أولا للرب. وأخيرا قال الحاضرون لزكريا: ادخل إلى قدس الأقداس وصل إلى إله إسرائيل إله آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب وانتظر صوت الرب وأخبرنا، فقام زكريا مسرعا ولبس ثوب الكهنوت المقدس، ودخل الهيكل، ولبث الشعب واقفا ينتظر من الخارج، وابتدأ زكريا يصلى ويطلب من الله أن يخبره عن مشيئته نحو هذه الصبية. وإذا بملاك الرب قد ظهر له وقال: يا زكريا اخرج من هنا واجمع كل شيخ وشاب من المشهود لهم بالتقوى، من بنى

إسرائيل واجمع عصيهم واكتب على كل عصاة اسم صاحبها، والذى تخرج من عصاه شبه حمامة، تسلم له الصبية امرأة. فخرج زكريا من الهيكل وعمل كما أمر الرب، مسلما كل واحد عصاة بيده، وهو يدعو كل واحد باسمه. فلما تقدم يوسف النجار وهو من بيت لحم أخذ عصاة، فخرج منها شبه حمامة بيضاء فوقفت على رأسه، فبهت الشعب الحاضر وتعجب من ذلك الأمر الذى أوقع الدهشة فى قلوب الحاضرين، ثم دعا زكريا يوسف واستحضر الصبية أمام الجمهور وقال له قد صارت عذراء الرب امرأة لك، فخذها كما قال ملاك الرب. فحزن يوسف حزنا عظيما لأنه صار ملزما بالمحافظة على العذراء، خصوصا وأنه قد استلمها من بيت الرب على يد رئيس الكهنة وشيوخ الشعب. أضف إلى ذلك أنه قد شاخ وله عائلة كبيرة. فقال يوسف لزكريا: أيها الأب أنت تعلم أنى شيخ وتقدمت فى الأيام حتى صار لى من العمر تسعة وثمانون سنة، فكيف تكون لى هذه الصبية وعمرها اثنتى عشرة سنة، وهل لا أكون أضحوكة بل ومضغة فى أفواه بنى إسرائيل إن أنا فعلت ذلك. أجابه زكريا: ليس الأمر منى بل من الله، فخذها ولا تخالفه لئلا يحل عليك غضبه. فلما سمع كلام زكريا وباقى الكهنة فزع فزعا عظيما وحزن وتنهد ودق على صدره وبكى بكاء مرا ورفع عينيه إلى السماء وصلى قائلا: يا إله آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب إله الآباء الأبرار الصديقين، أطلب إليك أن تدبر حياتى ولا تصرف وجهك عنى وعن أمَتك هذه التى أعطيتنى إياها امرأة، وسجد أمام الكهنة، فأخذ زكريا رئيس الكهنة بيمين مريم وسلمها إلى يد يوسف وقال له: يا يوسف إن الله والملائكة وشيوخ الكهنة والشعب يشهدون عليك لأنك أخذت هذه العذراء من بيت الرب إله إسرائيل الذى يعلم بما تعمل من أمرها، ثم

صلى وباركهما وودعهما، وانطلقا من هناك إلى بيته فى الناصرة. ثم قال يوسف لمريم: «يا مريم ها قد أخذتك من بيت الرب، وسأتركك فى منزلى وأخرج إلى عملى ومعيشتى، فانظرى كيف تكونى والرب يأتى إليك ويحفظك. وحدّث أولاده عن سيرة العذراء وما جرى له، ومشيئة الله المعلنة لزكريا فى الهيكل إلى آخره، حتى تعجب أهل بيته. وعظمت تلك الصبية أمام عيونهم وصار الكل يخدمونها وينتظرون أول إشارة تصدر منها وهى معززة مكرمة وفرحوا بها جميعا. وبعد مضى بضعة أيام، تشاور الكهنة عن لزوم عمل ستر من الحرير مرصع ذهبا وقرمزا وأرجوانا. ولما كانت العذارى خدام الهيكل يُحْسِنَّ صنع ذلك، فقد أعطوا كلا منهن جزءا لعمله، ولما تذكروا مريم أيضا، طلبوا يوسف النجار وأعطوه جانبا من أعمال الستر برسم العذراء تعمل فيه كبقية العذارى، فأخذه يوسف وأعطاه إلى مريم فى بيته، ففرحت فرحا عظيما.

بشارة الملاك جبرائيل للسيدة العذراء

بينما كانت مريم العذراء تشتغل فى عمل ستر الحرير الخاص ببيت المقدس، جاء جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، ودخل فى بيت يوسف حيث هناك العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال لها: السلام لك يا ممتلئة نعمة الرب معك. مباركة أنت فى النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال الملاك: لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم

للمـلاك: كيف يكون هـذا وأنا لست أعرف رجـلا، فـأجاب الملاك وقـال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك لأن المولود منك قدوس وابن العلى يدعى. وهوذا أليصـابات نسـيبتك هـى أيضـا حـبلى بابن فى شيـخوخـتـها وهذا هو الشـهر السـادس لتلك المدعوة عـاقرا، لأنه ليس شـىء غـير ممكن لدى الله. فـقـالت مـريم: هـوذا أنا أمـة الرب، ليكن لى كقولك. فمضى من عندها الملاك.

فـقـامت مـريم فى تلك الأيام وذهبت بسـرعـة إلى الجـبـال إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات. فلما سـمعت أليـصـابات سـلام مـريم تحـرك الجنين بابتـهـاج فى بطنـهـا . وامـتـلأت أليصـابات من الروح القدس. وصـرخت بصـوت عظيم وقـالت: «مبـاركة أنت فى النسـاء ومـبـاركة هـى ثمـرة بطنك. فمن أين لى هـذا أن تأتى أم ربى إلىّ. فـهوذا حين صـار صـوت سـلامك فى أذنى تحـرك الجنين بابتـهـاج فى بطنى. فطوبى للتى آمنت أن يتم مـا قـيل لـهـا من قـبل الرب».

فقالت مريم: «تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى. لأنه نظر إلى اتضـاع أمته. فـهوذا منذ الآن جميـع الأجيـال تطوبنى. لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس. ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه».

ثم عـادت إلى الناصـرة، وكـان يوسف غـائبـا وبقـيت هى فى المنزل ممتلـئة فرحـا وسـرورا وبهجـة، وكانت تشـغل نفسـهـا فى عمل السـتر الحرير لبيت المقدس. وبعد بضـعـة شـهور، توجـهت إلى بيت الرب لأجل تسليم الستر الحـرير الذى انتهى عمله إلى رئيس الكهنة. ولما حـضـر الشـيخ يوسف النجار من مـركـز عمله لـم يجد مـريم فى

المنزل. ولما علم أنها في بيت المقدس، قام مسرعا وتوجه إلى هناك حيث وجدها . وعندما وقع نظره عليها وإذا هي حبلى، تعجب يوسف واستغرب لذلك الأمر، ووقع في دهشة وتاه في بحور الأفكار وهو بين مصدق ومكذب، ثم لما فاق من دهشته والتفت وتأمل وجد أن أيام حملها تقدمت وقد ظهر حملها للعيان، فقال لها: يا مريم لا يسعني أن أمكث هنا وأحتمل العار من بني إسرائيل ومن الكهنة ومن شيوخ الشعب. وكاد يلطم على وجهه وهو يبكي بكاءا مرا وينتحب ويحزن ويندب سوء حظه ويقول: ويلي أنا الشقي كيف يكون حالي وماذا أقول. نعم إني سأصير عبرة في بني إسرائيل. وبماذا أجاوب وأي عذر لي وأنت معي في منزلي وتسليمي.

فقالت له السيدة العذراء: لا تحزن أيها الشيخ الجليل. نعم قد وجب عليك أن تقع في حيرة ودهشة لأن الأمر غريب وعجيب ولكن أتوسل إليك أن تسمع لي قليلا، واعلم أن الأمر هو من الله وأن الحمل هو روحاني. ثم قصت عليه خبر البشارة وما حدثها به الملاك، فتعجب كثيرا وكان الشك يملأه ويبكي بكاء مرا ولم يصغ لأقوال العذراء الطاهرة، بل استولت عليه الشكوك واستكبر الأمر واستغرب الخبر ولبث يقول: لم أسمع في حياتي أن عذراء تحبل بغير رجل وبدون أن يمسها إنسان، فماذا عملتي يا مريم ومن هو الذي غشك وكيف ضللت بشيبتي وأهلكتي نفسي وأفقدتيني شرفي في وسط بني إسرائيل. أين هي صلاتك يا مريم. أين العبادة. أين التربية في بيت المقدس. أين التعليم المقدس. أين الطهارة والعفة. أين حسناتك وصدقاتك. أين الملائكة التي كانت تخدمك. كل ذلك تركتيه؟ فجاوبته بلطف: «مَن تزوج الأرض حتى ولدت آدم؟ وكيف ولدت منه حواء؟ ومن أولد الشجرة حملا لإبراهيم عوض ابنه إسحق؟ وكيف نبع الماء

إلى بنى إسرائيل من الحجر فى البرية؟ وكيف أورقت عصا هرون؟ عليك أيها الشيخ المكرم أن تفتش الكتب، تجد أن أعظم الأنبياء يقول: إن العذراء تحبل وتلد ابنا واسمه عمانوئيل. هل تنكر قدرة الله أم تكذب نبوات الأنبياء؟ فقال يوسف وهو متحير وقد تغير منظره: إذا كان يا مريم الحمل من قبل الرب، فنعيش فى حمى الرب وننتظر مشيئته. ثم نام وترك مريم. وبسبب حزن هذا الشيخ وما جرى له، أثر ذلك الهم والغم على العذراء فبكت بكاء مرا ثم ابتدأت تصلى قائلة: أيها الآب السماوى أنت تعلم يا مولاى أنى بريئة وتعلم أنى لم ارتكب ذنبا، وأن مشيئتك التى سبقت فىّ من الأسرار الإلهية. وقد تعبت فى إقناع الشيخ المتعهد أمرى وعرفته بما جرى من قبلك، ولكنه لم يصغ لقولى بل أتعبنى كثيرا وقد أحزن نفسى وروحى معا، والآن أتوسل إليك أيها الرب القدوس أن تمدنى بيد المعونة وتعمل الوسائط حتى يعلم الشيخ بذلك السر المكنون. وكان يوسف قد نام نوما عميقا، فظهر له ملاك الرب وقص عليه الخبر قائلا إنه موحى به من الله. فاستيقظ من النوم ونظر وإذا بمريم تصلى بحزن، فقام أمامها وجثا على ركبتيه وسجد لها وقال: السلام لك يا أم النور مخلص العالم. الآن قد علمت وتيقنت بأن الذى سكن فيك هو ديان الأحياء والأموات فلا أفتر عن تسبيحه وتمجيده. ثم أخذها من يدها وذهب إلى بيته. وفى الغد حضر إلى داره أحد الكهنة وسأله قائلا: يا يوسف أنت هنا ولم تحضر إلى بيت المقدس أمس؟ قال له: كنت مشغولا فى أعمالى الكثيرة التى سببت تعبى كثيرا. وفى أثناء ذلك التفت الكاهن إلى مريم وإذا هى حبلى فاستغرب ذلك الخبر وترك البيت، وقام مسرعا إلى بيت المقدس حيث

هناك الكهنة والشيوخ وقص عليهم الخبر قائلا لهم إن يوسف قد خان عهد الرب وعهود الكهنة، فسألوه لماذا؟ فقال: إن العذراء التى استلمها من قدام المذبح هى الآن حبلى وشهورها تقدمت. وصار يهوس ويشنع ويخلط كمن به شيطان، فصدر أمر من رئيس الكهنة بحضور يوسف النجار ومعه مريم العذراء للنظر فى أمرهما أمام رئيس الكهنة والشيوخ. ولما حضرا ودخلا بيت المقدس انعقد مجلس اليهود وبعد أن تحققوا من حبل مريم سألوا يوسف بقولهم له بعد السب والشتم والإهانة: لماذا فعلت مع عذراء الرب هكذا خصوصا وأنك استلمتها من قدس الأقداس. وكيف سولت لك نفسك أن تأتى بها فعل الشباب؟ فبكى الشيخ وقال: حى هو الرب، إنى لم أعرفها قط. فزجروه وأهانوه ثانية، فلم يجاوب بشىء بل ظل ساكنا ومتكلا على عناية الله لأنه يعلم الخبر. ثم التفتوا إلى مريم وقالوا لها: يا مريم لماذا لم تحفظى نفسك ونسيت الرب إلهك. أين صلاتك وأين الطعام الذى أخذتيه من يد الملائكة يا من تربيت فى قدس الأقداس، ماذا حدث لك حتى فعلت ذلك الأمر؟ فبكت مريم وقالت: حى هو الرب، إنى ما زلت عذراء للرب ولم أعرف رجلا قط. فقام زكريا رئيس الكهنة وسجد أمام هيكل الرب وصلى قائلا: اللهم يا فاحص القلوب والكلى نتوسل إليك أن تكشف لنا الأمر. ثم التفت إلى مريم وقال لها: لماذا جلبت على نفسك العار؟ فقالت له إنى بريئة مما تظنون. فقال رئيس الكهنة: لنفعل كما أمرنا موسى ونسقيهما من ماء البحران والرب يظهر خطيتهما. ففعلوا كذلك ولم يضرهما شىء. فقال زكريا: إن فى الأمر سرا عجيبا ستكشفه الأيام. ثم أطلق سراحهما فذهبا إلى منزلهما وهما يمجدان الله.

ميلاد السيد المسيح

وحدث فى تلك الأيام أن صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل إنسان فى مدينته. فلما ذاع الخبر وبلغ مسامع الشعب فى جميع تخوم ومدن بنى إسرائيل، أخذ يوسف أولاده وأراد أن ينتقل إلى مدينته فى بيت لحم فشد على دابته وأركب مريم، أما هو وأولاده فساروا معها على الأقدام. وفيما هم سائرون فى الطريق التفت يوسف إلى مريم فنظرها فى تعب وهى تبكى. ثم بعد قليل التفت إليها مرة ثانية فوجدها مبتسمة تضحك فسألها: لماذا يا مريم تبكين ثم تضحكين؟ فقالت: إنى أرى ملاكين أحدهما يبكى والآخر يضحك، ثم ما زالوا سائرين هكذا حتى انتصف الطريق وقد ظهرت علامات التعب على العذراء. فلما سألها يوسف قالت: إن الذى فى بطنى يتحرك بقوة عظيمة. فقال لها يوسف الشيخ: تشددى يا مريم، الرب معك. ثم أسرعوا جميعا وجدّوا فى المسير إلى أن وصلوا حدود بيت لحم خارج البلدة، وقد شعرت العذراء بقرب وضع الجنين حالا، فأخبرت يوسف. وكان هناك مغارة للرعاة قريبة فدخلت العذراء فيها، وكان أولاده مع الدابة خارج المغارة. أما يوسف فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها. وفيما هو سائر فى الطريق بهت وتعجب من جملة مناظر وأشياء مهمة، حيث نظر أولا نحو السماء وإذا السحاب واقف. ثم وجد جماعة كثيرين خارج البلدة وأيديهم بالطعام لا تتحرك شاخصين ينظرون إلى السماء، ونظر أيضا أغناما سارحة وقد وقفت جميعها تنظر إلى فوق، وأراد الراعى أن يضربها لتمشى فوقفت يده لا تتحرك، ونظر غنما فى نقطة أخرى فوق الماء لكنها لا تشرب وإنما رفعت وجوهها نحو السماء شاخصة إلى فوق، ثم وإذا بامرأة تقابلت معه فسألته: ماذا تريد أيها الشيخ؟ فقال لها: أريد قابلة تسرع معى نحو تلك المغارة حيث هناك معى بكر تلد. فقالت له: أنا قابلة فهلم معى. وانطلقا بسرعة ولما وصلا المغارة ودخلا فيها

وجدا أن العذراء ترضع ابنها الحبيب ولم تظهر عليها أدنى علامة ولا تعب كبقية النساء حتى تعجبت القابلة من هذا المنظر. وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك: لا تخافوا، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب. وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود، وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموى مسبحين الله وقائلين: «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو٢:١-١٤).

ولنعد لذكر القابلة التى أحضرها يوسف، فإنها بعد أن تعجبت مما رأته من خوارق العادات لم تكتف بل سألتها قائلة: أيتها السيدة ألم ينزل الخلاص المعتاد للنساء؟ فلم تجاوبها قط بل ظلت ساكتة ترضع الصبى. فوضعت القابلة يدها لتنظر فلم تجد شيئا سوى عذراء بكرة بتول كما هى. فتعجبت تلك المرأة وتركتها وقامت مسرعة لتدخل بيت لحم وقد صادفتها سالومة القابلة الشهيرة فقصت عليها الخبر من أوله، فقالت: إنى فى شك وعدم تصديق لذلك الخبر الغريب حتى أذهب وأرى بعينى. فرجعت الاثنتان مسرعتين وبوصولهما نظرت سالومة الصبى وأمه وقد دفعتها الجرأة فمدت يدها تريد أن تكشف العذراء فشلت يدها ونشف دمها وصارت تستغيث، وصرخت بصوت عظيم وقالت: يا إلهى إن ذنبى عظيم فاغفر لى. وسجدت أمام الصبى ووضعت يديها عليه فشفيتا فى الحال. وقامت مسرعة إلى بيتها فسمعت صوتا من السماء يقول لها: يا سالومة لا تخبرى أحدا بما رأيت حتى يذهب الصبى إلى بيت المقدس. وبقيت العذراء سبعة أيام داخل المغارة ممتلئة نورا ومجدا والملائكة تخدمها. أما يوسف وأولاده فما زالوا خارج المغارة. وفى اليوم الثامن قدموا الصبى ليختتن فى بيت الختان وسموه يسوع.

ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى وصعدوا بالصبى إلى أورشليم ليقدموه للرب كما هو مكتوب فى الناموس، إذ كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوسا للرب. ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام وفرخى حمام.

وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان بارا تقيًا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل. وعندما دخل بالصبى يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس، أخذه سمعان على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعب نور إعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل. وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه، وباركهما سمعان وقال لمريم أمه: ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم.

وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير، وهى متقدمة فى السن حيث قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها، وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارا، وعند دخول المسيح إلى الهيكل وقفت تسبح الرب، وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء فى إسرائيل.

ولما أكملوا كل شىء حسب ناموس الرب، رجعوا إلى الجيل إلى مدينتهم الناصرة. وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة اللة عليه.

نعم قد كمل كل شىء، وكان الصبى ينمو ويزداد حكمة حيث ظلت السيدة العذراء في بيت يوسف الشيخ، وليس شىء أمامها سوى التسبيح والعبادة المتواصلة والاعتناء الفائق على تربية الصبى.

الميمر الثالث

مجيء السيد المسيح إلى أرض مصر[١]

مع والدته السيدة العذراء ويوسف النجار خطيبها وسالومة

﴿يقرأ فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس﴾

الحمد لله الذى تفرد فى ذاته بوصف الأحدية. وتميز بتثليث صفاته عن مراتب الأحدية. وعلا بعز العظمة والاقتدار. وتقدس بالسلطان على كل الأفكار. وأجرى جوارىء غامضاته على ألسن أنبيائه. وأسرى سرارى مكنوناته فى أزمنة أوليائه، وحلى الكتب الشرعية بياقوت حكمه الشريفة وحلى الحجب الطبيعية بنعمه المنيفة. وحقق نبوة إشعياء النبى القائل إن الرب يدخل أرض مصر على سحابة خفيفة، فينير أقطارها بعد شدة الظلام ويطهر أمصارها من عبادة الأصنام. مظهرا فيها آياته العجيبة إلى آخر الأيام. نحمده حمدا ينقذنا من أمواج الضلال والمتالف ويرشدنا إلى منهاج الاقبال والمعارف. هذا الذى قد تجسد بإرادته بصورة بشرية. بذاته بالهيئة الآدمية. جاعلاً كيان الناسوت له فى الورى كالباب. مخاطبا إيانا بلسان اللاهوت من وراء الحجاب لأنه لو أشرق معرى من الناسوت لطفى حياة النفوس وأحرق البرية. ولهذا اتخذ حلة أنسية. ليخلص الجبلة الآدمية. سبحانه من قدير به كونت الأكوان، وخلقت العناصر والأركان. به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان. به كانت

---

[١] لواضعه القديس أنبا زخاريوس أسقف مدينة

الحياة ومنه ظهرت النجاة. ذلك الذى قد تجلت ذاته عن الكيفيات وتعالت صفاته عن الكميات. نسأله أن يجعلنا من الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا لله أبناء، ونطلب إليه الاهتداء بأوامره والارتداع بزواجره. وبشفاعة السيدة العذراء الذى ظهر ناسوته من سماء أحشائها مشرقا. ونجم تسجده من فلك بطنها متألقا بتدبير عجيب لم ينقض حال البتولية. ولا انشق معه ستر حجاب العذروية. بل كان كما سبق دانيال النبى وتنبأ بعين النبوة إذ رأى الوحى العجيب مرموز به عن سر تجسد الابن الوحيد. له المجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

أيها السادة المؤمنين. والآباء المختارين والإخوة المسيحيين قد علمتم أن فى مثل هذا اليوم الذى هو الرابع والعشرين من شهر بشنس أسعدكم الله بإقباله وأحياكم لأمثاله أعواما عديدة وبلغكم ما تؤملون، وتقبل منكم صومكم وصلاتكم وصالح أعمالكم. دخل السيد المسيح جل اسمه إلى أرض مصر مع أمه العذراء ويوسف خطيبها بسر عجيب وتدبير غريب حتى يطهرها من عبادة الأوثان. التى كانت مأهولة فى ذاك الزمان. ويعمل فيها آيات بينات كما سبق وأظهر فيها من العجائب والقوات. ما أثبت للعيان أن الكلمة الأزلية تجسد حقيقة من عذراء الله واستطاعت إتيان ما هو غنى عن البيان. وكى لا يبلغ هيرودس الملك ما كان يتمناه من الإيقاع به. يوم صدور أمره بإبادة الأطفال التى كانت تسكن بيت لحم عامة. ظنا منه أن الابن الوحيد من بينهم مقتولاً، وفاته ما قيل من النبوات عن لسان النبى القائل (من مصر دعوت ابنى) تلك التى ظلت مغمورة بالخير والبركات بعد دخول إله القوات، حتى انتقل أهلها بعد ذلك إلى الإيمان الحقيقى. وامتلأت براريها من الأطهار. وجبالها من السواح

والنساك والرهبان الأبرار. وانتشر فضلهم فى البلدان والأقطار ففعلوا الآيات البينات. وأضهروا المعجزات. بما صنع الله على أيديهم من عظيم القوات، وشهدت بذلك سيرتهم الحسنة وما أتوه من النبوات، نخص بالذكر منهم سكان برية شيهات، التى باركتها العذراء لما شهدته وعلمته من الساكنين فيها، هؤلاء الذين يعدون من مصاف الأبرار، بما نالوه من عظيم الثقة من سيدة الأبكار. إلى أن وصلوا أخيرا من التعظيم ما جعل الناس عموما وملوك الروم خصوصا يبالغون فى تكريمهم ويأتون لهم من كل فج عميق مصابين بأسقام أعيت الأطباء. فيرجعون بواسطتهم معافين. وبما أن هذا المقام لا يسمح لنا أن نصف كل أحوالهم ونذكر فضائلهم وكمالهم، إلا أنه يكفى أن نقول بأن ذلك الأثر العظيم لم يتخلد بأرضهم إلا بعد أن وطأتها قدما الابن الوحيد، الذى صار لها كالخمير الجديد المذكور بإنجيله المجيد. كيف لا وإنّا لم نزل والحالة هذه بالنعم متمتعون وبعين عنايته محروسون. لا نخاف كيد المعاندين، ولا نخشى سلطة المفسدين. فلنشكر الرب على نعمه وتفضلاته ونتوسل إليه محبة للبشر التى من أجلها جاد بذاته. ونتضرع إليه أن يغفر آثامنا ويؤهلنا للمثول بين يديه والوقوف عن يمينه كى نسمع صوته الفرح «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم».

لقد كمل اليوم قول إشعياء النبى «هوذا الرب ينزل إلى مصر على سحابة خفيفة وتتزلزل منحوتاتها من أمام وجهه».

يا مصر الكورة المظلمة لقد أضاء عليك مجد الرب الإله النور أشرق عليك، نور لاهوت الابن المتسجد من العذراء.

يحق لأبناء مصر القائلين إنّا لا نعرف الله أن يعيدوا اليوم

عيدا روحانياً ممجدين ومسبحين الإله القهار الذى أتى وخلصهم من نير العبودية المرة. يوم فيه تكسرت أصنامهم مستغيثة من قوة الإله الحقيقى ربنا يسوع المسيح، يوم تمت فيه نبوة إشعياء النبى القائل «إن المصريين فى ذلك اليوم يعرفون الرب وينذرون نذورا ويوفونها ويكون الرب معروفا فى مصر ويشيد له مذبح فيها». لأنه من المعلوم أن أهل مصر قبل نزول الرب يسوع المسيح على السحابة الخفيفة التى هى مريم العذراء كانوا عبدة أوثان، زناة، فسقة، كفرة، سحرة، إلى أن أتاهم السيد المسيح له المجد. هذا الذى قد صنع الآيات يوم دخوله فتكسرت أوثانهم، وسقطت على وجوهها فهربت الشياطين التى كانت تطغيهم بمخاطبتها لهم من داخلها، وبادت المعبودات النجسة وذبائح الأصنام المرذولة وقرابينها الغير مقبولة. وتمت أقوال الأنبياء الصادقة وأشرق لنا شمس البر، الذى أحيانا بعد العدم وعتقنا من موت الخطية وخلصنا من الجحيم بقوة لاهوته وردنا إلى فردوس النعيم لما ظهر متجسدا من العذراء قدس الأقداس الباب الذى نظره حزقيال النبى وتنبأ عنه بإلهام الروح القدس حيث قال: «إن بابا من المشرق لم يدخله غير رب الأرباب وحده. دخل وخرج والباب لم ينفك ختمه». نعم لقد وجب علينا أن نعلن مجىء الخالق إلى خليقته بل المعلم لتلاميذه أو الملك لملكته ليختار منهم ما يصلح لخدمته. حقيقة جاء السيد إلى عبيده. جاء الطبيب إلى المرضى ليشفى أوصابهم، جاء الراعى ليرد ما ضل من خرافه، جاء النور الإله النور ليضئ على الجلوس فى الظلمة وظلال الموت، جاء المن المخفى فى الصاع الذهب. جاء وأعطانا جسده المقدس ودمه الكريم. حسنا ما قاله داود النبى أب السيد المسيح بالجسد عن مجىء السيد له المجد حيث قال فى مزمور ١٣٣ «عند خروج إسرائيل من مصر

صار يهوذا مقدسا وإسرائيل سلطانا، رآه البحر فهرب ورجع الأردن إلى ورائه، ورقصت الجبال كالكباش والتلال كأولاد الضأن». وقال أيضا في مزمور ١٠٤ «دخل إسرائيل إلى مصر وتغرب يعقوب في أرض حام فكثر شعبه جداً وأعزه على أعدائه». وقال في مزمور١٣٤ «أرسل العجائب والآيات في وسطك يا مصر وخلص المصريين». وقال في مزموره ١٠٥ «الذى صنع العجائب بمصر والآيات في أرض حام والأعمال الباهرة في البحر الأحمر». وقال حبقوق النبى «يارب سمعت صوتك فخفت وتأملت أعمالك فبهت. يأتى الله من التيمن القدوس من جبل فاران». وقال عزيا النبى: «من مصر دعوت ابنى». وقال إشعياء النبى «قال رب الجنود مبارك شعب مصر». وقال إرميا «إن الله يظهر على الأرض ويمشى بين الناس». وقال حزقيال «سيسمعون أنى أنا الرب المتعالى على كل الخلائق إذ ظهرت بينهم بإعلان». وقال عزيا «إن الرب ينزل من السماء إلى مصر ويطأها بقدميه ويبيد الأوثان ويبطل الصورة الهرمسية ويمشى السيد مع العبيد».

ها قد شرحت لكم أيها الإخوة الأعزاء يسيرا من أقوال الأنبياء ونبواتهم الصادقة عن مجيء السيد المسيح إلى أرض مصر وما وصلت إليه حالة أهلها من الإيمان الحقيقى بعد أن كانوا عبدة أوثان. فصار الفاسق ناسكا، والنجس طاهرا، والساحر متعبدا، والكافر صديقاً، واللص رحوما، والضعيف قويا. وعن ذلك قال دواد النبى «انضح علىّ بزوفك فأطهر واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج». وقال الرب على لسان إشعياء النبى «ارجعوا إلىّ أيها الخطاة وأنا أرجع إليكم ولو كانت خطاياكم سوداء كالشعر فأجعلها كالصوف النقى وإن كانت حمراء كالقرمز أجعلها كالثلج الأبيض». تعالوا

لأن أيها المصريين لنفرح بالرب ونسجد ونتضرع إليه ونبكى أمامه ونمجد اسمه لأنه أتى إلى مصر فى مثل هذا اليوم وخلصنا من أعدائنا الشياطين، وذلك أنه لما ولد ربنا يسوع المسيح بالجسد فى بيت لحم اليهودية وأضاء نجمه فى المشرق أتى المجوس وسجدوا له. وبعد مضى سنتين من تاريخ ميلاده كان قد ذاع وشاع خبر ظهوره وصار ذكره يتعاظم على ألسنة الشعب إذ كانوا يقولون قد ولد ملك لإسرائيل. ولما بلغ هيرودس الملك ذلك الخبر اندهش وتعجب وتحير وتشتت أفكاره وضاقت الدنيا فى وجهه وارتعدت فرائصه من هذا الخبر الذى انتشر بين ممالك الأرض انتشارا عجيبا حتى قيل إن جميع الناس فى كل مدن إسرائيل تعطلت أعمالهم بسبب تجمعهم يوميا مئات مئات وقضاء معظم أوقاتهم بالحديث عن المولود الجديد خصوصا بعد ما وصل إلى مسامعهم من الرعاة الذين كانوا فى البرية حيث أخبروا الشعب بما نظروه من العجائب وعن الهدايا التى قدمت وعن صفوف الملائكة الذين رأوهم يسبحون ويقولون «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة». وقصوا عليهم حديث الملائكة معهم حيث قالوا إن اليوم ولد ملك ومخلص لإسرائيل. وأخيرا لما تحقق هيرودس الملك حقيقة الخبر عقد مجلسا من اليهود تحت رئاسته ومن بينهم شيوخ وكتبة من معلمى الناموس فسألهم عن ذلك، فقالوا له: نعم، إن الخبر حقيقى لأنه ورد فى جميع نبوات الأنبياء خصوصا فى سفر إشعياء النبى حيث قال صريحا: ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانويل». ولما تمت المفاوضات بين أعضاء المجلس وتعزز الخبر بأقوال الأنبياء ظن هيرودس أن المولود ملك أرضى ربما يملك عوضا عنه فحقد وحنق جداً. وساعده الشيطان، وأيقن بسقوط كرسيه بلا محال، فأصدر أمره بالبحث عن

الصبى وأمه. وبناء على أمره أعلنت جميع مدن إسرائيل، فكانوا كلهم عيونا تنظر ورجالا تبحث. ولكن الله أراد أن يعمى بصائرهم فل يهتدوا إلى الصبى ولا أمه مع كونهما كانا موجودين فى وسطهم، فعادوا وأخبروا الملك أن سعيهم ضاع بلا فائدة. وبعدئذ تذكر قول المجوس الذين قصوا عليه خبر بشارة المولود فأصدر أمرا ثانيا بطلب البحث عليهم، حتى عرفوا مركزهم وأحضروهم بأسرع ما يمكن. ولما مثلوا بين يدى هيرودس الملك كان كله عيونا ناظرة وآذانا صاغية طالبا منهم أن يقصوا عليه خبر ما نظروه بالتفصيل مظهرا لهم رضاءه التام مؤكدا أنه يريد السجود له، واستعمل معهم المكر والخداع حتى صدقوا كلامه وقصوا عليه الخبر المذكور فى الكتاب المقدس إلى أن قالوا له إننا رأينا وسمعنا ونظرنا وقدمنا هدايا وسجدنا للصبى. وبما أن حدوث ذلك الأمر كان من مدة سنتين وأكثر، فالآن أيها السيد الملك لا نعلم أين الصبى وأمه ولا فى أى أرض وأى مدينة هما، فأطلق سراحهم وفكر فى نفسه ماذا يعمل حتى يهلك الصبى، فعقد مجمعا آخر من عظماء اليهود ليتشاوروا فى الأمر وطلب منهم أن يدبروا ما يضمن هلاك المولود. وبعد أن جلس شيوخ اليهود تشاوروا فيما يلزم عمله للتمكن من قتل الصبى طاعة لأمر ملكهم، فقرروا لزوم إعادة النشر ثانيا عن أوصافه وأمه فلم يهتدوا عليهم كما حصل أولا.

أخيرا زمجر هيرودس الملك مثل الأسد وغضب غضبا شديدا وأمر البلاد وجميع مدن إسرائيل أن يقتلوا الأطفال الرضعان من سن سنتين فما دون، ظنًا منه إنه ينال ما يتمنى من الإيقاع بالطفل ما دام أنه غير معروف لهم.

وما صدر أمر ذلك القاسى القلب والغليظ الطباع. الفاقد

الحنان. العديم الإيمان. حتى أوقعوا الفناء بالأطفال الرضعان، وقد وصل البكاء والاستغاثة والصراخ عنان السماء، لكن وا آسفاه لا شفيق يرحم ولا ملك يندم بل كانت المذبحة عامة، وبالاختصار كانت الحالة تعسة تقشعر منها الأبدان وتصم لها الآذان، وربما كانت الحجارة أرق قلبا فى ذلك اليوم من هيرودس الملك وأعوانه المتوحشين حيث كان الدم البرىء يسيل على الأرض كما يسيل نيل المصريين أيام فيضانه، وتمت تلك الواقعة المحزنة بقتل مائة أربعة وأربعين ألف طفل، قد استلمت أرواحهم الملائكة ليسكنوا فردوس النعيم ويشكوا أمرهم للرب الرحيم.

ولنعود لذكر السيد المسيح والسيدة الطاهرة مريم العذراء، فنقول إنه ليلة صدور الأمر من هيرودس بقتل جميع الأطفال، ظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم وقال له: «قم خذ خطيبتك مريم والمولود واهرب إلى أرض مصر لأن هيرودس يطلب نفس الصبى ليقتله وكن هناك حتى أخبرك». فلما استيقظ من نومه أعلم خطيبته بما قاله الملاك، وقام للحال مسرعا وجهز أتانة وأركب العذراء والطفل عليها، ومشى هو وسالومة حيث كان يرافقهم ملاك الرب. وظلوا سائرين إلى أن وصلوا الفرما التابعة للعريش ولم يدخلوها بل قضوا ليلتهم خارجها. وفى ثانى يوم استأنفوا المسير إلى أن وصلوا بسطة أول قرى مصر فدخلوها حيث كان ذلك فى مثل هذا اليوم الذى هو الرابع والعشرين من شهر بشنس المبارك. وجلسوا تحت شجرة خارج المدينة ليستظلوا بها من حرارة الشمس، واتفق أن عطش الطفل، وبعد البحث لم يجدوا ماءً ولا آبارا البتة، الأمر الذى حمل العذراء أن تمضى به للمدينة نفسها طلبا للماء، وبعد العناء الشديد لم تجد من يعطيها من سكان تلك القرية التى كانت مأهولة بأناس كفرة لا

يعرفون الشفقة، فرجعت بخفى حنين وأعلمت خطيبها يوسف بذلك، فقام يبحث حول الشجرة وإذا بقطعة حديد ملقاة على الأرض، فأخذها وحفر بها الأرض إلى أن ظهرت عين ماء زلال فشربوا هنيئا وسبحوا المولود الخالق جل اسمه، الذى كان يبلغ من العمر بالجسد سنتين ونصف.

وفيما هم جلوس مر بهم المدعو قلوم وسألهم من أين أنتم؟ فأجابوه نحن قوم غرباء من أهل فلسطين نستريح هنا قليلاً، فدعاهم إلى منزله فباركته السيدة العذراء وأخذت ابنها ومن معها وذهبوا معه حيث كانوا موضوع الحفاوة والإكرام.

ولبثوا هناك مدة من الزمن فى خلالها كانت تخرج العذراء يوميًا لتستقى من عين الماء. وحدث أن خرجت فى أحد الأيام على حسب عادتها، وأخذت الطفل معها وسارت به فى المدينة. وإذا بصنم أهلها الذى يعبدونه لم يستطع الثبوت بل سقط وهرب خدامه الشياطين. ولما علم كهنتهم بذلك ذهبوا وأعلموا الوالى فغضب كثيرا وأمر بقتل الصبى الذى سبب ذلك كله. ولما ذاع الخبر علم الرجل الصالح قلوم الذى ذهب حالاً وأخبر السيدة العذراء ومن معها بمبارحة تلك البلدة بسرعة حفظا لحياتهم، فبرحوها بعد أن بارك السيد له المجد منزل الرجل الصالح قلوم بقوله السلامة والبركة تحلان عليك وفى منزلك كل أيام حياتك بسبب قبولك لنا وما صنعته من المعروف معنا ويخلد اسمى على هذا البيت إلى الابد. ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى مكان قفر أقاموا فيه تحت شجرة كانت هناك، بعد أن أوجد الرب يسوع عين ماء اغتسل فيها وغسلت العذراء ثيابه واسم ذلك الموضع «المحمة»، حتى يومنا هذا ومنه جددوا المسير إلى أن وصلوا مدينة بلبيس، حيث وجدوا نعشا محمولا

داخله ولد لامرأة مسكينة، كانت تقطن تلك المدينة والحزن والأسى يملآنها، فانتهر السيد المسيح من كان فى النعش ميتا بقوله له: قم يا نائم. فنهض جالسا وسجد للرب، وابتدأ يتكلم بما رآه ويصرخ قائلا: هذا هو الإله الحقيقى مخلص العالم الذى أتى متجسدا من هذه العذراء بالسر الذى لا تدركه العقول البشرية. فلما سمعت الجموع تعجبوا ونظروا إلى قوة الآية وآمنوا بالسيد المسيح الذى بارح المدينة. واستأنف المسير ومن معه إلى أن وصلوا منية جناح التى بالقرب من سمنود ومنها إلى سمنود نفسها فقبلهم أهلها بالفرح الزائد، وطلبت السيدة العذراء من المخلص أن يبارك المدينة وأهلها فأجابها بقوله: إنه سوف يكون بهذه البلدة بيعة مباركة باسمى واسمك إلى الأبد. ومن هناك ذهبوا إلى البرلس ونزلوا فى قرية تدعى شجرة التين فلم يقبلهم أهلها، فمضوا إلى موضع آخر يسمى المطلع حيث وافاهم رجل وأحضر لهم ما يحتاجونه بفرح عظيم فقال السيد لوالدته: يا أمى كل مكان لم يقبلونا فيه سوف يخرب وتغطيه المياه ويتغرب أهله فى أقاصى الأرض، أما هذا المكان الذى قبلنا فيه ذلك الرجل فستشيد فيه بيعة عظيمة باسم رئيس الملائكة ميخائيل. ثم مضوا إلى نقطة تدعى «بلاد السباخ» فعشطوا ولم يجدوا ماء البتة وكان هناك حجر ملقى على الأرض جلس عليه الرب يسوع وباركه فأنبع ماء زلالا وقال: هذا يكون شفاء لمن يأخذ منه بإيمان، وسوف تبنى فى هذا المكان بيعة مقدسة باسمى واسمك ويرفع صيتها فى كل أقطار المسكونة وتأتى إليها كل القبائل وتتبارك منها ويدعى اسمها «بيخا إيسوس» الذى تفسيره «عقب يسوع» ويدعى الآن دير المغطس. وبعد ذلك ساروا إلى أن وصلوا جبل النطرون فبارك السيد جهاته الأربع وقال: إن هذا الجبل سيكون به

جملة أديرة وكنائس يعمرها الرهبان وكل من يود أن يخدم الرب.
ويكون فيه شعب يرضيني فيأتي الناس من كل فج عميق ليتباركوا
منه حيث لا أدع وحوشا تسكنه البتة بل يكون مباركا ومحلا لقدسي
إلى دهر الداهرين ويسمى «بوادى هبيب أو ميزان القلوب». وبينما
هم سائرون في الطريق خرج عليهم لصان وسلبا ما معهم من الثياب
ولم يبقيا له إلا الأشياء الضرورية لسترة الحياة. وعند ذلك تنهدت
مريم وعادت تبكى وتفكر فيما جرى لهم، وكان اللصان على بعد
يراقبان حركاتهم وسكناتهم، وكانت مريم قد تعبت من السفر وأثر
فى نفسها هجوم اللصين المذكورين وأخذهما ملابسهم فأرادت أن
تستريح من التعب لكن تلك البقعة كانت أرضا صحراوية لا ماء ولا
زرع فيها ولا حائط تسند عليه رأسها، فعند ذلك أنبت الرب شجرة
كبيرة مظلة لهم فاستراحوا تحتها، وأما اللصان اللذان سلبا ثيابهم
وقلنا إنهما كانا يقتفيان أثرهما من بعيد قد أراد الله أن ينقسما فى
الرأى ضد بعضهما فندم أحدهما على ما فعل وقال لزميله اللص
الثاني: إن هؤلاء أناس مسافرين لا يوجد معهم سوى كسوتهم وليس
من الصواب أخذها بل نردها لهم من أجل هذا الطفل الذى معهم لأن
وجهه نورانى لامع البرق وربما يكون ابن ملك من ملوك الأرض
وتكون هذه المسألة لنا بمثابة عثرة فى المستقبل فتقع علينا المصائب
من كل جانب فما لنا وهؤلاء فلنرد لهم أمتعتهم وكفانا الله شرهم.
فلما سمع اللص الثانى قول زميله انزعج خاطره وخاف عواقب
الأمور ووافقا بعضهما على رد الأشياء إلى أصحابها فأرجعاها.
وعاد أحدهما وسلمها لهم وانصرف وكان السيد المسيح تبارك اسمه
يرضع وقتئذ فالتفت إلى أمه ويوسف وسالومة وفتح فاه المقدس وقال
إنه سيأتى يوم فيه يصلب هذان اللصان معى واحد عن يمينى والآخر

عن يسارى. فتعجبوا من هذا الكلام واندهشوا من عظم الأمور الخارقة الطبيعة البشرية إذ تارة يشبه إنسان يرضع وينام، وتارة يعمل أعمال الآلهة ويتكلم كإله عظيم. وأخرى يتكلم عن مستقبل الأيام ثم يصمت ولا يتكلم. وعند الضرورة يعمل أعظم المعجزات حتى هالهم الأمر وتاهوا فى بحور الأفكار البشرية وكانوا يحفظون كل ما يقوله ملاحظين حركاته وسكناته. ثم بعد هذا كله أظهر الضعف وقال: يا أمى أشعر إنى عطشان وأريد كأسا من الماء البارد. وفى هذه الأثناء حدث أن يوسف نظرا لما قاسوه فى سفر الطريق والجبال الغير منتظمة والأراضى العثرة حيث كلها شوك وأحزان نام تحت الشجرة التى أنبتها السيد من أجلهم واستغرق فى ثبات النوم العميق، أما مريم فبقيت متيقظة ساهرة على راحة الصبى لا تنام ولا تشكو أمرا بل كانت فى أغلب الأوقات تتعزى بمستقبل الراحة فقد تركتهم نياما وقامت مسرعة والصبى محمول على ذراعيها فنظرت مساكن على بعد فظلت تمشى حتى وصلت قرية فدخلتها حيث وجدت فيها أناس لا يعرفون الخير ولا يسمعون بذكر الرب فطلبت من أحدهم كأس ماء لتسقى رضيعها فلم يعطها.

وقيل إن السيد أنبع الماء تحت الشجرة وذلك عليه ليس بعزيز لأنه ابن العلى يدعى ومستطاع لديه كل شىء ولكن المؤرخين قد اختلفوا فى هذه الشجرة التى أظهرها السيد فمنهم من يقول أنها فى حدود الشام الأخيرة ومنهم من يقول إنها فى أرض مصر بمديرية الشرقية وإنما الثابت حتى عند الأجانب أنها شجرة المطرية التى سنتكلم عنها بعد.

ولنعود الآن إلى يوسف وسالومة إذ بينما كانا نائمين أيقظتهما السيدة العذراء فتنبها. ونظرا عين ماء صاف عذب فتعجبا

وسألا العذراء كيف ظهر هذا الماء فأشارت إلى الصبى فعلما أنه أوجد الماء كما سبق وأظهره من قبل فقاموا جميعا بيد وظلوا سائرين إلى أن دخلوا حدود القاهرة إلى مدينة عين شمس، وكان للشيخ عصاة يتوكأ عليها من أشجار أرض أريحا فأخذها السيد له المجد وكسرها قطعا وغرسها فى ذلك الموضع القفر ووضع يده الإلهية على الأرض فللوقت نبع منها ماء عذب فأخذ بيديه الطاهرتين وشرب وروى تلك العيدان اليابسة فاخضرت وأنبتت أغصانا وفاحت منها رائحه طيبة وهو ما نسميه شجر البلسم والمكان يدعى الآن المطرية، وعين الماء تدعى البئر المقدسة وهذا البلسم كان ينبت بمدينة أريحا وكان يستخرج دهنه ويستعمل لمسح الملوك والكهنة وأوانى بيت المقدس ولم يزل كذلك إلى أن جاء صاحب القدرة والعظمة والسلطان فأبطله من هناك وأمر بنموه هنا، ودهنه يستعمل للميرون المقدس الذى يناله المعتمد بعد اعتماده حال خروجه من الماء وتحل بواسطته عليه الروح القدس وبه تدهن المذابح والألواح وسائر أوانى هيكل الرب وقد بارك الله تلك الجهة قائلا: كل من ينزل فى البئر المقدسة للاستحمام أو الشرب يشفى من سائر أمراضه. وبارك الشجرة قائلا: لا تعدمى ولا يسقط منك ورق حتى يرث الله الأرض وما عليها. ولا شك أن أمر الشجرة من أغرب الغرائب لأنه مضى عليها زمن طويل والشجرة هى هى لم تسقط منها ورقة لا صيفا ولا شتاء. لا ربيعا ولا خريفا. باقية لزيارة كل طالب وكل من وصل إليها يحفر اسمه عليها حتى أن الأسماء المنقوشة لا يمكن حصرها وبالجملة فإنها اشتهرت كثيرا كأنما هى الشمس فى رابعة النهار ثم بارحوا المطرية قاصدين فسطاط مصر ونزلوا بموضع معد لمبيت الغرباء حيث كان فيه مغارة فنزلوا بها وقال المخلص لوالدته: سيكون هنا

بيعة على اسمك وتكون محطا للزائرين وميناء الخلاص. وهى باقية إلى يومنا هذا وتعرف باسم (أبو سرجة) وبعد ذلك جددوا المسير متجهين إلى الوجه القبلى وفى أثناء مسيرهم على شاطىء البحر نظروا صخرة عظيمة عالية جدا والمياه تحيط بها فباركها السيد له المجد وقال: سوف يبنى عليك كنيسة باسمى واسم والدتى. وهى الآن معروفة بسيدة الكف لأن الرب وضع يده عليها فصارت علامة مطبوعة فى الصخر ومن هناك مضوا إلى الأشمونين حيث كان أهلها يعبدون حصانا من نحاس داخله شيطان وكان من عادته أن يدور يمينا أو شمالا ويهلك الأعداء المحاربين لأهل هذه المدينة ولما وصل السيد له المجد لم يستطع هذا الحصان الثبوت بل سقط للوقت وخرجت خدامه الشياطين وبطلت قوته. وكان يوجد هناك أشجار ونخل كثير طأطأ إلى الأرض سجودا للسيد المسيح ووالدته العذراء وكانت من بينهم نخلة عالية نظرت إليها السيدة العذراء وقالت: انتقلى أيتها النخلة بقوة العلى وانغرسى فى جبل الزيتون حيث سيذهب ابنى هناك وتتم أعماله على الأرض ويدخل أورشليم بالمجد والكرامة ويخرج أولاد العبرانيين للقائه وبأيديهم أغصان الزيتون وسعف النخل يكون منك ويسبحونه فى ذلك اليوم قائلين: أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب. ويكون عيد عظيم معروف عند كل الأمم بعيد الشعانين. فأطاعت أمرها. وصنع الرب آيات كثيرة بمدينة الأشمونين. وبعدها تركوا تلك البلدة واستأنفوا المسير من الجبل الشرقى إلى الغربى حتى وصلوا إلى جبل قسقام المعروف الآن بدير المحرق وبنوا هناك موضعا صغيرا وأقاموا فيه ستة شهور وهو عظيم جدا على اسم سيدتنا العذراء.

فينبغى لنا الآن أيها الإخوة الأحباء أن نمجد ربنا يسوع المسيح الذى تنازل واختار هذه العذراء فظهر منها إنسانا كاملا بالسر العظيم الذى لا تدركه العقول البشرية ونظرناه بأعيننا. أتى ابن الله إلى مصر ومشى فى أرضها وخلصنا من يد العدو الشرير وأباد الأصنام والمعبودات وطهر الأرض ونقض الأعمال الرديئة وكمل أقوال الأنبياء الصادقين. وكان السيد يسير من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية حتى كمل سر تجسده العجيب وأهلك هيرودس المنافق وذلك أنه صنع يوم ميلاده وليمة عظيمة وكان عنده جماعة أكابر مملكته وجنوده وكل رؤساء المدينة جالسين يأكلون ويشربون ويطربون بكل آلة من الملاهى النجسة فأنزل الله به قروحا فامتلأ جسمه دودا وخر صريعا وضربه ملاك الرب بسيف من نار ومات شر ميتة ونزلت روحه إلى الجحيم حيث الشيطان وجنوده الشريرة.

ظهر ملاك الرب ليوسف فى الحلم وقال له: قم خذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل فإن الذين يطلبون نفس الصبى قد هلكوا. فقام يوسف مسرعا وشد الأتان وركبت العذراء مع ابنها يسوع ومشى أمامها مع سالومة إلى أرض اليهودية فخاف يوسف أن يمضى إلى أورشليم لما سمع أن أرخلاوس ملك على اليهود بدل هيرودس أبيه فمضى وسكن فى الناصرة لكى تتم نبوات الأنبياء أنه يدعى ناصريا ولم يزل السيد مقيما فى تلك الأماكن المقدسة إلى أن كمل تدبير تجسده وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، المكان الذى لم يخل منه قط طرفة عين.

طوباك أيتها العذراء القديسة المباركة لأن الرب الإله اختارك

وجعلك له هيكلا مقدسا وإناء مكرما وحل فى أحشائك الطاهرة وتم وعده لآدم بعد خمسة آلاف وخمسمائة سنة، ورده إلى رئاسته الأولى وأسكنه الفردوس دفعة أخرى وأحياه بالمعمودية المقدسة. من قبلك أيتها العذراء صرنا بنينا للملكوت. طوباك أيها الشيخ البار يوسف النجار لأنك استحققت خدمة هذا السر العظيم الذى تعجز عنه أفهام البشر. طوباك أيتها الغصن الرطب الذى حمل الثمار الإلهية وخدم رب البرية السيد يسوع المسيح ابن الله الحى الراكب على المركبة النارية الشاروبيمية هذا الذى إياه نسأل بشفاعة العذراء وطلباتك المقدسة أيها الشيخ المبارك البار يوسف النجار أن يمنحكم إرث ملكوته الأبدى. ونعمه السرمدية ويجعلكم مستحقين للوقوف مع ملائكته النورانيين المسبحين مع الشهداء القديسين. ويغفر خطاياكم. ويسامحكم بآثامكم ويستر هفواتكم. ويتجاوز عن سيئاتكم. ويمنحكم العفو والمسامحة ويهب الصحة لكهولكم. والقوة لشيوخكم. والعفة لشبابكم. والنشأة الصالحة لأطفالكم. ويسحق الشيطان عاجلا تحت أقدامكم. ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهكم على مر الدهور والأزمان. ويقبل دعاءكم. يرفع منار المذهب المسيحى الأرثوذكسى فى سائر أقطار الأرض ويسمعنا وإياكم الصوت الفرح القائل «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم» بشفاعة سيدة نساء العالمين. والرسل والشهداء المنتخبين. وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الميمر الرابع

حلول السيدة العذراء بجبل قسقام[١]

﴿اليوم السادس من شهر هاتور﴾

الحمد لله الذى أنار بصائر الخلصاء، وطبع سر ظهوره على صفحات سرائر الاخصاء، ووضع أكاليل المواهب الملكوتية على مفارق رؤوس الأصفياء، وأيد بنور الحكم اللاهوتية عقول الأنصار والسليحين الأوصياء، وحقق كمال جوده بتجسد كلمته، وكشف غوامض أفكاره للمختارين من صفوته، نحمده على ما أولانا من سوابغ نعمائه، حمدا يقضى حقوق عوارفه وآلائه، سبحانه من قال هأنذا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهور والأعوام: نمجده على فضله الجزيل ونشكره على نعمه، له السبح والوقار والمجد والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

حسنا أيها الأعزاء ما قاله داود النبى المرتل أب السيد المسيح بالجسد: «إن نورك وحقك هما اللذان أرشدانى وأتيا بى إلى جبل قدسك ومنازلك المستعدة، نعم قد كمل هذا القول عن ذلك الجبل المقدس الذى اختاره الله وسكن فيه مع والدته العذراء إذ قال إن الرب أحب مساكن صهيون وجبلها وسكن فيه إلى الأبد، هذا الجبل الدسم، هذا الجبل المقدس، هذا الجبل الطاهر الذى أحبه أكثر من جميع مدن مصر إذ أنه لم يرد أن ينزل فى بيت رئيس أو غنى أو صاحب مركز لكنه اختار ذلك الجبل المقدس وتلك البرية القفرة التى

[١] لواضعه القديس أنبا ثاوفيلس بطريرك الاسكندرية.

لم يعبرها إنسان ما. فبأى شيء تشبه ذلك الجبل الطاهر وبأى لسان ننطق عن مجده ذلك الذى أصبح مغمورا برب القوات وملائكته الروحانيين وصار فرحا وابتهاجا للشاروبيم والساروفيم وجميع الرتب العالية. أمست خدمة الإله الساكن فيه. طوباك أيها الجبل الطاهر لأنك ارتفعت جدا مثل جبل حوريب وتشبهت بطور سيناء التى هى مسكن مخلصنا يسوع المسيح ورسله الأطهار. طوباك أيها الجبل المقدس لأنك قبلت الله ووالدته العذراء. تعال أيها النبى العظيم إشعياء واصرخ فى وسطنا اليوم بقولك. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا. نعم وقد أخبرت أيضا أن الله يعطى راحة فى هذا الجبل، الملوك يزولون والجند يهلكون والأمم تنتهى واسمك هو هو لم يتغير لأن إله القوات اختارك دون خلافك. كل الشعوب تأتى إليك من أماكن قاصية لاغتنام بركتك ونوال مغفرة خطاياهم كما قال إشعياء النبنى يكون جبل الله فى آخر الأيام طاهرا ومرتفعا فوق الجبال وعاليا على كل شامخ مرتفع. تأتى إليه جميع الأمم وكل الشعوب يكلمون بعضهم البعض قائلين هلموا بنا إلى جبل الله وبيت إله يعقوب لنعرف بواسطته سبلا نسلكها لأن الناموس يأتى من صهيون وكلمة الرب من أورشليم. أنت حقا جبل لله وبيت إله يعقوب إذ سكن فيك متجسدا من العذراء. أنت الطريق الهادى إلى سبل الرشاد وإليك يأتى الناس من أماكن بعيدة لنوال كرامة القديسة مرتمريم العذراء والتبرك من تلك البرية القحلة التى صارت ملجأ للملكة الحقانية وابنها الوحيد.

قال يوحنا فى رؤياه: «إنى رأيت امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها. واثنى عشر كوكبا يكللون رأسها وهى حبلى تتمخض لتلد» وقال أيضا إنى رأيت تنينا عظيما قائما أمام المرأة

لكى إذا ولدت ابنها يبتلعه ذلك الذى يرعى شعبه بقضيب من حديد اختطف ابنها إلى الله والى كرسيه الطاهر وبعد ذلك رأيت أن التنين قد قذف من فيه نهر ماء خلف المرأة فابتلعته الأرض وأعطاها الله جناحى نسر لتطير بهما إلى البرية التى أعدت لها وهناك يعولها مدة ألف ومائتين وستين يوما بعيدا عن التنين الذى غضب عليها كثيرا وأقام حربا ضد نسلها الحافظ وصايا الله وشهادات يسوع المسيح. ذلك ما تنبأ به الرسول الإنجيلى وكله يشير إلى الأسرار الإلهية، وإليك تفسيره. قال إن المرأة يعنى بها سيدة الأبكار، والشمس المتسربلة بها مخلصنا الذى تجسد منها وخلص آدم وذريته. والقمر هو يوحنا المعمدان الذى تسربل بنور روح القدس ونعمة المعمودية المقدسة. والاثنى عشر كوكبا المتوجة لرأسها هم الآباء الرسل الأطهار الذين كانوا سببا فى نشر كلمة الرب لكل قاص ودان وبواسطتهم عرفنا الإيمان المستقيم بربنا يسوع المسيح. والتنين القائم خلفها هو إبليس اللعين. والماء الذى قذفه هو غضب هيرودس. والحرب التى أتى بها على نسلها هى قتل الأطفال. والبرية التى هيأها الله للمرأة هى هذا المكان المقدس وقد حلت فيها مع ابنها الوحيد المتجسد منها. فلنصرخ مع يعقوب أب الآباء بقولنا إن هذا بيت الله وهذا باب السماء مجمع القديسين.

-- أقول لكم أنا الحقير ثاوفيلس واضع هذا الميمر اننى لما دخلت ذلك المكان المقدس ابتهجت جدا وامتلأت نفسى فرحا وسرورا ونسيت أتعابى وطول المسافة وتركت العالم الزائل وما فيه لأن العذراء طلبت إلى ابنها الحبيب أن يغفر آثام كل من يقصد ذلك الموضع المقدس حيث لا يبقى للشيطان عليه سلطة ما دام يتبع الله ويسلك فى طرقه الصالحة. فبماذا أنطق وأى كرامة أقدم لك أيها

الرب الإله على نعمك التى خصيتنى بها أنا الحقير. أعطيتنى جسدك المقدس ودمك الزكى مغفرة لخطاياى وأجلستنى على كرسى الرئاسة ووكلتنى لرعاية شعبك ووفقت لى زمنا هادئا وملوكا أبرارا مؤمنين ونزعت عنى الكدر وألم القلب وأعطيتنى ما أشتهى من زيارة ذلك المكان المقدس الذى أنا جالس فيه الآن بالحقيقة اننى متعجب من ضيعة حقيرة كهذه تكون مسكنا لابن الله الكلمة ووالدته العذراء، وما لى وهذا الاستغراب بيد أنه لم يحصل إلا بمسرة الله ابيه وروح قدسه المحيى. له المجد الآن وكل أوان.

اسمحوا لى أيها الاعزاء أن أخبركم بأمر غريب في ذاته وهو أنه لدى وصولي إلى ذلك المكان المقدس بمسرة الله، ولما كان فى بعض الأيام عند الغروب اضطجع اخوتى الاساقفة نياما أما أنا ثاوفيلس فقد صعدت إلى المقصورة التى كانت تسكنها السيدة العذراء مدة إقامتها هناك وابتدأت اصلى بحرارة إلى الحق سبحانه وتعالى بقولى «أيها الإله القادر أتضرع إليك بخشوع يا من يسمع صوت الضعيف ويقترب من الذين يطلبونه بقلوب نقية، أن تعلمنى خبر مجيئك مع والدتك العذراء إلى أرض مصر واقامتكما بهذه البرية حتى ابنى كنيسة على اسميكما العظيمين اكراما لعظمة إله القوات ومجدا لقدرة لاهوته» وما لبثت أن قلت هذا حتى رأيت نورا يفوق الشمس اضعافا ومركبة نورانية عظيمة تحمل السيدة العذراء بوجهها النورانى الذى لم اقدر أن انطق بمجده حيث كانت مرتدية حلة سمائية عظيمة المقدار وعن يمينها ويسارها الملاكين الجليلين ميخائيل وغبريال فعندها سقطت على وجهى مذعورا فأشار إلى الملاك الجليل ميخائيل الذى أقامنى ورشمنى بمثال الصليب ونزع عنى الرعب. وبعدها قامت السيدة العذراء وقالت يا ثاوفيلس خليفة

ابنى الوحيد قم ولا تخف. تشجع ولا تهرب. سلام لك أيها المجاهد العظيم لقد صعد بخورك إلى منبر الآب والابن والروح القدس رائحة طيبة أيها النور المضى فى وسط البيعة. السلام لك ارفع نظرك إلى والدة الإله خالق السموات والأرض الذى حملته فى بطنى تسعة أشهر ورضع لبن ثديى مع أنه المغذى الوحيد. أنا مريم ابنة يواقيم ابنة حنة من سبط يهوذا من أصل داود جئت إليك كى أعلمك ما تريد من نحو مجيئنا إلى أرض مصر واختيارنا هذا الجبل المقدس، فإن ذلك كله لم يتم إلا بارادة ابنى الوحيد وأبيه الصالح والروح القدس لتعلم مقدار اتضاعه إذ لم يرد أن يتخذ له مسكنا رفيعا أو بناء شاقها بل اختار هذا المكان ليكون موضوع حديث الامم التى ستعمر الأرض من بعد. ولى حديث عظيم سأقصه عليك فكن صاغيا لما سأقول واكتبه وانشره فى كل أقطار المسكونة تذكارا مقدسا لكل المؤمنين فعندها خررت لها ساجدا بخوف ورعدة وكلمتها بصوت اليصابات قائلا السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. من هو أنا الحقير فى البشر حتى تأتى أم ربى الىّ. أشكرك يا ربى يسوع المسيح لأنك اعطيتنى كرامة عظيمة.

ولنعود الآن إلى شرح ما قالته السيدة العذراء عن خبر دخولها أرض مصر وحلولها فى الجبل المقدس. قالت إننى لما ولدت الحبيب أضاء نوره فى المشرق فحجب الكواكب بأجمعها حيث كنت غريبة فى مغارة بيت لحم وليس لى من يخدمنى بل ولم أر امرأة البتة ولدت إلا العجوز الطاهرة اليصابات العاقر التى لما قربت أيام ولادتها اعد أقاربها جميع ما تحتاجه أما أنا فلم أجد ثوبا أستر به ابنى الحبيب يوم ميلاده بل فتشت المغارة كلها طلبا فى خرقة بالية حتى عثرت عليها أخيرا وسترته ووضعته فى مذود هناك حيث كان

يوم ميلاده فى التاسع والعشرين من شهر كيهك. نظرت حولى وإذا بالمغارة ممتلئة من طقوس الملائكة ورؤسائها وجماعة السمائيين والشاروبيم والساروفيم كلهم سجود له صارخين قائلين بأصوات التهليل: هذا هو يوم الخلاص. هذا يوم المغفرة. هذا هو يوم الفرح. هذا هو يوم السرور. هذا هو يوم التهليل «المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» مباركة أنت فى النساء ومباركة ثمرة بطنك التى سيكون منها خلاص البشرية. طوبى لنا نحن جماعة السمائيين على الاستحقاق من نحو مناظرة وخدمة سيدتنا العذراء النقية الخدر الملوكى الحمامة الغير دنسة أم ملك الملوك مخلص العالم التى أتى إليها بعد ذلك جبرائيل الملاك بابتهاج وخر ساجداً للمولود منها، ثم قال لقد كمل ما سبقت وبشرتك به من أنك ستحبلين وتلدين مخلص العالم إلى أن جاء يوسف النجار خطيبى تصحبه الست سالومة، تلك التى نظرت إلىّ وسجدت ثم قالت طوباك أيتها العذراء لانك صرت أما لله رب القوات منشىء الخليقة، وشهد بذلك الأنبياء الأطهار من قبل. وها أنذا سأكون خادمة لك كل أيام حياتى لا أفارقك طرفة عين. وبعد ذلك وفد علينا رعاة كثيرون وسجدوا لابنى الوحيد وصاحوا قائلين أنت مخلص العالم ابن الله حقيقة كما أوحى لنا. ثم التفتوا نحوى وقالوا طوباك أيتها العذراء سيدة نساء العالمين. وطوبى للبطن التى حملتك. والثديين اللذين أرضعاك لأنك ولدت مخلص العالم، وسمعنا الملائكة يسبحونه بقولهم «المجد لله فى الاعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» فعندها تعجبت كثيرا مما أشار به أولئك الرعاة، واختتن الطفل بعد ثمانية أيام من ميلاده ودعى اسمه يسوع كبشارة الملاك قبل الحبل وأتى المجوس من المشرق وسجدوا له. فاضطرب هيرودس الملك لظنه أن المولود ملك

أرضى ونسى أنه ملك السموات والارض، ولخوفه على مملكته جمع رؤساء الكهنة وسألهم أين يولد المسيح فأجابوه فى بيت لحم أرض اليهودية. ثم دعا المجوس وتحقق منهم زمان النجم لكى يقتل الصبى. ولما كان المكان الذى فيه رب القوات مجهولا لديه فقد طلب إلى المجوس أن يذهبوا ويفتشوا عنه ومتى وجدوه يخبروه ليذهب هو أيضا ويسجد له. وقصد بذلك التضليل بهم عله يتمكن من نفس الصبى، فإطاعة لأمره ذهب المجوس حتى وصلوا إلينا وسجدوا لابنى الحبيب لما رأوه وديعا متواضعا وملفوفا بخرقة بالية وقدموا قرابينهم ذهبا ولبانا ومرا ومجدوه قائلين أنت الملك العظيم الذى أتيت إلى العالم لانقاذه من شر اللعين. وللوقت ظهر لهم ملاك الرب وقال لهم لا تعودوا إلى هيرودس بل اذهبوا إلى كورتكم بسلام. ولما بلغ الرب من العمر اربعين يوما أخذناه وصعدنا به إلى الهيكل المقدس حيث وجدنا هناك رجلا تقيا اسمه سمعان، حمل الطفل على ذراعيه وبارك الله قائلا «الآن يا سيد تطلق عبدك حسب قولك بسلام لأن عينى قد أبصرتا خلاصك. نور اعلان للامم ومجدا لشعبك اسرائيل». وللوقت أسند رأسه بجانب المذبح وأسلم الروح، وخلص من اتعاب هذا العالم الزائل، ولما أكملنا كل شيء حسب الناموس رجعنا إلى مدينة أورشليم بفرح وسرور.

أما هيرودس الملك فإنه مكث سنتين كاملتين ينتظر عودة المجوس وعبثا كان يحاول لأن الشيطان ظهر له وحرضه على قتل كل الأطفال الذين فى بيت لحم اليهودية وتخومها من ابن سنتين فما دون لعله يظفر بقتل يسوع، وإذا بملاك الله قد ظهر ليوسف فى الحلم فى الليلة نفسها وقال له «قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك» فقمنا للحال مسرعين وأخذنا سالومة معنا حتى

وصلنا إلى أرض مصر بعد تجشم مصاعب جمة لوعورة الطريق وبعد المسافة وحرارة الشمس وبرودة الطقس، مما لو ذكرته لك يا ثاوفيلس بالايضاح لضاق بنا المقام إذ أول بلدة نزلنا بها بعد مسيرة طويلة تدعى الفرما ومنها إلى بسطة أول قرى مصر ثم إلى نقطة تدعى المحمة ومنها إلى بلبيس حتى منية جناح التى هى على مقربة من سمنود ذاتها ثم إلى البرلس ومنها إلى موضع يدعى المطلع حتى نقطة بلاد السباخ ومنها إلى جبل النطرون ومنه إلى حدود القاهرة لبلدة تدعى عين شمس ثم إلى فسطاط مصر حيث اقمنا هناك مدة من الزمن فى مغارة تدعى الآن «بابى سرجة». وبعدها استأنفنا المسير إلى جهات الوجه القبلى إلى بلدة تدعى الأشمونين حتى جبل قسقام الذى أنت فيه الآن يا ثاوفيلس.

أما العجائب التى صنعها ابنى الحبيب أثناء سيرنا فحدث عنها بكل سرور إذ اقام الموتى وأخرج الماء من الصخر وأباد الأصنام وأوجد الأشجار من العدم وتخلص من والى الفسطاط الذى كان يريد قتله لما رآه من القدرة الإلهية التى كانت سببا لاظهار قوة معبوداته الوثنية التى لما رأت الإله المتعالى سقطت على وجوهها وتكسرت وهربت قدامها الشياطين وها هى شجرة البلسم بجهة المطرية أعظم دليل على قدرة ابنى الوحيد الذى باركها قائلا لا تعدمى ولا يسقط منك ورق حتى يرث الله الأرض وما عليها. وقد مضى عليها زمن طويل لم تسقط منها ورقة.

والأغرب من ذلك كله يا ثاوفيلس إننا لما عبرنا بلدة الأشمونين حيث كان أهلها يعبدون صنما من نحاس تسكنه الشياطين وكان من عادته أن يدور يمينا وشمالا ويهلك أعداء أهل هذه المدينة. فلما

وصل السيد له المجد لم يستطع ذلك الصنم الثبوت بل سقط وخرجت قدامه الشياطين وبطلت قوته وكانت توجد أشجار نخل كثيرة طأطأت إلى الأرض سجودا للسيد المسيح، وكان من بينها نخلة عالية جدا نظرت إليها وقلت انتقلى أيتها النخلة بقوة العلى وانغرسى فى جبل الزيتون حيث سيذهب ابنى هناك وتتم أعماله على الأرض ويدخل أورشليم بالمجد والكرامة ويخرج اولاد العبرانيين للقائه وبأيديهم أغصان الزيتون والسعف يكون منك ويسبحون فى ذلك اليوم قائلين: أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب ويكون عيد عظيم معروف عند كل الأمم بعيد الشعانين، فأطاعت امرى وانتقلت.

وكنا كلما نزلنا إحدى المدن أو القرى نقابل من أهلها بالترحاب العظيم اللائق بمقام ابنى الحبيب، إلا القليل منها التى كانت معمورة بأناس كفرة كانوا يرفضون قضاء ما نحتاجه وكنت كلما وصلت نقطة حسنة أطلب من الإله أن يباركها ذلك الذى قال يا أماه كل مكان لم يقبلونا فيه سوف يخرب وتغطيه المياه ويتغرب أهله فى أقاصى الأرض. أما المكان الذى نقبل فيه فسوف يعمر ببيعة مباركة إلى الأبد.

ولنرجع إلى هيرودس الملك فإنه بعد أن قتل الأطفال ظهر له الشيطان دفعه ثانية وقال له ماذا فعلت بقتلك الاطفال مع أن الطفل يسوع لم يزل حيا وها هو مع أمه فى صعيد مصر داخل برية قفرة فى بيت خرب لم يسكنه انسان البتة قم وارسل جندك عاجلا ليقتلوه فهو فى جبل قسقام فى البر الغربى. ولما قال ذلك اختفى عنه فحنق هيرودس وارسل عددا من الجنود مزودين بكل ما يلزم واوصاهم إذا وجدونا أن يأتوا بنا إليه احياء ليقتلنا بيده

ووعدهم بمكافأ عظيمة. وبعد ذلك ركب الجند خيولهم وساروا قاصدين ارض مصر حيث سبقهم نبى من سبط يهوذا اسمه يوسا احد أقارب يوسف النجار فلما علم بذلك قام ليخبرنا وجد فى مسيره بنعمة الله وقوته إلى أن وصل هذا الجبل، وفي اثناء مسيره ظهر له الشيطان بشكل إنسان وقال له ماذا تطلب يا انسان من هذه البرية القفرة فعرفه للوقت وأخفى عنه السبب. فقال الشيطان يا يوسا قد ضاع تعبك باطلا لأن الجند قد سبقوك، قاصدا بذلك التضليل به حتى يرجع ولا يأتى إلينا فلم يسمع كلامه وجد فى السير إلى أن وصلنا . فلما نظره يوسف البار عرفه فقام وقبله وسأله عن السبب الذى أتى لاجله فقال له إن هيرودس قتل مائة وأربعة وأربعين الف طفل لاجل الطفل يسوع، ولم يكفه ذلك بل لما علم أنكم أحياء أرسل عشرة من جنده ليأخذوكم إليه حتى يقتلكم بيده. فلما سمعت هذا الكلام انزعجت جدا وأخذت الطفل من سالومة وصعدت به إلى سطح البيت ظنا منى أن الجند أحاطوا بنا، وقلت الويل لى يا ابنى الحبيب. قد أحاطت بنا الرزايا من كل جانب. الويل لى يا ابنى الحبيب. تطلع إلى ذلى ومسكنتى وحزن قلبى. أيتها السماء ابكى معى. أيتها الأرض نوحى على ألم قلبى، يا كل القوات السمائية قفوا معى اليوم فى غربتى. يا داود أبى تعالى إلىّ وعزنى بقيثارتك الروحانية يا أبى يعقوب الحزين على فقد ولده يوسف تعالى اليوم وابك معى فنظر إلىّ ولدى الحبيب وقال يا أماه لا تحزنى فإن بكاءك أحزننى كثيرا واعلمى أنه لا يسكن متحرك ولا يتحرك ساكن إلا بارادة أبى الذى فى السموات، فاذهبى بى إلى يوسف النجار وسالومة وعزى خاطرهما لأنهما فى حزن شديد بسببى. ولدى

وصولنا قام مخاطبا الجميع بقوله لا تيأسوا من رحمة الله وتيقنوا أن الأمر بيده ثم نظر إلى يوسا وقال لقد اتعبناك كثيرا فخذ هذا الحجر وضعه تحت رأسك واسترح قليلا من عناء المسير.

إن الجنة ستكون لك بيتا لتسكن هناك مع آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب، فأخذ منه الحجر ووضعه تحت رأسه وللوقت أسلم الروح فقام يوسف الشيخ وشيعه ودفن جثته داخل البيت وختم قبره بالحجر ليكون تذكارا إلى آخر الأيام. وبعد ذلك اقمنا مدة يا ثاوفيلس إلى تمام الستة شهور حيث كان دخولنا هذا الموضع المقدس فى السابع من شهر برمودة وقيامنا منه فى السادس من شهر بابه اليوم الذى ظهر فيه ملاك الرب ليوسف وقال له قم وخذ الصبى وأمه وامض بهما إلى أرض إسرائيل فإن هيرودس المنافق قد هلك والجنود الذين ارسلت لكم من قبله قد ابادهم الله فى الطريق ولم يصلوا إلى موضعه المقدس. قال ذلك ومضى عنه. فقام يوسف واعلمنا ففرحنا كثيرا بالرجوع إلى بيت المقدس وعند مبارحتنا هذا الجبل الطاهر قام السيد له المجد وتكلم قائلا بركة ابى الصالح والروح القدس لهذا البيت إذ فيه يشيد هيكل حسن تقدم عليه ذبائح نقية وملاك السلامة يبارك كل من يأتى إليه ويسجد فيه بامانة وأنا أغفر له سائر خطاياه إذ إنه لو تاب ولم يرجع إلى العثرة ثانية فيكون من مصاف القديسين، وكل من كان فى شدة أو مرض أو حزن أو ضيقة أو هول أو خوف وأتى إلى هذا المكان وطلب بامانة فإنه يكون له ما يريد، كرامة لاسمك الطاهر يا والدتى العذراء وسيكون مأوى للغرباء وبيتا للرهبان وكل من يأتى إليه بالهدايا والنذور والبكور والعشور والقرابين، وتكون بركتى وسلامتى لساكنيه إذ لم يكن فيه

من يضاد اسمى ولا يهبط إلى الأبد ولا يتغير عما هو عليه ولا ينقض منه شئ بل يثبت إلى آخر الدهور. واعلمى إن كل من يخدم هذا البيت باسمى واسم ابى والروح القدس واسمك تكون بركتى فى منزله ويمتلىء من الخيرات السمائية، كل امرأة تتعسر فى الولادة وتسألنى باسمك وتذكر اتعابك معى تخلص سريعا، كل مكان عبرتيه سوف يبنى فيه بيعة باسمك، وبركتى وسلامتى وأبى الصالح والروح القدس ونعمتى تكون مع المجتمعين فيه باسمك.

ولما قال ابنى الحبيب هذا الكلام تهيأنا للسفر وانحدرنا من هذا الجبل المقدس ولم نزل سائرين إلى أن بلغنا مدينة الاشمونين فقابلنا أهلها بفرح عظيمم وأمضينا تلك الليلة هناك ولما كان الغد خرجنا إلى الساحل نطلب سفينة فلم نجد ولكن ابنى يسوع أوجد لنا سفينة روحانية ركبنا فيها وبعد مسيرة عدة أيام وصلنا إلى مدينة الناصرة بابتهاج عظيم ولم أزل مع ابنى الحبيب حتى تمام الثلاثين سنة حيث كان يعمل العجائب العظيمة فى المدن والقرى ونواحى اليهودية والجليل وعبر الأردن. واختار له رسلا لكى يبشروا به فى العالم وأرسلهم إلى أقطار المسكونه، وبعد ذلك تنيح البار الشيخ يوسف النجار وكفنه ابنى الحبيب بيديه المقدستين ووضعه فى قبر جديد. ولكى يتم ما جاء لأجله قبل الالام وكل أنواع الاضطهادات المرة وأخيرا صلب على خشبة الصليب وأسلم الروح ودفن فى قبر جديد وقام فى اليوم الثالث كقوله لتلاميذه الاطهار، وصعد إلى السموات وخلص آدم وذريته من عبودية الشيطان وعتقهم بالمعمودية المقدسة وجسده الكريم ودمه الزكى وبعد قيامته من الأموات رأيناه مرارا كثيرة إذ كان يأتى ويعزينا بكلامه الإلهى. وكان فى بعض

الأيام وأنا جالسة فى بيت مريم أم يوحنا الذى دُعى مرقس وهو أحد الإنجيلين المبشرين الأربعة إذ كان التلاميذ يتحدثون بآلام ابنى الحبيب وأنا جالسة أبكى بكاء مرا. فأجبتهم قائلة يا أولادى ورسل ابنى اعلموا اننى من يوم ما قبلت بشارة الملاك الجليل جبرائيل بحلول كلمة الله فى أحشائى حتى هذه الساعة وأنا فى حزن لا يقدر وتعب وجهاد واضطهاد من اليهود فأجاب بطرس الرسول وقال اطلب منك أيتها السيدة المباركة أن تعلمينا بكل ما حصل لك حتى نبشر به إذا مضينا فى أقطار المسكونة. فابتدأت بشرح الرحلة تفصيلا، وفيما أنا كذلك إذ أشرق علينا نور من السماء يصحبه ابنى الحبيب ربى وإلهى بمجد لا يوصف وميخائيل وغبريال عن يمينه ويساره وجلس فى وسطنا وقال السلام لكم فسجدنا له قائلين مجدا وكرامة للاله المتعال ثم التفت إلىّ وقال ما سبب بكائك يا والدتى افرحى وسرى وابتهجى ولا تحزنى فإن آلامى وصلبى وموتى كان سببا لخلاص الخليقة باجمعها. أما إن كان كدرك لسبب ما قاسيته من التعب من هروبك بى من مكان إلى آخر حتى البرية الخربة التى سكناها مدة من الزمن فها أنا امضى لتكريسها بيدى قبل تكريس أى كنيسة باسمى على الأرض وللوقت أمر سحابة سمائية رفعتنا كلنا وأوصلتنا إلى هذا البيت المقدس الذى نحن به الآن يا ثاوفيلس حيث كانت الساعة الثالثة من اليوم السادس من شهر هاتور المبارك وأعد التلاميذ كل ما نحتاجه لتكريس البيعة بفرح عظيم إذ كان الملاكان الجليلان ميخائيل وغبريال يحملان وعاء ماء وابنى الحبيب يرش بيديه الطاهرتين فى أركان البيعة المقدسة وأنا اتبعه مع التلاميذ الاثنى عشر ومريم المجدلية وسالومة وكان كلما سكب قليلا

من الماء ينظر إلينا ويقول اليدان اللتان خلقتا آدم ونسله وسمرتا على خشبة الصليب يقدسان ويباركان هذا البيت العظيم. وبعد ذلك وجدنا المذبح مشيدا كامل الأوانى فقام بطرس بخدمة القداس بعد أن أمره السيد له المجد الذى أمر التلاميذ أيضا أن يذكروا أسلافهم المتنيحين. ولدى ذكرهم قاموا من بين الأموات بمشيئة الله وقدرة لاهوته وحضروا معنا بالجسد فباركهم ابنى الوحيد بماء التكريس وأعطاهم جسده المقدس ودمه الزكى وأمرهم أن يذكروا آباءهم الذين سلفوا ثم أعطانا من الأسرار المقدسة وباركنا ووهب لنا سلامه وبعد ذلك وجدنا مائدة سمائية أكلنا كلنا منها بفرح وسرور، والملائكة فى خدمتنا، الأمر الذى سر الجميع خصوصا التلاميذ الأطهار الذين فرحوا كثيرا بما عاينوه من أمر قيامة آبائهم من الأموات وقبولهم الروح القدس من رب القوات الذى نظر إلينا وقال اذكروا هذا اليوم إلى الأبد إذ فيه تبنى لكم كنيسة مجيدة بهذا الموضع المقدس وتدعى كنيسة التلاميذ فأجابوه إنا نشكرك على صنيعك معنا لأنك باركتنا أكثر من جميع الناس وأخيرا ركبنا السحابة وانحدرنا إلى أن وصلنا بيت مريم أم يوحنا بأورشليم فى اليوم ذاته عند الغروب.

إلى هنا تم كل ما سألت عنه يا ثاوفيلس فاعلم أن كل ما بنيناه فى هذا الموضع المقدس يدوم إلى الأبد إلى أن يأتى ابنى الوحيد دفعة ثانية ويدين العالم. قم واعلم شعبك بما رأيته وسمعته منى واكتبه وارسله إلى كل أقطار المسكونة تذكارا أبديا لاسمى وحضورى إلى هذا المكان المقدس وانهض مسرعا واهتم بالقداس لجماعة الرهبان القديسين المجتمعين ههنا وها أنا أبارك الجميع قبل مبارحتى هذا المكان إذ اليوم يكون تذكارا لاسمى.

وأنا ثاوفيلس لما سمعت هذا الكلام من السيدة العذراء سجدت لها قائلا طوباك أيتها البتول والدة الإله بما استحقيته من الكرامة بسر عجيب وقبلت يديها الكريمتين فباركتنى وصعدت إلى السماء بمجد عظيم وأنا أنظر إليها.

فليفرح الشعب الأرثوذكسى ويعيد عيدا روحانيا فى ذلك المكان المقدس لأن إله القوات ووالدته البتول الطاهرة من كل دنس قد قدساه ولنحذر من زيارته ونحن ملوثون بالآثام بل ينبغى أن نترك العالميات وندخل انقياء القلوب والأفكار، ومن كان خاطئا منا فليتب ويترك ما أتاه من أنواع الشرور والله يقبل التائب مهما كانت خطيته. ولنتذكر اليوم الأخير الذى فيه نقف أمام الحاكم العادل لنعطى حسابا عما اتيناه ولنطهر من كل دنس لنستحق أن نشترك فى جسد المسيح ودمه ولنحفظ عيوننا من العثرة وأفواهنا من اللعنة والمجون والحسد والبغضة وشهادة الزور والظلم لكى نقبل بركة السيدة العذراء التى نحن بعيدها اليوم مجتمعون. بأى لسان ننطق عن كرامة بيت مقدس كهذا يعد بيت المغفرة. بيت فيه الشفاء. بيت الملائكة والقديسين والأبرار والصديقين والسواح المجاهدين. وطوبى لمن يأتى إليه ويقدم قربانا أو يوفى نذرا فإن السيدة العذراء تشفع فيه وتقدمه قربانا مرضيا لدى ابنها الوحيد، هذا الذى إياه نسأل أن يغفر خطاياكم ويصفح عن هفواتكم وزلاتكم وآثامكم ويعفو عن سيئاتكم وينيح نفوس أسلافكم الذين تنيحوا على الإيمان المستقيم ويربى أطفالكم ويقوى شيوخكم وينعم عليكم بفيضان الأنهار وخصب الزرع ونمو الأثمار. ويكفيكم شر تجارب الشيطان ويجعلكم من الفائزين بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال وأن يبارك اجتماعكم.

وينشىء بالصلاح أولادكم. ويؤمنكم فى أوطانكم. ويبلغكم أمثال هذا اليوم المقدس والعيد الطاهر سنينا عديدة وأعواما متصلة مديدة وأزمنة هادئة وأنتم أصحاء النفوس والأجسام. وأن يضى بنور لاهوته على أعمالكم ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهكم على ممر الدهور والأزمان ويخذل ويخضع أعداءكم ويقبل أصوامكم وصلواتكم وقرابينكم ومحرقاتكم ويجعلكم مستحقين لتناول جسده الطاهر ودمه الزكى اللذين بهما خلاص آدم وذريته ويثبتكم على الإيمان المستقيم إلى النفس الأخير، بشفاعة العذراء القديسة الطوباوية كرسى رب العالمين وسيدة الناس أجمعين إذ منها جاء الفادى العظيم وخلصنا من أسر الشيطان المعاند اللعين. وطلبات سائر صفوف النورانيين والطغاة الروحانيين والأنبياء الصادقين والرسل المنتخبين وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.



الميمر الخامس

حلول السيدة العذراء وابنها الحبيب بجبل القوصية المعروف الآن بدير المحرق[١]

﴿يقرأ فى اليوم السابع من شهر برمودة﴾

المجد لله الذى طهرنا بماء المعمودية. وجعلنا أهلا لنيل المواهب الروحانية. وأورثنا النعم الملكوتية. وجمعنا فى بيعته الارثوذكسية. التى هى سماء أرضية وأرض سمائية. بنوره أشرقت النصرانية وامتد على الآفاق المملكة الروحانية. نحمده حمدا نستمطر به من غمائم رحمته أغزر الديم والشابيب. ونشكره شكرا يحظينا من جلائل نعمه بأوفر حظ وأجزل نصيب. ولنتقدم للرب بذبائح الشكر ونعلن بأصوات التهليل ولنتحقق شرف هذه المرتبة السنية. متيقنين مع جميع الأبرار ما جاء من النبوات الإلهية. بعقول صافية من الأكدار العالية، وقلوب مطهرة من جميع الأفكار الردية. ونفوس مقهرة للشهوات البهيمية. ونيات متحدة بالمحبة التى هى أعظم وصية. وآذان صاغية لما نطقت به الأقوال الإلهية. من الأخبار السعيدة المريمية. والسيرة العذروية التى سنتلوها على مسامعكم بمعونة الحق سبحانه وتعالى له المجد الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

أحبائى الأعزاء يجب علينا أن نقدس ذلك المكان الطاهر «اعنى به جبل القوصية المعروف الآن بدير المحرق» الذى حل فيه الإلة الكلمة بالجسد مع والدته العذراء ونصرخ مع النبى قائلين «قم يارب إلى

[١] لواضعه القديس أنبا قرياقوس أسقف مدينة البهنسا.

راحتك وتعالى نجنا وخلصنا من خطايانا لأن العدو تسلط علينا».
لقد نظر الإله إلى ذلنا وحول حزننا إلى فرح وأنقذنا من الشيطان بتجسده من العذراء القديسة مرتمريم. يقول النبى أيضا إن الرب يأتى إلى مصر على سحابة خفيفة يعنى بها العذراء البتول تلك التى جاءت معه إلى ذلك المكان الحقير وجعلته عالى المقدار بحلولها فيه مع ابنها الوحيد وخطيبها البار الشيخ يوسف النجار والسيدة المباركة سالومة. هؤلاء الذين استحقوا أن يخدموا هذا السر العظيم. أتى الرب إلى ذلك المكان المقدس ماشيا على رجليه تارة ومحمولا على كتف والدته تارة أخرى. ولم يختر سبحانه من قدير شيئا من زخارف هذا العالم الزائل لاستعماله واسطة للوصول إلى ذلك المكان، لا عجزا منه جل اسمه. كلا بل هو خالق السموات والأرض وما فيهما وله السلطان على كل شيء صاحب المركبة الهائلة العجيبة التى رآها حزقيال النبى وبهت لمنظرها عجبا واستغرابا فعل ذلك جل مقداره اتضاعا منه ليعلمنا الدعة والتواضع. جاء إلى أرض مصر وطهرها من عبادة الأوثان وخلصنا من نير العبودية المرة بحلوله فى مدننا وقرانا إلى أن التجأ أخيرا إلى هذا الموضع الطاهر أعنى به جبل القوصية وخاطب يوسف قائلا له تمهل يا أبى الشيخ ريثما نستريح من عناء التعب الذى حاق بنا أثناء المسير لاسيما أمى العذراء التى اضطربت كثيرا مما رأته من اللصوص قساة القلب ولابد من إتيان ساعة يكمل فيها ما أتيت بسببه وهو صلبى فى مدينة أورشليم، ولصان عن يمينى ويسارى. هما اللصان اللذان تقابلنا معهما أثناء المسير.

يعجب القارى عندما يرى أن الله الابن له المجد الذى لم تسعه السموات والأرض جلس فى تلك البرية الخربة وذلك الموضع الحقير الذى أصبح يشابه أورشليم السمائية. يقول النبى أريد أن أمضى إلى جلعاد وآخذ منه شفاء لابنة شعبى، نعم ويجدر به أن يذهب إلى

ذلك الجبل المقدس ويشترى منه شفاء حقيقيا لشعبه لأن فيه قد حل ابن الله الأزلى غافر خطايا العالم وشافى المرضى. حسنا بك أيها الإنسان أن تمضى ماشيا إلى تلك البرية القفرة لتنال أجرا حسنا ويباركك الله ويقبل صدقتك ويعطيك ما أنت فى حاجة إليه. ولا يخالج ضميرك أن الله الكلمة ووالدته العذراء حلا هناك ومضيا فأصبح المكان خاليا منهما بل تجدهما فى كل مكان يذكر فيه اسماهما الطاهران وإلى الأبد. إلى أن يأتى الله فى مجده ليدين الأحياء والأموات. ذلك الذى ينظر بعين الرأفة لأولئك الذين يطلبونه باستحقاق وتخرج السيدة العذراء وبيدها إناء الزيت الذى قدسه صاحب كنوز الرحمة ربنا يسوع المسيح وتباركهم.

فلنلق يا اخوتى الأعزاء كل خمول وراء ظهرانينا. ولنسع إلى زيادة الأمكنة المقدسة وخصوصا ذلك الجبل العظيم. لأنه بيت صاحب المجد جل اسمه، والملائكة وصفوف الطغمات هناك تسبح بغير فتور قائلة بأصوات التهليل «قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت. السماء والأرض مملؤتان من مجدك الأقدس».

ولنسع الآن فى عمل البر حسب قوتنا ما دام لنا زمان ومهلة قبل أن تدركنا المنية لكى نجد منه معونة ونظفر عنده بالرحمة بواسطة الصلاة. ولنعلم أن كل من قدم قربانا على المذبح هناك يستحق أن يتناول من ثمار الملكوت. ومن أضاء مصباحا بالبيعة هناك سيكون له نورا يوم الدينونة، وكل من يصنع سترا لمذبحه المقدس فستستر خطاياه. ومن روى عطشانا فسيشرب من نهر ماء الحياة.

أعظم دليل على زيارة السيد له المجد ذلك الجبل الطاهر هو ما كتبه الشيخ يوسف على قطعة حجر وجدت هناك وعليها يقول «أنا يوسف النجار من الناصرة المدعو أب السيد المسيح بالجسد وخادم هذا السر العظيم أقول لكم إننى وخطيبتى العذراء وسالومه وسيد المجد قضينا مدة من الزمن بذلك الجبل الطاهر» وعن ذلك تنبأ إشعياء

النبى القائل أنه سيكون للرب هيكل فى أرض مصر. وحقيقة ينطبق هذا الكلام على ذلك الموضع المقدس.

وذلك أنه لما كان أحد الأيام مضيت أنا الحقير قرياقوس إلى هذا الموضع المقدس للتبرك منه والسجود فيه. ولدى وصولى بأيام أخذنى العجب ومجدت الله على اتضاعه العظيم باتخاذه أحقر المحلات بيتا له وفيما أنا كذلك إذ ظهر لى إنسان قديس وشيخ بار يدعى انطونيوس، وعلمت أخيرا أنه الرئيس لذلك الدير العظيم وبعد أن قدم لى واجب الاحترام باركته وأذنت له بالجلوس فقال لى يا أبى الشيخ أود أن أخبرك بسر عظيم أظهره لى رب القوات، فأجبته ائتنى بالخبر اليقين وقصنى ما رأيت وسمعت فقال أنا أنطونيوس الشيخ قد آنست هذا الدير العظيم منذ نعومة أظفارى حتى أراد الرب الإله أن أكون رئيسا له. غير أنى رأيت أكثر من مرة قنديلا يضىء داخل المذبح وصوتا يقول اعطوا القدس للقديسين، وإنسانا نورانيا شيخا فى سنه يقول مشيرا إلىّ ألم تتقرب من مذبح الله هذا اليوم؟ قلت له نعم تقربت. فأجابنى قائلا هذا هو اليوم الذى أتى فيه سيد المجد مع والدته العذراء وخطيبها يوسف والسيدة المباركة سالومة وهو السابع من شهر برمودة المبارك عيد ذلك المكان المقدس وتذكار إتيانهم إليه فاعلم أن ذلك الهيكل قد يشبه هيكل كنيسة الأبكار السمائية بل باب السماء وبيت الله المقدس. وفيما نحن كذلك إذ ظهر لنا ملاك الرب على يمين المذبح وقربنا بجسد المسيح ودمه الزكى. وللوقت مضى الشيخ القديس ولم أعد أراه بعد حتى ثالث يوم من حدوث ذلك. وحالما كنت مضطجعا رأيت إنسانا نورانيا أمسك بيدى وذهب إلى لجهة القبلية من الهيكل ووضع يده على الأرض. وقال له هذا الجسد الترابى الذى لك لبس مثله رب القوات باتضاع منه وأتى ذلك الموضع الحقير وصيره مباركا بحلوله فيه. قم فتش تجد آنية الهيكل كاملة وموضوعة فى خباء من ذلك البيت المقدس. قال ذلك وغاب عنى

فأخذني الاستغراب ووقعت في دهشة عظيمة ولم أعلم أحدا من رفاقي بذلك السر بل قمت مسرعا وأخذت معي إنجيل يوحنا ومضيت واضطجعت تلك الليلة هناك فرأيت السيدة العذراء جالسة على كرسي وابنها لحبيب جانبها على عمود نوراني يقول هكذا . هذا هو مذبحي الذي اخترته وطهرته إلى الأبد. وأعطيتك جسدي مع مريم المجدلية والرسل قبل أن يمضوا إلى العالم للتبشير باسمي المقدس وأول قداس أقيم عليه كان في مثل هذا اليوم الذي هو السابع من شهر برمودة. حيث فيه قدم أول قربان على الأرض بعد قيامتي وهذا هو آخر مكان ترتفع فيه القرابين على الأرض ألم تتذكر أنني كرست ذلك البيت بيدي الطاهرتين اللتين جبلتا آدم وسمرتا على الصليب المجيد لخلاصه. فأجابته العذراء إلى متى يا ولدي الحبيب يلبث هذا الجبل خرابا؟ أليس من الحكمة أن يعمره الرهبان وتقام فيه القداسات حتى يكون تذكارا حسنا لمجيئنا أرض مصر. فأجابها يا والدتي العذراء ستأتي أيام فيها يترك بعض الرهبان وصايا الآباء القديسين ويأكلون ويشربون أكثر مما يحتاجون فيتولد فيهم روح الفساد والشر ويرتكبون الخطية. ويكون ذلك سببا لخراب هذا الجبل عدا البيعة التي نحن فيها الآن فإنها تزداد رفعة وتدوم حتى انقضاء العالم. ولما سمعت أنا الحقير أنطونيوس ما دار من الحديث بينهما شكرت الله وانصرفت فأجبته أنا قرياقوس قائلا الإله لا يضيع لك أجرا يا ولدي العزيز.

بعد ذلك قمنا مسرعين إلى ذلك المكان طلبا في الآنية التي قال عنها الإنسان النوراني أنها مختفية هناك، وبعد الحفر مقدار ذراع واحد وجدنا تابوتا مدفونا ومكتوبا عليه ما يأتي «أنا موسياس قس هذه البيعة وخادمها أقول إنه لما أصدر دقلديانوس الملك الطاغية أمره بهدم البيع المقدسة في كل الأماكن والبلدان الخاضعة له حزنت كثيرا لذلك الخبر المشئوم ومن شدة حزني تسلط عليّ النوم قليلا وإذا

بملاك الرب ايقظني قائلا: «ياموسياس خادم هذا الهيكل العظيم قم وخذ آنية المذبح واخفها في الداخل لئلا تصل إليها أيدي المفسدين. والرب يحفظ ذلك المكان المقدس بقدرته حتى ينصرف غضب الرجل الغشوم دقلديانوس الذي سيهدم كل بيعة للنصرانية ما خلا ذلك البيت المقدس فإنه سيبقى إلى الأبد إذ يكون مأوى لشعوب كثيرة، فيه تنال مغفرة الخطايا لأن السيدة العذراء طلبت إلى ابنها الوحيد أن يبارك من يأتي إليه ويطهره من آثامه حتى يصير نقيا.

ويكون مأهولا بجماعة الرهبان نيفا والفا وثمانماية راهب يلبثوا زمنا طويلا حتى يأتوا ما يغضب الله فيبيدهم عن آخرهم ويخرب ذلك الجبل ويختفي اسم هذا البيت المقدس مدة من الزمن وبعدها يرأف الرب بشعبه دفعة أخرى ويجدد مجد ذلك البيت العظيم ويظهر كرامته أجمعين لأنه قال وقوله الحق «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهور» ويظهر مجد هذا البيت ثانية. فقم مسرعا وكمل ما أمرتك به واخفي أنية البيعة لأن المطارد على وشك الوصول إليكم ولما قال ذلك لم أعد أراه وللوقت تممت ما أمرني به.

ولدى الوقوف على هذا الكلام قمت أنا قرياقوس ورئيس الدير أنطونيوس وفتحنا التابوت ووجدنا كل آنية المذبح وكتاب مجيء السيد ووالدته إلى أرض مصر يصحبهما الشيخ البار يوسف والسيدة سالومة فأمرت أحد الشمامسة بقراءته على إخوته الرهبان فسروا كثيرا ومجدوا الله على حسن اتضاعه وطوبوا العذراء والدته وقمت أنا بخدمة القداس وتقرب الاخوة ومضى كل منا إلى موضع عبادته ورجعت أنا إلى مدينتي البهنسا. هذا ما رأيته وسمعته أنا قرياقوس قد شرحته لكم أيها الأحباء.

فلنتضرع إلى العذراء أن تقبل منا كل ما قيل مثلما قبل ابنها الحبيب فلسي الأرملة وقربان هابيل ودموع الأرملة والخاطية. وأسألها ألا تأخذني بخطيتي فإن لساني عاجز عن أن يفي بمديح ذلك

البيت الذى أصبح يشابه سماء السموات. فلنتقدم بالتسابيح والقرابين فى كل الأوقات وخصوصا فى مثل هذا اليوم الذى هو السابع من برمودة يوم حلول الابن الكلمة فى ذلك المكان بالجسد الذى اتخذه من مرتمريم العذراء. أسألك أيتها الطاهرة القديسة أن تتضرعى إلى ابنك الوحيد من أجل مسكنتى أنا الخاطىء كى يلهمنى أن أكمل إرادته ويغفر خطايا من يأتى إلى ذلك المكان المقدس ويرده سالما ويقضى حاجته ويشفى مرضه ويعطيه روح القدس لأنه قاهر وهو أصدق القائلين. إنى أجعل هذه البرية مثل فردوس النعيم. طوبى لمن يأتى ذلك الجبل فإنه ينال اكليل البر. طوبى لمن يقدم قربانا هناك أو يعطى صدقة أو يصلى بقلب نقى من الأفكار الشيطانية فإن نصيبه أورشليم السمائية وأجره يتضاعف من السيد يسوع المسيح ابن الله الأزلى هذا الذى اياه نسأل أن يغفر خطاياكم ويستر هفواتكم ويصفح عن زلاتكم ويجعلكم ممن فازوا بصالح الأعمال قبل انقضاء الآجال. ويبارك نيلكم ويخصب بالبركات ثمار بركم. وينشىء أولادكم. ويربى أطفالكم. ويهب الصحة لشيوخكم والقوة لكهولكم. ويعينكم على العمل بما يرضيه. تاركين ما يغضبه ويعصيه. ويكفيكم شر التجارب الشيطانية. والمحن الزمنية. والأمراض البدنية. ويستر أعمالكم فى السر والعلانية. ويجعلها صالحة مقبولة أمام ملائكته النورانية ويسمعكم الصوت الفرح القائل «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم. مالم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر».

نسأله أن يهدى سائر الأعداء المقاومين للبيعة الأرثوذكسية وأن يحنن قلوب أولياء الأمور عليكم ويلهمهم الرأفة بكم والإحسان إليكم ويثبتكم على الإيمان المستقيم باسمه العظيم وبشفاعة العذراء والملائكة النورانيين والرسل المنتخبين والشهداء المكللين والقديسين والمجاهدين والأنبياء الصادقين وكل من أرضى الرب الإله بأعماله الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الميمر السادس

حلول السيدة العذراء وابنها الحبيب بالدير المقدس المعروف الآن ببيت يسوع الكائن بمدينة البهنسا[١]

﴿يقرأ فى اليوم الخامس والعشرون من شهر بشنس﴾

المجد لله ذى الجلال. والعظمة والكمال. الذى خلق الكل تفضلا منه. أوجد الأرض وملأها من الخيرات، ورفع السماء وجعلها مسكنا لخائفيه والقوات. له المجد مع أبيه الصالح وروح قدسه الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

حقا يا أحبائى أن الله خصنا برحتمه الواسعة. ورضى عن أرضنا وفى ذلك يقول داود النبى «رضيت يارب عن أرضك» نعم وأتيت بقوة منك وفرقت شمل أعدائنا . وبمراحمك الكثيرة شملتنا، وأزلت عنا ظلام الخطية. وجئت باختيار منك وقدست تلك الأماكن الحقيرة التى أصبحت بيتا لشعوب كثيرة يخص بالذكر منها هذا المكان المقدس الذى فيه نحن مجتمعون. بيتك المقدس الذى دعى على اسمك الطاهر هكذا «إب إ ان ايسوس» أى بيت يسوع.

اليوم يا أحبائى كمل قول إشعياء النبى القائل إن الرب يأتى إلى مصر على سحابة خفيفة. هى العذراء البتول التى صارت أفضل من السمائيين والأرضيين. أطلب إلى جودك أيها النور الحقيقى أن تنير عينى عقلى لأنطق بسر تدبيرك. افتح فمى لأخبر

---

[١] لواضعه الأب الأقدس أنبا قرياقوس أسقف البهنسا.

بمجدك. هب لى نطقا لأتكلم بكرامة والدتك العذراء، ألهمنى فهما لأقدم سجودا ووقارا لعزتك الإلهية واشرح شيئا عن كرامة ذلك البيت المقدس وكيف سمى (إب إ ان ايسوس) كيف لا وقد تم ما قاله الأنبياء وآمنا وتحققنا واعترفنا أن المولود من العذراء هو الإله عمانوئيل ابن الله الحى الذى يدين الأحياء والأموات. أتى إلينا وخلصنا من نير العبودية المرة. حل فى هذا المكان المقدس وصيره مباركا إلى الأبد. وإليه تأتى الأمم من كل الجهات لكى تنظر الآية العظيمة التى فيه حتى يومنا هذا ألا وهى البئر المقدسة التى تتصاعد منها المياه بكثرة وقت القداس عند قراءة الإنجيل وبها يعرف مقاس نيل مصر كل سنة. تلك التى صارت شفاء لكل عليل، لأن المخلص أوجدها وباركها. أتى السيد له المجد إلى أرض مصر فتحطمت أوثانها وتطهرت أرضها بحلوله فيها وبآياته البينات وعجائبه الباهرات، أعلمنا نحن عبيده أنه هو المنتظر من عتيد الأزمان إذ به نخلص وبغيره لم يكن شئ مما كان. أعطانا نعمة المعمودية المقدسة التى بدونها لا ننال ملكوت السموات وفى ذلك يقول فى إنجيله الطاهر «من لم يولد من الماء والروح لا يعاين ملكوت الله»: غرس بيديه الطاهرتين ثلاث شجيرات فى ذلك المكان العظيم علامة لمجيئه هناك ودلالة على الإيمان والرجاء والمحبة وثالوثه الطاهر المقدس، الغير مفترق الباقى قبل الكائنات وبعد الباقيات له المجد إلى آخر الدهور. أما مجد الشجيرات الثلاث فأصبح يشبه مجد السحابة التى ظللت رب المجد على طور طابور وهناك سمع صوت أبيه من السماء يقول «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» إذ تحتها استظل فسجدت له متشبهة بالمجوس ملوك فارس حالما أتوا وسجدوا له وقدموا قرابينهم ذهبا ولبانا ومرا. نعم وقد تشبه رؤساء

الملائكة ميخائيل وغبريال وروفائيل بل وشجرة ممرى التى استظل به الرب الإله وملائكته القديسين عندما أضافهم رئيس الآباء إبراهيم.

ولنرجع الآن أيها الأعزاء لنعلمكم حلول السيد له المجد ووالدتا العذراء والشيخ البار يوسف النجار وسالومة بأرض مصر وشيئا يسيرا من العجائب التى صنعها هناك. وحلوله فى ذلك الموضع المقدس الذى نحن فيه مجتمعون المعروف (إب إ ان ايسوس). ذلك الذى أصبح يشبه المقبرة المقدسة التى فيها وضع جسد ابن الله الحى والمذود الذى ببيت لحم اليهودية الذى وضع فيه سيدنا له المجد عند ميلاده من السيد العذراء مريم بالسر الذى لا يدركه عقل بشر ولا يحويه فكر إنسان.

أيها الإخوة الأحباء ضيف هذا المكان هو رب السموات والأرض إله حق من إله حق. خالق الخلق بقدرته ومنعم عليهم برحمته. نزل اتضاعا منه لعلمه أن لا خلاص إلا به وبروحه الذى تجسد من العذراء. فلنفرح ونأتى إلى ذلك المكان المقدس لنوال المغفرة والرحمة وتمجيد الإله ووالدته العذراء التى آنست تلك الأراضى المقدسة مصطحبة بابنها الوحيد وخطيبها البار والسيدة سالومة فصارت تشبه أورشليم السمائيبة لأن ابن الله الجالس على الشاروبيم أتى وسكن بها. لا بل تشبه جبل سينا الذى كلم الرب موسى عليه من العليقة. وها قد حل هنا بالجسد الذى اتخذه من العذراء فجعل ذكر البرية المذكورة شائعا فى كل أقطار المسكونة.

قال النبى: أنا أمضى إلى جلعاد وآخذ شفاء لابنة شعبى. فالأحرى به أن يذهب إلى ذلك المكان المقدس الذى حل فيه السيد المسيح مخلص العالم. الذى له سلطان الموت والحياة. وبه غفران

الخطايا وخلاص النفوس لنوال الشفاء الحقيقى. إذ أن الرب الإله إنما أتى ليشفى المرضى ويدعو الخطاة إلى التوبة كما قال فى إنجيله وهو أصدق القائلين إن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى. ما جئت لدعوة الصديقين لكن الخطاة إلى التوبة. طوبى لمن يذهب إلى ذلك الجبل ماشيا على قدميه ليشبه رب البرية يوم أن كان طفلا بالجسد تحمله أمه تارة، ويمشى تارة أخرى. طوبى لمن يخدم ذلك المكان بخوف من الله ولا يقول فى نفسه بأن العذراء والسيد المخلص اللذين حلا فيه بالجسد وتركاه أصبح خاليا منهما. بل تجدهما فى كل مكان يذكر فيه اسمهما الطاهر.

فلنسع يا اخوتى فى عمل ما يرضى الله جل اسمه. ولنذهب لزيارة الأماكن المقدسة بقلوب سليمة خالية من كل غش ودنس مطيعين أوامره المقدسة ومصغين لأقواله الإلهية. طالبين الرحمة والمغفرة من سيدتنا العذراء وابنها الحبيب. مفتشين عما يلزم تقديمه من الأعمال الصالحة لتقويم ما اعوج منا. ولنوال الأجر إذا نحن مضينا إلى بيت ملك الملوك ورب الأرباب. ذلك المكان المقدس الذى سكنه طفلا مع والدته، وليعلم الكل أن نوال البركة السمائية قد يتوفر فى كل مكان إذا اتبعنا طريق الاستقامة، ويتضاعف أجرنا بزيارة مكان مقدس كهذا زاره السيد سيرا على القدم لا عجزا منه بل اتضاعا ودعة ليعلمنا الاقتداء به والسلوك فى طريق الاستقامة. كيف لا وهو مبدع الكائنات وصاحب المركبة الهائلة الشاروبيمية التى رآها حزقيال النبى وبهت لمنظرها. له فى ذلك حكمة لا يدركها أحد، وفى ذلك يقول بولس الرسول: من ذا الذى يعرف ضمير الرب أو من كان له مشيرا يوم ذهابه مشيا مع والدته والشيخ البار يوسف وسالومة. وكم بالحرى يجب علينا نحن الخطاة أن نذهب سيرا على أقدامنا

الغير مستحقة أن تدوس ذلك المكان الطاهر لنوال مغفرة الخطايا وتفصيل ذلك أن الشيخ البار يوسف النجار كتب كتابا ووضعه فى ذلك المكان المقدس يذكر فيه مجيئهم إليه وهو كما يأتى:

أنا يوسف النجار من أهل الناصرة جئت والسيدة العذراء وابنها الحبيب وسالومة إلى أرض مصر إلى هذا لمكان الخرب، حيث كان وصولنا إليه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر بشنس ومكثنا به بناء على طلب العزة الإلهية مدة أربعة أيام وتركناه. اهـ

وإليكم اخوتى الأعزاء برهانا ثانيا يؤيد تلك الرواية وهو إنى بينما كنت موجودا ذات يوم أنا الحقير أسقف البهنسا بكنيسة الرب إذ وافانى أحد الناس وقال لى: اسمح لى يا أبى القديس أن أشرح لك رؤية رأيتها بعينى رأسى. فأجبته: أخبرنى أولا من أنت ومن أى البلاد؟ وبعدها قص ما رأيت وسمعت عله يكون من قبل الرب. فقال: أنا أنطونيوس من سكان مدينة آبا التابعة للبهنسا وقسيس تلك البلدة، لى فى الجهة الغربية منها قطعة أرض زراعية بجوارها قطعة جبلية مرتفعة جدا على قمتها شبه قبر، أظنه لبعض الآباء تتصاعد منه رائحة زكية على الدوام، وكنت أرى أبى دانيال يعظم ذلك المكان ويقول إنه كثيرا ما نظر نورا روحانيا يضىء هناك. ويغلب على الظن أن ذلك المكان معمور بملائكة الرب أو أن به كنيسة أثرية تخفيها التلال. ومن غريب ما رأيت يا أبى القديس أن رجلا تقابل معى من مدة قريبة حالما كنت ذاهبا إلى مزرعة أبى، وقال لى: ألم تقترب من مذبح الرب اليوم يا أنطونيوس؟ فأجبته: نعم اقتربت. فقال لى: ونحن اقتربنا أيضا من ذلك المكان، مشيرا إلى الجبل المرتفع. فاستغربت الأمر كثيرا . وأجبته: من أين لك أن تقترب هناك مع عدم وجود كنيسة للرب؟ فقال لى: ألم تعلم أن هذا هو بيت الرب وباب السماء

والمكان المقدس الذى أتى إليه الابن الكلمة بالجسد مع والدته العذراء ويوسف النجار وسالومة. حيث كان ذلك فى اليوم الخامس والعشرون من شهر بشنس؟ وها قد جددنا تذكار هذا اليوم المبارك. وتقدسنا واقترينا وهما، نحن عائدون إلى حيث أتينا. وللوقت غاب عنى فوقعت مندهشا. ولما أفقت لم أجده بل سمعت صوت تسابيح روحانية تتلى هناك فتحققت أن به بيعة عظيمة للرب جل اسمه. وبعد الرؤيا بثلاثة أيام أمسك بيدى شخص آخر وأنا فى المنام وطاف بى المكان جميعه وقال لى: ألم يوجد هنا كنيسة للرب؟ فاستغربت مما وقع جميعه وقلت فى نفسي: لابد لى من أن أفحص أمر هذا المكان المقدس. فقمت مسرعا وأخذت معى إنجيل يوحنا البتول حبيب ربنا يسوع المسيح ومضيت إلى هناك ولبثت أقرأ فى الإنجيل، وفيما أنا كذلك رأيت العذراء مرتدية نورا عظيما ساطعا يضىء أكثر من نور الشمس وابنها الوحيد بجانبها يخاطبها هكذا. «هذا هو مذبح المجد وضعته فى هذا المكان إلى آخر الأجيال» فأجابته العذراء قائلة: إلى متى يا ولدى الحبيب يبقى هذا المكان خرابا؟ فقال: إنه وإن كان خرابا إلا أن ذكره سيخلد إلى الأبد وستعمره فئة كبيرة ويكون اسمه عظيما. قال ذلك وغاب عن عينى هو ووالدته العذراء.

هذا ما رأيته وسمعته يا أبى القديس قد شرحته لقدسك ولم أخف عنك شيئا. فتعجبت كثيرا ومجدت الله الذى يعلن سره لقديسيه ونظرت إلى القديس المبارك أنطونيوس وقلت له: هل تعرف الموضع المذكور جيدا؟ فقال: نعم يا أبى القديس وهو ظاهر لكل إنسان لأنه مرتفع جدا. وبعد ذلك أقمنا تلك الليلة نصلى ونسأل الله أن يظهر لنا سر ذلك المكان المقدس. ولما

كان الصباح وافاني القديس المبارك الذى كان منفردا فى بعض أماكن الدار وقال ماذا رأيت يا أبى القديس فأجبته أن ما رأيته ينطبق تمام الانطباق على ما سبقت وأخبرتنى به لأن العذراء ظهرت لى وأمنت على أقوالك جميعها إلى أن قالت: إن عهد ابنى إلى جانب الهيكل خذه أيها الأسقف وأظهره لكل واحد تذكارا لمجيئنا أرض مصر وحلولنا فى ذلك المكان المقدس واهتم فى تشييد وتعمير تلك البيعة أنت والقديس انطونيوس وسيساعدك أهل المدينة أجمعين.

إلى هنا كلفت القس بالقيام على عجل لتتميم ما أشارت به السيدة العذراء وباركته وزودته بالدعوات الصالحات قائلا له الرب يتمم مطلوبك ولا يضيع تعبك ويعطيك الأجر مضاعفا فقام وظل سائرا إلى أن وصل إلى بلدته وأعلم أهلها بما حصل وابتدأ يفتش فى المكان والرب ساعده حتى عثر على جهة منه حفر فى وسطها دائرة كبيرة رأى من تحتها دائرة الهيكل وتابوت بيت الرب مختوما باسم رب القوات ولما أراد أن يقيمه أو يفتحه ليرى ما فيه لم يقدر على ذلك لأنه كان ضخما جدا فانثنى راجعا إلىّ وأعلمنى بذلك فقمت مسرعا وأخذت معى أكابر البهنسا والكهنة والأرخن القديس ميساس رجل الله العظيم ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا المكان المقدس ونظرنا التابوت وإذا عليه كتابة تأملناها وهى كما يأتى:

أنا توماس قس هذه البيعة وخادمها حتى آخر ساعة وردت فيها أوامر العاتى دقلاديانوس بهدم كل بيعة مقدسة. الأمر الذى كدرنى كثيرا حتى أفضى الحال إلى نومى وفيما أنا كذلك إذ ظهر ملاك الرب وقال لى قم يا توماس وخذ أوانى البيعة لئلا تصل إليها

أيدى المفسدين لأنه عما قليل تهدم ويختفى اسمها زمنا يسيرا وتتجدد دفعة أخرى ويضىء نورها فى كل العالم فاهتم بأمر آنية البيعة واخفها واختفى أنت أيضا لئلا يلحقك الاضطهاد. ولما قال لى ملاك الرب هذا الكلام غاب عنى فأسرعت للوقت وتممت ما أمرنى به وأخفيت الآنية فى هذا المكان المقدس قائلا الرب له القدرة على كل شىء يحفظ كنيسته المقدسة بغير دنس ويحفظ هذا العهد الطاهر إلى حيث يشاء ظهوره ثانية. ثم فتحنا التابوت فوجدنا جميع أوانى المذبح وكل آلات البيعة من داخله وكتاب مجىء السيد له المجد إلى أرض مصر مع والدته السيدة العذراء وخطيبها البار وسالومة واقامتهم فى هذا المكان المقدس فاهتممنا بعمل قداس وأعطينا الكتاب لأحد الشمامسة فقرأه جيدا فإذا به ما يأتى:

أنا يوسف النجار من الناصرة من قبيلة داود الملك اختارنى رؤساء الكهنة بأمر الله أن أحفظ السيدة العذراء مريم عندى لكى أكون لها خادما ولابنها عبدا. وكنت أشك أولا فى أمر حبلها وميلادها العجيب إلى أن أعلمنى غبريال الملاك فى رؤيا من قبل الله.

ولما أمر أوغسطس قيصر الملك باكتتاب أفراد المسكونة كلها الجأتنى الضرورة بأن أكتب اسمى واسم السيدة العذراء واتخذنا مسكنا فى بيت لحم اليهودية فى الوقت الذى تم فيه حمل السيدة العذراء واقترابها للوضع فتركتها فى مغارة هناك وخرجت طلبا فى قابلة. فعثرت على سالومة. ولدى عودتنا وجدنا الطاهرة ولدت ابنها الحبيب ووضعته فى مذود للبهائم، وفى الوقت نفسه رأيت نورا روحانيا يملأ المغارة، والملائكة تسبح بأصوات التهليل والكل يتكلمون

بمجده تعالى اسمه إلى أن جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم وقالوا «أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له» وللوقت ظهر لهم النجم على هيئته الأولى وسار يتقدمهم حتى جاء بهم إلينا إلى المغارة التى بها الصبى. ولما رأوه مع أمه مريم خروا له سجودا وقدموا هداياهم ذهبا ولبانا ومرا.

لما ذاع ميلاد السيد له المجد وبلغ مسامع هيرودس الملك اضطرب كثيرا ظنا منه أن المولود يملك الأرض وينتزعه ويبيده هو وجنسه وفاته إنه هو الملك الأبدى الرب الإله خالق السموات والأرض القائل فى إنجيله وهو أصدق القائلين إننى لم آت لأهلك النفوس بل لأحييها.

لهذا جد هيرودس الملك وراء اهلاك الصبى وقتل الألوف من الأطفال وهما منه أنه يبلغ ما يريد، ولكن خاب مسعاه إذ ظهر لى ملاك الرب ذات ليلة فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى أرض مصر لأن هيرودس يطلب قتله. فقمت للوقت وتأهبت للسفر بينما كانت السيدة العذراء تبكى بكاء مرا وتقول ما عسى أن أصنع يا أبى وقد سمعت أن الطريق الموصلة لمصر وعرة المسالك فأجبتها قائلا إن القدرة الإلهية ترشدنا وتدبر الأمر وللوقت خرجنا من أرض إسرائيل وسرنا إلى أن وصلنا إلى بلدة تدعى فارس وسمعنا أهلها يتحدثون بأمر قتل الأطفال طلبا فى الصبى فانزعجنا كثيرا. وأمسكت العذراء بيد سالومة التى آلت على نفسها ألا تفارقنا بعد ميلاد السيد له المجد وأيقظتها قائلة لماذا أنت نائمة وأنا فى حزن شديد على ابنى يسوع فكلمى الشيخ واسأليه أن يذهب بنا بعيدا قبل أن يعلم بنا أهل هذه المدينة فيأخذوا ولدى منى. فتألمت أنا يوسف

لدى سماعى أقوال العذراء وصرت حائرا فى أمرى وقمت فى منتصف الليل أنا ومن معى طلبا فى الهروب إلا أننا وجدنا الحراس ساهرين فلم نقدر على الهروب لمنعهم إيانا بقولهم ألعلكم هاربين من خوف الملك هيرودس لئلا يقتل ولدكم فازداد بكاء السيدة العذراء لدى سماعها هذا الخبر المشئوم وتوسلت كثيرا إلى الحراس ولكن عبثا كانت تحاول. ومن شدة ما استولى عليها من الحزن وقعت على الأرض فأخذت سالومة الطفل على كتفها ووضعت يده الطاهرة على الاقفال فانفتحت وخرجنا خارجا واستمر بنا سائرين من قرية إلى أخرى حتى وصلنا إلى مدينة البهنسا فوجدنا أهلها يعبدون الأوثان التى لم تلبث أن سقطت على وجهها وتكسرت ولم تستطع أن تقف أمام الديان الوحيد إله الكل خالق السموات والأرض وكان دخولنا إليها يوم ٢٥ بشنس حيث وجدنا هناك رجلا شيخا فى سنه يرعى قطيعا وأولاده من حوله يحصدون زرعا وكان يملك ثلاثة كلاب أشكالها مفزعة مخيفة جدا. ولدى وصولنا إليه أشار إلينا بالجلوس فجلسنا للاستراحة قليلا من عناء التعب الذى حاق بنا أثناء المسير وطلبنا قليلا من الماء فأحضر لنا إناء مملوءاً ماء حلوا وقام الشيخ الكبير وسلم علينا سلام المشتاق وأشار إلى الطفل يسوع قائلا من أنا حتى يأتينى منبع ماء الحياة وشافى العالم بقوة لاهوته، ثم التفت إلى العذراء وحياها وحيانا جميعا بألفاظ عذبة تشف عن معرفة قديمة فالتفت إليه وأخبرته أن يذهب لحراسة غنمه لئلا يصيبها شر. أما هو فقال كيف يحصل ذلك مع أن الراعى الوحيد حافظ العالم كله موجود هنا معنا. فأجبته ما اسمك ومن أين لك العلم بهذا السر العظيم فقال لى إن ملاك الرب بشرنى بذلك قبل اتيانكم إلى وأعلمنى أسماءكم جميعا. ثم باركنا وترك عصاه وعصى ولديه ومضى فأخذ

الصبى الثلاثة عصى وغرسها بيده الطاهرة فى الارض فأزهرت للوقت وأثمرت فظللتنا بعد أن نكست رؤوسها سجودا للملك المتعال فاستغربنا الأمر كثيرا.

ثم إن ولدى الراعى أتيا وسجدا للطفل وسألانى قائلين من ذا الذى غرس تلك الأشجار هنا فأجبتهما تلك عصيكم الثلاث أمرها الصبى بقدرة لاهوته فصارت كما ترى لأنه خالق الخلق وملك الملوك ورب الأرباب. بتواضعه اتخذ شبه عبد ونزل إلى الأرض لخلاص آدم وذريته من نير العبودية المرة فصاح الراعى قائلا مباركة الساعة التى فيها أتيتم إلينا فابتدأت أقص عليهم سر تجسده العجيب فقالوا إن ذلك علمناه بواسطة ملاك الرب الذى ظهر لنا قبل مجيئكم إلينا بأربعة أيام. وبعد ذلك أخذ الراعى الصبى على ذراعيه ليبارك غنمه فسجدت له وبعد أن أقمنا هناك اربعة أيام قصدنا العودة إلى أرض اليهودية فمنعنا الراعى وسألنا أن نقيم عنده ولما لم يتيسر ذلك وعند مبارحتنا تلك النقطة كلم الرب والدته قائلا اخبرى يوسف أبى أن يأمر الراعى المبارك بأن يحتفظ على هذا المكان ويفتقده على الدوام لأنه سيكون تذكارا ابديا لمجيئى أرض مصر فذهب وأوصاه فسر كثيرا وتمم ما أمر به بهمة لا تعرف الملل وعلمنا منه أخيرا أنه نظر آيات شتى بذلك المكان المقدس إذ فيه أبصر العميان وسمع الصم وتطهر البرص وتكلم الخرس بقوة من الله. ولما قاربت أيامه استدعى ولديه وأوصاهما بالاحتفاظ بذلك المكان وأن يدفناه فيه لكى تدركه رحمة الرب يسوع، ولما قال هذا استودعهما الله وتنيح بسلام عن مائة وثلاثين سنة قضاها فى عمل المبرات. اهـ

هذا ما حواه الكتاب الذى وجدناه داخل التابوت مع آنية البيعة التى تسلمت إلى القديس انطونيوس، ذلك الذى قد بذل جل

عنايته فى بناء وتجديد البيعة هناك لمساعدة سكان المدينة ومن غريب ما حصل أن السيدة العذراء كانت تظهر هناك وتشجعهم على العمل واعدة إياهم بالأجر الحسن فى ملكوت السموات، وبعد أن تم بناء البيعة على أحسن طراز كرستها بيدى أنا الحقير أسقف البهنسا وسلمتها إلى القديس المبارك انطونيوس الذى مكث فى خدمتها حتى يوم وفاته بكل طهر ونقاء وخوف من الله تعالى الذى أظهر على يديه من الآيات البينات ما قدس المكان وجعله محط رجال الله الأطهار القديسين.

ومن غريب ما حدث أن تاجرا من أهل الكورة المجاورة أتى ذات يوم راكبا حصانا ومعه عبد صغير ودخل البيعة باحتقار عظيم إذ أنه كان يعبد الأوثان. ولما رأى أيقونة العذراء وعرف ولادة سيدنا له المجد وتاريخ مجيئهم أرض مصر مد يده النجسة وضرب أيقونة العذراء بعصاة كانت بيده ولم يكفه ذلك بل دخل الهيكل وتطاول على مذبح الله أيضا، فاندهشنا لفعله الذميم ومجدنا الله طويل الروح الذى لم يقاصصه فى الحال، ولبثنا ننتظر ما يحصل له بعد الاهانة العظيمة التى أتاها داخل البيعة والمذبح وإذا بملاك الرب ظهر لنا وقال: السلام لكم. لا تدهشوا مما حصل من ذلك الكافر فإن هذا اليوم آخر عمره إذ أنه سيهلك فى الغد بثعبان على ساحل البحر. قال ذلك وغاب عن أعيننا وفعلا تم ما أنبأ به ومات الرجل بلدغة ثعبان وذهب حيث يلقى جزاء ما جنت يداه.. وللحال أخذنا عبده وعمدناه فآمن وخلص وصار خادما للبيعة واستحق أخيرا درجة شماس ولبث يخدم بأمانة مذيعا خبر هذه الأعجوبة العظيمة إلى يوم نياحته بسلام.

فلنقم الآن يا اخـوتى بتطويب السـيـدة العـذراء تلك التى استـحقت أن تكون أمـا للبارى جل اسـمـه. خـادمة الرب ووالدته هى أرفع من السماء وأجل من الكاروبيم، وأفضل من السارافيم، وأعظم من طغمات الملائكة وممجدة أكثر من رؤساء الآباء والبنين هى الإناء الذهب المملوء من المجد الذى نزل من السماء. هى عصاة هرون التى أورقت من غير غرس ولا حرث. هى القضـيب الذى ظهر من يسى وأنبع الزهرة التى تفوق كل عطر وطيب. وقد يقصر به الوصف عن كرامة تلك التى تفضلت على كل الخلائق لأن المعبود من كل الناس سر أن يدعوك أما له، الذى اصطفاك وولد منك.

فلنسع يا إخوتى بتعظيم هذا المكان وذلك العيد المجيد لأن تذكاره فى كل عام يفرح القلب ويسره ويبتهج المؤمنون بإتيانه ولا يكون عيدنا باللهو والبذخ العالمى بل بالأشياء التى تعمل بالطهارة وحبذا لو ذيلنا فرحنا بالتصدق على المساكين وتقديم النذور والبكور للاله عز اسمه طالبين منه بشفاعة سيدتنا الطاهرة مرتمريم التى ولد منها بالجسد لأجل خلاصنا أن ينظر إلينا بعين الرحمة. ويغفر لنا خطايانا ويسامحنا عن هفواتنا. ويحرس ما بقى من حياتنا. وأن يحفظ اجتماعنا. ويوهبنا أعمالا مرضية وأكاليل مضيئة. وأن يجعل لنا جميعا خطا ونصيبا من كافة قديسيه فى الملكوت الأبدية بصلوات الرسل الأطهار. وكل الشهداء والقديسين الأبرار. وكل الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الميمر السابع

بكاء السيدة العذراء على قبر ابنها الوحيد[١]

«يقرا باكر يوم سبت الفرح»

لقد تجدد بكاء يعقوب رئيس الآباء اليوم يا أحبائى، فلماذا لا تبكى العذراء مرتمريم على ابنها الوحيد الذى حبلت به وتألمت فى ولادته وحملته فى بطنها تسعة أشهر بل وقاست من الصعوبات ما لا يحتمله أى بشر فى الهروب من بلدة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى خيفة أن يلحقه أى ضرر. وإذا كانت راحيل بكت بنيها مع أنها لم تكن قد رأتهم بعد فلماذا لا تبكى العذراء على الذى أحبته وحملته على ذراعيها السنين الطوال. وإذا كانت راحيل قد بكت بنيها مع أنها لم تهرب بهم من موضع إلى موضع فكيف لا تبكى العذراء ابنها الحبيب الذى هربت به من اقليم إلى آخر ومن كورة إلى أخرى. وإن كانت راحيل بكت أولادها مع أنها لم تر مقابرهم فكيف لا تبكى العذراء على باب قبر ولدها الوحيد. كيف لا وقد تجدد اليوم بكاء الشيخ العظيم يعقوب على ابنه يوسف مع أنه لم يبصر اخوته حالما كانوا يعذبونه. أما العذراء فأبصرت ابنها الوحيد وهو يسمر على خشبة الصليب. يعقوب البار لم ير ولده يوسف وهو فى أسفل الجب يقاسى مرارة الجوع حتى كان يبكيه بكاء السيدة العذراء التى ابصرت انبها معلقا على الصليب.

---

[١] لواضعه الأب القديس أنبا قرياقوس أسقف مدينة البهنسا.

يعقوب البار لم ينظر ابنه عريانا بين فئة اليهود قليلى الإيمان. نعم إن يعقوب لم ير ابنه وهم يبعيونه بعشرين درهما. أما العذراء فأبصرت ابنها مباعا من يهوذا بثلاثين من الفضة وملابسه تقتسمها أيدى المفسدين فجدير بها أن تنوح وتكتئب. اخوة يوسف حزنوا وندموا على بيعهم أخيهم، مع أن بنى إسرائيل لم يحزنوا ولم يرهبوا على بيع السيد له المجد. أولاد إسرائيل فرحوا لما ملك عليهم يوسف أما اليهود فلم يفرحوا عند قيامة السيد المسيح من الأموات. يحق لك أيتها العذراء أن تندبى حظك عندما جاءك الخبر المحزن، خبر محاكمة ابنك الوحيد بيد المجرمين رؤساء اليهود. يوم قيل لك إن ابنك سيصلب قريبا، كيف لا وقد قرروا تعليقه على خشبة الصليب بين لصين. بالحقيقة إن بكاءك أيتها السيدة العذراء في بيت يوحنا عندما وصل مسامعك خبر هذه الفاجعة المؤلمة لما يفتت الأكباد، وجدير بأن يقال أنه أصعب من اليوم الذى خبر فيه لوط باحتراق مدينته. وموت شجعان بنى إسرائيل. خبر السوء أتاك مع حبيبتك سالومة التى آلت على نفسها ألا تفارقك فى أفراحك وأحزانك. إلى هنا ابتدأت العذراء تندب حظها وتقول موجهة كلامها إلى ابنها الحبيب:

ولدى الحبيب: لم أقف يوما ما أمام حاكم. وما نظرت قط إلى سارق يعذبونه. ولا صاحب جريمة يقتلونه. ولم أعرف الطريق الموصلة إلى الاقرانيون لا ولا الجمجمة المزمع صلبك فيها هناك، وما وقفت يوما موقف مدافع حتى كنت أعرف مقدار الظلم الذى صنعوه بك، بل أنا موجودة هنا ببيت يوحنا وأنت بعيدا عنى بدار حنانيا كبير الكهنة. خبر بشارتك جيء به لى وأنا فى بيت يوسف،

أما خبر موتك فقد نزل عليّ كصاعقة وأنا في دار يوحنا. كنت أنتظر عيد الفصح بفروغ صبر حتى نعيد مسرورين وإذ به يأتي بالبكاء والنحيب. عيدى نواح، وفصحى أكدار.

ولدى الحبيب: رسلك الأطهار هربوا جميعا خوفا من اليهود ولم أجد من يرشدني إلى الطريق حتى أراك. سألت عن بطرس لكي يمشى معى. فقيل لى إنه أنكرك خوفا من رئيس الكهنة وذهب فاختفى. يعقوب هرب وتركك في الجبل الذى أمسكوك فيه. اندراوس لم يأت المدينة بالكلية. توما ترك ثيابه وهرب. برثولماوس كان أول الفارين خوفا من اليهود. فيلبس لم يستطع الوقوف لأول وهلة بل هرب عندما أبصر المشاعل تضيء هناك. يعقوب لم يقف البتة. متى العشار خاف كثيرا من اليهود ومن رؤساء الكهنة لأنهم يبغضونه منذ كان يأخذ منهم العشور. وبالجملة لم أجد أحدا سوى يوحنا وهيهات لو قبل أن يذهب بى إلى الاقرانيون والجلجلة. جددى يا عينى بكاءك على أحباء ولدى، ناكرى الجميل، ضعيفى الإيمان، خصوصا بطرس الذى أنكره بالمرة مع أنه لم يعط ذهبا ولا فضة. ترك خالقه الذى أحبه.

هب أنه صديقك يا بطرس وليس سيدك أفما كان من الواجب أن ترافقه في الشدة ولا تنكره وتتنحى عنه هكذا؟ سامحك الله على ضعف إيمانك. ورحمة الله على أبى الشيخ يوسف ذلك الذى قاسى معى من الصعوبات ما خلد له الذكر الحسن. فقال يوحنا للعذراء لا تبكى يا أمى على ما حصل من بطرس فإن ما فعله لا يؤاخذ عليه إذ إنى سمعت معلمى بالأمس يكلمه على أمر إنكاره له، أما هو فكان يقول حاشا لى يا ربى أن أنكرك إلى الأبد، بل ويجدر بى أن أموت

من أن أفعل ذلك فأجابه السيد فى هذه الليلة تنكرنى ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك فاذهب عنى يا شيطان لأنك صرت لى شكا ولم تفكر فيما لله بل ما للناس· مكررا ذلك ثلاث مرات· فاشتد بكاء العذراء وطلبت إلى يوحنا أن يذهب بها إلى الاقرانيون والجمجمة لتنظر الموضع الذى صلب فيه المسيح يوم كان وحيدا فريدا لا أخ له من تلاميذه الذى اصطفاهم وفضلهم على الجميع وكررت الأمر مرارا كثيرة·

فلما رأى يوحنا أنه ليس فى استطاعته أن يعزى سيدته التى أخبرته بصريح القول أنها إن لم تر ابنها وتشاهد وجهه كالعادة لا يهنأ لها بال ولا تتعز قط فقام بها قاصدا الجمجمة وفى أثناء سيرها كانت ترى جماهير الناس ينظرون إليها بعين الوقار إذ أنهم لم يسبق لهم رؤية مثلها· فمنهم من كان يقول أنها امرأة غريبة عن البلدة ومنهم من يقول أنها تشبه المسيح تماما· وبالجملة كانوا ينظرون إليها بعين الوقار وبعضهم عرف يوحنا أنه تلميذ السيد المسيح فأجمع رأيهم على تلك المرأة أنها هى أم يسوع المسيح ذاهبة لترى ابنها على الصليب· أما هى فلم تنظر يمينا ولا شمالا بل كانت مشغولة حزينة وسالومة من خلفها ونساء أخر يغطين رأسها وما زالوا جميعا سائرين إلى أن وصلوا الجلجلة فأبصرت العذراء ازدحام الجماهير متزايد حول ابنها المعلق على خشبة الصليب وكانوا قد اجتمعوا بأورشليم من أجل ذبح الخروف وجميعهم من عشيرة الايجاريين وبالاق· وموآب وكابار· والاسماعيليون يكلمون بعضهم البعض عن ذلك المنظر المهيب قائلين لقد حكموا اليوم على هذا البرىء ظلما وعدوانا· وآخرون يقولون هوذا الذى يطلبون موته من سنين عديدة·

وآخرون يقولون لقد سفكوا اليوم دما بريئا شهما شجاعا قويا إلها قديرا. ويعضهم يقول لو كان عدل فى المدينة ما كانوا يقدمون على قتل هذا العظيم. وقوم يقولون الرجل هو الملك السماوى. ظن هيرودس أنه يملك الأرض بدلا عنه فأرسل خلفه العدد العديد بقصد قتله ولكن خاب مسعاه وتم اليوم على أيدى هؤلاء المجرمين فليخسأ هيرودس ولتشق أمة اليهود.

أما العذراء فكانت تبكى بكاء مرا ولم تستطع أن ترى وجه ابنها الحبيب لازدحام الناس ازدحاما مريعا فأشارت إلى يوحنا قائلة أين هو ابنى الوحيد لأنظر إليه. فقال لها ارفعى عينك يا أماه إلى الجهة الغربية وهناك السيد على الصليب معلقا. فزاحم الاثنان حتى وصلا قريبا منه. فوقفت العذراء عن يمينه ويوحنا عن شماله، فلما رآها آمال نظره جهتهما وكلم يوحنا قائلا يا إنسان هذه هى أمك من الآن ثم نظر إلى أمه وقال يا امرأة هذا هو ابنك.

حينئذ أمسك يوحنا بيد سيدته قاصدا العودة إلى منزله. أما هى فرفضت قائلة دعنى ابكى على ابنى لأنه وحيد بلا أخ ولا أخت، ولا أب على الأرض. ليتنى ألبس اكليل الشوك على رأسى لأشاركك فى آلامك يا ابنى الوحيد. إذا كان استحقاق اللصوص الصلب فلماذا لم يصلبوا يهوذا اللص المشهور فينزعونه ملابسه مثلك يا ولدى. ابصر ذلى اليوم يا يوحنا واتركتنى لأشبع نظرى من وجه ابنى الحبيب. دعنى يا يوحنا أجلس على هذا التل لأنى لم أره قط سوى اليوم. هذا هو منزل اليتامى دعنى أبكى فيه. هذا هو مشجع أيوب البار فى بلواه التى لم تكن شيئا بالنسبة لمصيبتى. دعنى أشبع من هذا الجبل فإنه محط رحال الحزانى وأنا اليوم يتيمة بغير

أب ولا أم ولا ابن. ولبثت تبكى هكذا بحضور يونا امرأة خوزى ومريم المجدلية وسالومة، هؤلاء اللواتى كن يبكين لبكائها. أما نساء اليهود فكن كلما سمعن بكاءهن يستهزئن بهن.

ولما عقد المجلس تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطى الوالى. حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا فقالوا ماذا علينا. أنت أبصر. فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه.

ولما وصلوا بالسيد المسيح إلى بيلاطس ابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا الإنسان يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه هو مسيح ملك فسأله بيلاطس قائلا انت ملك اليهود؟ فأجابه وقال انت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان. فكانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا. فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى. ولما علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إليه إذ كان هو أيضا فى تلك الأيام فى أورشليم. أما هيرودس لما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد أن يراه من زمان طويل لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه أما هو فلم يجب بشىء فاحتقره هيرودس واستهزأ به ورده إلى بيلاطس الذى حاول أن يقنع رؤساء الكهنة والعظماء والشعب بأنه فحص هذا الإنسان ولم يجد فيه علة تستوجب صلبه، كما أن هيرودس أيضا رأى ذلك، فأنا أؤدبه وأطلقه. فصرخوا جميعا قائلين: خذ هذا وأطلق

لنا باراباس. فناداهم أيضا وهو يريد أن يطلق يسوع. فصرخو قائلين: اصلبه اصلبه. فقال ثالثة: أي شر عمل هذا؟ إنى لم أجد فيه علة للموت فأنا أؤدبه وأطلقه. فرفضوا الأمر بتاتاً طالبين صلبه. ولما قويت شوكتهم، أطلق لهم باراباس المسجون وأسلم يسوع لمشيئتهم.

ولما مضوا به، أمسكوا سمعان القيروانى الذى كان آتيا من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كن يلطمن أيضا وينحن عليه. فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. ولم يزالوا سائرين به حتى وصلوا هذا الموضع، وصلبوه هناك مع المذنبيْن واحدا عن يمينه والآخر عن يساره. فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون مذا يفعلون. وكان الشعب واقفين ينظرون والرؤساء يسخرو به قائلين: خلصت كثيرين كما تدعي، فخلص نفسك إذا استطعت لذلك سبيلا. وكان واحد من المذنبيْن المعلقيْن يجدف قائلا: إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وخلصنا. أما هو فلم يجبه أبدا. بل انتهره اللص الثانى وقال: اذكرنى يارب متى جئتَ فى ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس. وكان نحو الساعة السادسة، فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة. التاسعة أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه. ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه فى يديك استودع روحى. ولما قال هذا أسلم الروح. فلما رأته العذراء على هذا الحال، كأن صاعقة نزلت عليها من السماء فتنفست الصعداء وجددت العبرات وقالت: استودعك الله يا ولدى وصليبك الذى رفعت عليه. استودعك السلام ولباسك الملوكى وإكليلك الشوكى الذى يظلل رأسك. إلى من أرفع مظلمتي وما من معين يجبر الخاطر.

حكمت بالجور أيها الوالى، فإليك أسوق الحديث. حكمت على ابنى وأخرجت اللص من السجن بدلا عنه، فإليك دمه يستغيث. أفما كان الأولى بك يا رئيس الكهنة أن تحكم على اللص ولا تترك ابنى معرى من ملابسه؟ تطلق الأثيم وتقتل الأمين. ستعطون حسابا عما أتته أيديكم الأثيمة من سفك الدم البرئ. فما جوابكم عندما يطلبه الرب الإله منكم؟ لابد وأن جزاءكم مع الذين اشتركوا فى الأمر دودا لا ينام ونارا لا تطفأ. ألم يخطر ببالكم أنه إذا حصلت معركة بين خصمين وقوى أحدهما على الآخر وأسر الأول من الثانى قائدا، فالجيش الآخر يحفظ الأسير خوفا من أن يصيبه ضرر ما، حتى إذا تم الصلح يرد المأسور بكل إكرام؟ فكم بالحرى، وقد أتيتم الشر مع الملك الحقيقى، وفاتكم إنه هو القيامة والحق والحياة.

ثم لما ذاع خبر موت المسيح، ورأى قائد المائة ما كان، مجد الله قائلا: بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا. وكل الجموع، الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر، لما أبصروا ما كان، رجعوا وهم يدقون صدورهم ندما وحسرة. وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك. ثم أتى رجل يدعى يوسف من الرامة، وكان مشيرا ورجلا صالحا بارا، طلب من بيلاطس أن يعطيه جسد يسوع. ففرح لذلك، وأمر أن يعطى إليه. فحنق اليهود الذين كانوا يودون أن يترك معلقا على الصليب مثل اللصوص. ورغما عن إرادتهم، أنزل يوسف ونيقوديموس جسد السيد له المجد من على الصليب بمجرد صدور أمر الملك وكفناه بأكفان جديدة من كتان ووضعا عليه طيبا وأنزلاه فى قبر منحوت لم يوضع فيه أحد من

قبل لأنه كان معدا ليوسف صاحب البستان. ولما وضع يسوع فى القبر اجتمع اليهود وقالوا لبيلاطس كيف حل لك أن تصرح بدفن يسوع مع أن اليوم سبت، أما كان يترك على الصليب حتى ننظر قوته فأجابهم قائلا يا رجال الظلم أما رأيتم قوته حتى الآن وآياته حيث تزلزلت الأرض والسماء من أجله فخجلوا وحاولوا أن يقنعوه ولكن عبثا كانوا يحاولون وأخيرا قالوا له إننا نتذكر أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس عندكم حراس اضبطوه كما تريدون فمضوا وجعلوا عليه أربعة جنود أما قائد المائة فلبث مقيما بأورشليم وقال إذا قام يسوع فى اليوم الثالث كما كان يقول فما لى حاجة بعد بسلطان هيرودس بل يحق لى أن أخدم المسيح ولما بلغ مسامع العذراء وضع جسد ابنها الحبيب فى قبر جديد بعد أن صار تكفينه بكتان جديد وتعطيره بطيب ومر سألت عمن فعل هذا الجميل فقيل لها هما يوسف ونيقوديموس الرؤساء الكرام. فقالت لو وضع ابنى تحت شجرة الحياة فإنى لا أتعزى أن لم أنظره. ولو ارتدى لباس سليمان لا أتعزى إن لم أبصر قبره، ولو وضع طيب مرون على جسده لا أتعزى حتى أراه بعينى رأسى. ولو قبر ابنى فى قبور الأنبياء لا أتعزى إن لم أره ولو كان البستان الذى وضع فيه هو الفردوس لا أتعزى حتى أبصر قبره. ملائكة السماء يحفظونك يا أبى يوسف. الرب يحرسك يا نيقوديموس لانكما صنعتما الخير مع ولدى. ليتنى أخذت دمك الطاهر يا ابنى لأبكى عليه، لأن يعقوب بكى على دم غريب غير دم يوسف. الويل لى يا ابنى الحبيب لأنى لم أجد جسدك ولا دمك حتى كنت أتعزى قليلا. حقا يا ابنى لو وجدت دمك

مسكويا لأخذته وطهرت به ردائى، لو كنت وجدت لباسك يا حبيبى لكان يصير لى عزاء. الويل لى يا ابنى لأن أحشائى اضطربت حزنا عليك. صنعت معهم الخير فطهرت البرص منهم وأخرجت الشياطين وأبرأتهم من نزف الدم وجعلت عميانهم يبصرون وعرجهم يمشون وموتاهم يقومون. ومع كل ذلك كان جزاؤك منهم الإهانة والضرب والسب وكافة أنواع العذاب وأخيرا الصلب بين لصين مجرمين. استحلفك المروءة يا يوحنا أن تذهب بى حيث قبر ابنى الوحيد لأفتقده هناك، لأن اليهود منعونى من النظر إليه عندما كان على عود الصليب ولو إنى متأكدة من شدة التعب الذى حل بك بسببى، إلا إنى أطلب منك أن تصبر حتى النهاية لتنال بركة سمائية على أتعابك. فكان يوحنا كلما سمع أقوالها المؤثرة يبكى ويعزيها على حزنها بقوله سيدتى العذراء كفى بكاء وتيقنى أن سيدى كفن ودفن فى قبر جديد فى بستان بعد أن عطر بورد وطيب ولف بلفائف جديدة. أما هى فكانت تقول لو كانت سفينة نوح هى مقبرة ابنى لا أتعزى إلا إذا رأيته وبكيت عليه فأجابها بقوله وكيف لنا الوصول مع أن المقبرة يحرسها أربعة جنود من قبل الوالى فلبثت تبكى من اليوم الذى صلبوه فيه حتى السبت وفجر الأحد. أما الجنود المتولين أمر حراسة القبر فاتفق معهم رئيس كهنة اليهود وعظماؤها بقولهم إن قام هذا المضل من بين الأموات كما كان يدعى فاخفوا الأمر عن الوالى وبكروا وأخبرونا حتى نكافئكم على عملكم هذا. ولما قام السيد له المجد من بين الأموات فى ثالث يوم ظهرت آيات عظيمة جدا حتى أن الجنود ارتعدوا خوفا وقاموا مسرعين وأتموا الاتفاق من نحو إخفاء الأمر عن الوالى فذهبوا توا حيث يوجد رئيس الكهنة وعظماء اليهود وأخبروهم بما حصل من

قيامة السيد له المجد من بين الأموات فوقعوا جميعا فى دهشة عظيمة وقالوا فى أنفسهم ماذا نصنع إذا سمع الوالى وقائد المائة بقيامته. لابد أنهم يعاقبوننا على عملنا هذا المخالف للناموس سيما وأنهم حذرونا كثيرا محاكمته وصلبه، وأخيرا ارتابوا فى كلام الجند معللين أنفسهم بأن يجدوا المسيح بالقبر. فذهبوا هناك وفتشوا عليه فلم يجدوه فزاد حزنهم وكبر الأمر فى أعينهم حتى إنهم شقوا ثيابهم وأعطوا فضة كثيرة للجنود حتى لا يذيعوا الخبر لدى الوالى وقائد المئة. ثم فى أول الأسبوع أى يوم الأحد باكرا جدا ذهبت العذراء إلى القبر حيث كانت المجدلية سبقتها إلى هناك فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع وفيما هن محتارات فى ذلك إذ رجعت العذراء إلى نواحها الأول وابتدأت تقول. الويل لى يا ابنى الوحيد من ذا الذى دحرج الحجر وحمل جسدك الطاهر فزاد حزنى. لم أمض إلى قبر أبى ولا أمى لموتهما حال صباى، ولم أزر قبر خطيبى يوسف الذى قبل أتعابا جمة بسببى. واليوم يا ولدى جئت إلى قبرك لأراك فلم أجدك. جئت لأتملى برؤياك وأتعزى على ما بى من الكدر فلم أجد من يرشدنى أين أنت. يوم ولادتك فى بيت لحم أشرق نجمك ولم يمجدك هيرودس. ويوم صلبك أظلمت الشمس ولم يؤمن كهنه اليهود. يوم ولادتك كان يوم سرور فى كل تخوم العالم حيث احتاطت بك ملائكة الرب. ويوم صلبك لم يستطع تلاميذك الأطهار أن يثبتوا بل الكل هربوا لأول وهلة. يوم الولادة يا ابنى أتى المجوس وسجدوا لعزتك الإلهية وقدموا قرابينهم ذهبا ولبانا ومرا. يوم الصلب عيرك أحد اللصوص المنافقين وأنت على الصليب. يوم ميلادك فى بيت لحم كان يخدمك أبى يوسف وتمجدك طيور وحيوانات الأرض غير الناطقة. ويوم صلبك لم تجد من يواسيك حتى إخوتك. فالويل

والشقاه لأمك من بعدك. ذهبت إلى الجمجمة ولم أجدك وجئت إلى القبر ولم أرك فحزنى شديد وقلبى منكسر وألمى متضاعف. استحلفت الأربعة جنود الذين كانوا يحرسونك أن يرشدونى أين وضعوك. أتضرع إلى يوسف وأبكى إلى نيقوديموس أن يضمنانى كما ضمنا واستلما جسدك الطاهر من بيلاطس ووضعاه فى القبر.

أما مريم المجدلية فلما نظرت أن الحجر مرفوع عن القبر أسرعت وذهبت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر وكان الاثنان يركضان معا وسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر وانحنى فنظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى على رأسه ليس موضوعا مع الاكفان بل ملفوفا فى موضع وحده. فحينئذ دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى وآمن لأنهما لم يكونا بعد يعرفان الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات. أما السيدة العذراء فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى على وحيدها وفيما هى كذلك انحنت قليلا نحو القبر فنظرت ملاكين بثياب بيضاء جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين قالت لهما إنهم أخذوا ابنى وسيدى ولم أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ولم تعلم أنه يسوع الذى قال لها: لماذا تبكين يا امرأة ومن تطلبين فظنت أنه صاحب البستان فقالت له: يا سيدى إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه. قال لها السيد له المجد: يا مريم فالتفتت وقالت ربونى أى يا معلم. فقال لها لا تخافى يا أمى انظرى إلى وجهى لتعرفينى أنا هو

ابنك. أنا يسوع الذى أقام لعازر من بين الأموات فى بيت عنيا. أنا هو يسوع الذى صلب على خشبة الصليب. أنا هو يسوع الذى يعزيك فى أحزانك. أنا هو يسوع القيامة والحق والحياة. أنا هو يسوع الذى تبكين من أجله. لم يحمل جسدى كما كنت تفتكرين بل أنا قمت من بين الأموات بإرادة أبى الذى فى السموات لخلاص جميع الموثوقين برباط الخطية.

قلما سمعت العذراء هذا الكلام تشجعت وكفكفت دموعها وكفت عن البكاء ورفعت وجهها نحو ابنها الحبيب وفرحت لما رأته فى نعمة لاهوته وقالت له قمت يا ابنى وسيدى. حسنا قمت ثم انحنت عليه لكى تقبله فقال لها يكفيك ما أنت عليه من السرور بقيامتى وانظرى كم من الناس خلصوا بعد أن كان مثواهم الجحيم وصاروا فرحين لأنى سأقدمهم قربانا طاهرا إلى أبى قبل أن أمضى إلى الفردوس. فأبصرت جموعا كثيرة لابسين حللا بيضاء فنظر إليها السيد وقال اذهبى إلى اخوتى وقولى لهم إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فجاءت وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا الكلام وابتدأت تقصهم الخبر من البداية حتى النهاية. إلى أن قالت ما قاله السيد من أن الأموات يقومون فى هذا اليوم والعميان يبصرون والعرج يمشون وهكذا شاع خبر قيامة الناصرى من بين الأموات حيث قال لأمه إنه سيذهب إلى أورشليم ويراها هناك مع اخوته ويباركهم.

أما رؤساء الكهنة واليهود فذهبوا إلى بيلاطس وأرادو أن يضللوا به بواسطة الأربعة جنود فقالوا أيها الوالى العظيم لقد زادت الضلالة وكثر الهرج والمرج فى القبر فأرسل إلى الجنود ليأتوا

ويعلمونا الخبر اليقين، فقال لهم إنى سمعت أن الناصرى قام من الأموات ورأيت رؤيا تؤيد ذلك وحق الملك وناموس موسى أن ما رأيته ينطبق تمام الانطباق على ما سبق وقاله المسيح قبل الصلب. وإنى أومن أنه هو ابن الله حقا وما ظهر من الآيات عند موته وقيامته يساعد على ذلك إذ أنى رأيته فى حلم تلك الليلة ونوره يضى أكثر من نور الشمس وحقيقة إنى أرى المدينة منيرة بنوره إلا مجمعكم مجمع الظلم والعدوان كيف لا وقد سمعت صوته يقول يا بيلاطس لماذا أنت حزين؟ ألكونك وافقت على صلبى! لا تحزن فإن المكتوب قد كمل فارجع إلىّ وأنا أغفر لك. أنا يسوع الذى مات على خشبة الصليب. أنا يسوع الذى قام من بين الأموات وهذا النور الذى تبصره هو مجد قيامتى فانظر إلى قوة الآية. آية قيامتى واعلم إنى أنا الإله الواحد فاذهب إلى قبرى تجد اللفائف هناك تحرسها الملائكة. قبلها واسجد لها وتكلم عن قيامتى ما استطعت إلى ذلك سبيلا وسترى عجائب كثيرة اليوم إذ الموتى يقومون والعمى يبصرون والعرج يمشون. تقو يا بيلاطس وكن مؤمنا ولا تكن كبقية اليهود.

هذا ما قاله بيلاطس إلى رؤساء الكهنة اليهود أما هم فصاحوا جميعا بقولهم لا يحق لك أيها الوالى أن تصدق الأحلام بل الأجدر بك أن تستدعى حراس القبر لتعلم ما قد صار. ولما لم يقو على إقناعهم استدعى الجنود الأربعة وفرقهم كلا بموضع وسألهم واحدا فواحدا فاختلفوا جميعا فيما قالوا فمنهم من قال إن المسيح لم يقم بل بطرس ويوحنا سرقا جسده ومنهم من قال أن السارقين

هم تلاميذه الاثنى عشر. ومنهم من قال أن السارق للجسد هم يوسف ونيقوديموس وأهلهما، ومنهم من قال أنه لم ير السارق. وهكذا تضاربوا فى أقوالهم فأمر بسجنهم جميعا وقام إلى القبر يتبعه كل عظماء اليهود والجند ورؤساء الكهنة حيث وجدوا اللفائف موضوعة بغير جسد إنسان. فقال لهم يا من تبغضون أنفسكم وتنكرون الحق هل يسرقون الجسد ويتركون اللفائف. فأجابوا أن تلك لم تكن له من قبل بل غيرها فتذكر قول السيد له المجد من أن عجائب كثيرة تظهر فى ذلك اليوم، إذ العميان يبصرون والعرج يمشون فأسرع ودخل إلى القبر وأخذ اللفائف وقبلها بفرح وبكى ونظر إلى قائد المائة الذى كان واقفا على باب القبر وأعطاه اللفائف وقال له ما أحسن رائحتها إذ أنى لم أشتم منها رائحة كريهة تدل أنها كانت على جسم ميت. فقال اليهود ألم تعلم أن يوسف سكب على جسد المسيح عطرا وطيبا وكفنه بكتان وهذا هو الأثر الباقى من الرائحة فقال وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تشتم رائحة زكية فى القبر قالوا له هذا العطر الذى تستنشقه هو من رائحة أزهار البستان التى تنتشر مع الرياح فأجابهم إنكم هالكون لا محالة لتجديفكم على قبر ابن العلى. فقالوا وما عليك لو هلكنا فاذهب إلى مقر وظيفتك إذ أنك الوالى على البلد وليس على قبر ميت فاغتاظ بيلاطس ونظر إلى قائد المائة وقال له تعجب كيف إنهم يكرهون الحق. يكرهون الإله الواحد بعد كل هذه العجائب والآيات. ما أقسى قلوبهم وما أشد عذابهم فى الآخرة حيث لا يجدون شفيعا يشفع فيهم أمام الديان ملك الملوك ورب الأرباب. بيلاطس كان يقول هذا الكلام لقائد المائة واللفائف فى

يده يقبلها بانشراح زائد قائلا بالحقيقة أؤمن بأن الجسد الذى لف فيك قد قام من بين الأموات فأخذها القائد أيضا وتبارك منها ووضعها على وجهه فأبصر للوقت بعينه التى كانت جرحت أثناء الحرب وكان لا يبصر بها من مدة طويلة ورجع إليه نور عينيه كما كان فمجد الله وتذكر بيلاطس قول السيد له المجد فازدادت أمانته فى الرب يسوع واندهش الجمع كله وآمن لما رأى قوة الآية عدا رؤساء الكهنة وعظماء اليهود الذين كانوا كلما رأوا أعجوبة يكثر ضلالهم ويزداد حقدهم.

ثم التفت بيلاطس إلى قائد المائة وقال له أنظرت قوة المسيح الإله فقال له إنى أؤمن أنه بالحقيقة ابن الله الذى قام من بين الأموت وها أنا من الآن لم أعد أخدم ملكا أو رئيسا بل ربى وإلهى يسوع المسيح، وللوقت ألقى سيفه ودرعه وأخذ اللفائف وذهب بها إلى كل التخوم المجاورة، مظهرا ومعلنا آية المسيح أما اليهود فكانوا يضلونه بقولهم أما رأيت آية مثل هذه حتى تفرح. ألم تعرف أن ذلك كله يعمل ببعلزبول فلا يغرنك عمل السحرة لأنهم قالوا إن الساحر إذا مات تعمل الجن أعمالا تشابه أعماله مدة حياته بقصد التضليل بكثيرين مثلك. فأجابهم بيلاطس لم نسمع أن السحرة يأتون عملا كهذا ولكنكم تريدون أن تثبتوا الكذب على أنفسكم وسيأتى عليكم غضب الله. أما هم فسلموا للدينونة عندما قالوا دمه علينا وعلى أولادنا إلى الأبد.

ثم خاطب بيلاطس اليهود قائلا أين هو المسيح إذا لم يكن

ذلك الذى قام من بين الأموات فأجابوه هلم بنا نفتش عليه وساروا جميعا يصحبهم قائد المائة إلى البئر التى فى البستان ونظروا إلى أسلفها فوجدوا جثة تطوف على وجه المياه فصرخوا قائلين هوذا الساحر الناصرى الذى اكثرت من الكلام عنه مدعيا أنه قام مع أنه فى أسفل البئر فأمرهم بيلاطس بأن يستخرجوا الجثة ليرى حقيقة الحال فأخرجوها فاستدعى يوسف ونيقوديموس وقال لهما أليست هذه الاكفان التى كفنتم بها جسد يسوع فأشاروا إلى التى بيده وقالا إن هذه الجثة هى جثة أحد اللصين الذى صلب مع يسوع فحنق اليهود عليهما وأرادوا أن يلقوهما فى البئر غير أن بيلاطس وجنوده دافعوا عنهما. وبعد مناقشة بين الفريقين طلب روساء الكهنة تكفين الجثة التى وجدت فى البئر ووضعها فى قبر يسوع ليروا إن كان هو حقيقة ويستطيع القيام من بين الأموات وإن لم يكن هو فليقمها كقوله إن الموتى يقومون وقد كفنت الجثة المذكورة باللفائف التى كانت مع بيلاطس ودفنت فى القبر الذى كان مدفونا فيه جسد يسوع وأمر الجمع بأن يضعوا لحجر على باب القبركما كان.

وبعد ذلك بسط بيلاطس يديه نحو السماء وصلى قائلا أتضرع إليك يا يسوع معطى الحياة لكل أحد إذ أنك أنت القيامة والحق والحياة. إنى أؤمن أنك بالحقيقة قد قمت كما ظهرت لى فلا تديننى يا سيدى لأنى فعلت هذا خوفا من اليهود وليس لأجرب قيامتك لأنى أنا واثق بقولك وقوتك التى صنعتها عندما كنت فى هذا العالم فلا تغضب علىّ لأنى سمحت لجسد غريب أن يوضع فى المكان الذى وضع فيه جسدك لأنى فعلت هذا خزيا وعارا لهؤلاء المنافقين

الذين يكذبون قيامتك فليخزوا إلى الأبد. تقبل المجد والكرامة من فم عبدك بيلاطس الآن. ولما انتهى من قوله سمع صوتا من داخل القبر يقول له افتح لي باب القبر يا بيلاطس لأخرج لأنى أول من فتح له باب الفردوس. ارفع عنى الحجر يا سيدى لكى اخرج بقوة ربى يسوع المسيح الذى قام من الأموات. فصاح بيلاطس بفرح عظيم وأمر الواقفين أن يدحرجوا الحجر عن باب القبر فللوقت خرج الميت ماشيا وسجد أمام بيلاطس الوالى فلحق اليهود خزى وعار عظيمين وهربوا وهم يولولون فأمر جنوده أن يطاردوهم ويضربوهم.

ثم التفت بيلاطس إلى الميت وقال له أخبرنى يا ابنى من انت ومن الذى أقامك فى هذه اللحظة القريبة. لو كان يسوع فى القبر معك لصدقنا ذلك. أجابه أنا اللص الذى صلبت عن يمين السيد وفزت بكل النعم والمواهب السمائية بمجرد أمانتى وأنا على عود الصليب بقولى للسيد اذكرنى يارب متى جئتَ فى ملكوتك. والذى أقامنى هو السيد المسيح إذ أنه له المجد قد أشرق داخل القبر عندما كنت تصلى وتتضرع إليه، وخاطبنى بفمه الإلهى قائلا اخبر حبيبى بيلاطس أن يحارب عن قيامتى لأنى جعلت له نصيبا فى ملكوت السموات.

حينئذ أرسل بيلاطس خطابا إلى هيرودس يشرح فيه قصة الصلب والقيامة وما حدث من العجائب الكثيرة التى تؤيد أن يسوع هو الإله حقا، فقرأه بفرح عظيم وفى أثناء ذلك ذهب رؤساء الكهنة إلى هيرودس وألقوا فتنة مكذبين أقوال بيلاطس مدعين أنه أهان

ناموس موسى ولم يتكلم بالحق. فأرسل هيرودس إلى بيلاطس ردا على خطابه يطلب منه إرسال قائد المئة واللص الذى قام من بين الأموات ليتحقق الأمر بنفسه. وطلب أيضا ارسال اللفائف ليتبرك منها فأجيب إلى طلبه ما عدا اللفائف التى كانت قد أخذها الرسل، ولدى وصول القائد واللص ابتدأ هيرودس بمخاطبتهما على انفراد ولما تحقق أمر قيامة السيد له المجد وخوفا من انتشار هذا الخبر واجابة لطلب اليهود أمر بقطع رأسيهما وبينما كان بيلاطس يقص خبر قيامة الرب على زوجته رأى سحابة نورانية تحملها الملائكة وفيها روحا ذينك الصديقين وسمع صوتا من السماء قائلا يا بيلاطس لقد أخذت رأس من أرسلتهما إلى رئيس الربع لأنهما قالا الحقيقة وقد نالا اكليل الشهادة كما أنه لابد لك من نوال هذا الإكليل فى رومية من أجل قيامة الرب وتؤخذ نفسك مع زوجتك إلى أورشليم السمائية إلى الموضع الذى أعد لكما فتقو واثبت إلى النفس الأخير. ففرح بيلاطس بهذا الصوت وسبح الله وعلم بمكر وخداع هيرودس وصارت عداوة بينهما وشكاه عند الوالى مرارا وكان الفوز لبيلاطس بقوة الله.

وأنا قرياقرس كتبت هذا الميمر وأعلمتكم به يا أحبائى إذ وجدته مكتوبا بمعرفة غمالائيل ونيقوديموس الرؤساء الكرام وموضوعا بمدينة القدس الشريف فشكرت الله على هذه النعمة العظيمة، ولإلهنا المجد من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الميمر الثامن

قصة القديس متياس وأعجوبة حل الحديد[١]

﴿يقرأ فى اليوم الحادى والعشرين من شهر بؤونه﴾

الحمد لله الذى هدانا إلى معرفة الحقائق بأوامر إنجيله. ودعانا من أشرف الخلائق ببواهر تنزيله. وفتح لنا أبواب البر التى هى بيعته. وأهلنا أن ندخل نحن الموسومين لخدمته. وحدا بنا إلى طرق الخلاص من خداع الشيطان وأضاليله. وأوقف نوعنا البشرى فى أعلا مراتب تكميله وجعلنا أهلا للبنوة الإلهية. وولدنا ميلادا جديدا من الماء والروح بالمعمودية. وحقق لنا أقوال أنبيائه الصادقة. وكمل فينا نبواته السابقة. نحمده حمد معترف بأنعامه وتخويله. مقر بما أسدى إليه من خصائص اكرامه وتفضيله ونشكره على ما أولانا من جسائم آلائه وصنوف احسانه وأفانينه، شكرا تقصر لطوله ألسنة الفصحاء عن ايراده وتدوينه. فيا لشرف هذه العطية السنية. ويا لعظم هذه المواهب المرضية. التى لا تدرك العقول غورها ولا تبلغ الصفات فخرها. فطوبى لمن يتطهر من الأدناس. ويقدس ذاته قبل أن يؤم قدس الأقداس. فهلم يا شعب الله المستقيم أولاد المعمودية وفردوس النعيم. لنجمع العقول من التبديد والتفضيل. ونسبح إلهنا بالتمجيد والترتيل. ونصغى بأسماعنا إلى ما يتلى علينا من الأقوال الإلهية والأخبار السعيدة المريمية. من ذكر العجائب العظيمة والآيات الباهرة التى أتتها سيدة الأبكار بقوة من الإله العلى. شفاعتها تكون

---

[١] لواضعه االقديس أنبا كيرلس بطريرك أورشليم.

معنا آمين.

حسنا أتيتم إلىّ يا أفراد شعب كنيسة الله مستقيمة الرأى وسألتم حقارتى عما يعجز فهمى عنه وتقصر عبارتى. وهو أن أعلمكم بقصة القديس متياس الذى خلص على يدى السيدة العذراء بعد أن أظهرت من العجائب بقوة ابنها الوحيد ما خلد لها الذكر الحسن على ممر الدهور والأزمان. وتحرير الخبر أنه بعد أن قام سيد المجد. ربنا يسوع المسيح الحى الأزلى من بين الأموات أمر رسله الاثنى عشر أن يمضوا إلى العالم ويبشروا الناس بإنجيله الطاهر، وكانت العذراء يومئذ فى أورشليم يرافقها جملة من العذارى يسبحن الخالق جل اسمه. وحدث أن ألقى الشيطان اللعين بغضة شديدة فى قلوب رؤساء الكهنة من جهة العذراء مرتمريم وقر رأيهم أخيرا على نفيها باحدى البرارى. ولما علمت ذلك كانت متوجعة القلب منكسرة الخاطر بسبب مؤامراتهم الشريرة عليها فكانت تقول إلى أين أذهب وعند من أقيم بعد أن صعد مخلصى وابنى الوحيد إلى السموات وذهب رسله الأطهار يبشرون العالم فى أقاصى الأرض فالأجدر بى أن أمضى إلى يوحنا حبيب ابنى فى أفسس أو إلى أحد التلاميذ الآخرين وفيما هى تفكر فى الأمر إذ ظهر لها ابنها الحبيب الرب يسوع المسيح وقال لها السلام لك يا والدتى الحبيبة لماذا أنت متوجعة هكذا اعلمى أنه لا أحد يقدر أن يظلمك، فقومى واركبى هذه السحابة النورانية وامضى إلى مدينة برطس لتخلصى القديس متياس لأنه مربوط بسلاسل من حديد وهو فى شدة عظيمة من الكفار أهل تلك المدينة ولم يجد أحدا من الرسل يقويه على ضيقته وآلامه وتيقنى يا أمى أن خلاصه وإيمان أهل المدينة سيكون على يديك بصلاتك وسيمجدون الله الآب والابن والروح القدس من أجلك يا والدتى الحنونة فلما سمعت هذا الكلام من المخلص فرحت جدا وتهلل

وجهها وركبت السحابة وظلت سائرة بها حتى أوصلتها مدينة برطس فرأت امرأة عجوز تبكى فقالت لها ما يبكيك أيتها المرأة. أخبرينى بما اتفق لك وابنى يسوع يخلصك. فأجابتها لا تدعى أحدا يسمعك فى هذه المدينة تذكرين ذلك الاسم لئلا ينالك شديد القصاص بسببه. لأنه منذ ثلاثة أيام أتى رجل يدعى متياس وصنع عجائب كثيرة فى هذه المدينة بذلك الاسم إذ أنه أخرج الشياطين وأقام الأموات وأبرأ العميان وتبعه أغلب السكان وكانوا يصيحون لا إله إلا يسوع المسيح ابن الله الحى. فلما سمع الوالى خبره أمر بالقبض عليه وقيده بالسلاسل وألقاه فى السجن وللوقت خطفته سحابة سمائية من بينهم ولم يعلموا أين مضى. وهأنذا جالسة أبكى هنا منتظرة رجوعه إلى المدينة دفعة أخرى لأمضى به إلى بيتى ليشفى ولدى الذى به روح نجس يعذبه من ثلاثة أيام، هذا ما حصل أخبرتك به فلا تذكرى هذا الكلام ولا ذلك الاسم لئلا ينالك قصاص عظيم. فأجابتها العذراء إن استطعت اخفاء نور الشمس يستطيع أى كان إبطال عمل ابنى ورسله الأطهار فامضى وائتنى بابنك ويسوع ابنى يشفيه من مرضه فقالت لها بل الأوفق أن نذهب سويا لمنزلى حتى تحل نعمتك هناك ونسمع قليلا من كلامك. وللوقت قامت العذراء معها واستمرتا سائرتين حتى وصلتا البيت ولدى وصولهما هرب الشيطان من الصبى بقوة العلى وقام يسبح الله وهو يقول مباركة هى الساعة التى وافتنا فيها السيدة المباركة أم الملك الحقيقى يسوع المسيح. فقالت للعجوز لقد طاب قلبك بسبب شفاء ابنك فقومى بنا الآن لنذهب إلى السجن الذى فيه متياس لندرك المسجونين هناك بنعمة من الله وسارتا معا إلى أن وصلتا أبواب السجن فوجدتاه مغلقا بمتاريس من حديد وأقفال محكمة، والمسجونون من داخله يقاسون عذابا أليما فقامت العذراء وبسطت يديها الطاهرتين وابتدأت تصلى وعند نهاية

الصلاة فتحت المتاريس الحديد والأقفال وسائر الآلات الحديدية التى على أبواب السجن وخرج المسجونون بفرح عظيم قائلين: نؤمن بالإله الواحد إله القديس الرسول متياس الذى قد أتانا اليوم وخلصنا من أيدى المفسدين. فليفتضح والى هذه البلدة ولتهلك آلهته النجسة.

ولما سمع الوالى كثرة الهرج وصياح الناس سأل عن السبب فقيل له إن كل المسجونين على اسم يسوع قد خلصوا وها هم يسيرون فى شوارع المدينة يبشرون باسمه. فغضب كثيرا وأمر بقتلهم جميعا ولما أراد الجنود تنفيذ أمره ولدى استحضار آلات القتل وجدوا السيوف وكل معدن استحال إلى سائل فاندهشوا كثيرا وفيما هم كذلك دخل رئيس السجن إلى الوالى وهو يبكى وقال له اعلم يا سيدى إن ما حل بنا هذا اليوم من المستغربات المدهشة ومجمل القول أنه لما كان صباح هذا اليوم اجتمعنا وأكلنا خبزا مع بعضنا بعد أن أغلقنا أبواب السجن وكان عبد صغير يسقينا قليلا من الخمر فى أبريق من نحاس فذاب واستحال إلى سائل على حين غفلة فاستغربنا الأمر كثيرا ولما هممت لضربه بقضيب من حديد كان بيدى لم استطع لاستحالته إلى ماء وبينما نحن جلوس إذا بسحابة من نور قد ملأت المكان بأكمله وسمعنا صوتا من السماء يقول للمحبوسين من أجل يسوع: لقد أدركتكم نعمة العذراء مريم والدة يسوع ورسله لا يصيبهم مكروه البتة فلما سمعنا ذلك أردنا أن نكشف الحالة فلم نستطع المسير ولكنا رأينا أن كل الآلات الحديدية قد ذابت وصارت ماء وأما الرجل الشيخ الذى أمرتنا باعدامه أمس فقد تركناه ميتا ولم ندر اليوم إلا وأحد الناس لمسه بيده وقال له قم مسرعا لأن بركة مرتمريم والدتى قد أدركت المدينة بأجمعها فقام للوقت وسار مع المسجونين يسبح الإله يسوع وهذا ما حدث أخبرتك

به. ويغلب على الظن أن ذلك لم يعمل إلا بقوة عالية، فغضب الوالى عند سماعه هذا القول وأمر باعدام السجانين ولكنه لم يتمكن لعدم وجود آلة للقتل حيث أن كل شيء يقال له حديد كان قد ذاب واستحال إلى مادة سائلة.

حينئذ أراد الوالى أن يكتشف حقيقة الحال بنفسه فقال سأذهب بنفسي لأرى ابني أولاس المعتوه وإن كان قد شفى من جنونه لابد أن أؤمن بالإله الذى لمتياس الرسول. وقام مسرعا وسار إلى أن عثر على ابنه فوجده بحالة تعقل ورزانة فسأله قائلا من شفاك يا ابني؟ فأجابه إن امرأة يضيء نورها أكثر من الشمس بلباس أبيض كالثلج زارتنى أمس فى سجنى وقالت لى يا أولاس بن مكرونيوس والى هذا المدينة أخرج من هذا المكان المظلم، فصرخ الشيطان من داخلى وقال أتضرع إليك يا سيدتى العذراء لا تهلكينى وأنا أخرج فطردته خارجا وها أنت ترانى بعقل سليم مثل باقى الناس. فصاح مع الذين كانوا معه بقولهم نؤمن جميعا بأن لا إله فى السماء والأرض إلا يسوع المسيح ابن الله الحى الذى بشرنا به القديس متياس والسيدة المباركة مريم. وللحال قام مسرعا وكتب كتابا يشرح فيه الأمر وأرسله إلى الملك. ولدى مطالعته حزن حزنا شديدا على ما كان عليه من الضلالة ورجع إلى الرب من كل قلبه وكتب للوالى يشكره ويقول أنا الحقير فى الناس أسجد عند أقدام والدة الإله الحق خالق الخلق تلك التى قد تنازلت وخلصتنا من ضلالتنا فتضرع عني أمامها وعن أهل بيتى لترحمنا وتقينا شر الأمم الأخرى، لأن جميع آلاتنا الحديدية قد ذابت وصرنا لا نقوى على رد هجمات العدو.

ولما قرأ الوالى خطاب الملك سر كثيرا ولبث يفتش على السيدة

العذراء حتى وجدها بمنزل العجوز التى زارتها أول دخولها البلدة وقرع على الباب وطلب المعونة من السيدة العذراء التى تضرع إليها أن تزوره بمنزله لتباركه فأمهلته إلى الغد بقولها لتكن إرادة الله، فمضى ودعا رؤساء المدينة وأمرهم أن يعدوا الطريق الموصل من منزل العجوز ففرشوها بالرياش الثمينة ورتبوا المنزل ترتيبا حسنا بكل أنواع الجواهر الرفيعة ونصبوا كرسيا من ذهب ابريز يعلو باقى المقاعد لتجلس عليه أم الرب يسوع ملك الملوك ورب الأرباب وقد زينوا المدينة وأطلقوا فيها روائح زكية وأوقدوا شموعا على طول الشوارع والأزقة وأناروا البيوت، وفى ثانى يوم ذهب الوالى وحاشيته إلى العذراء وطلب إليها أن تتمم ما وعدت به فلبت الطلب وذهبت إلى منزله وبعد أن استقر بها المقام قامت وابتدأت تصلى راجية ابنها الوحيد أن يعيد ما قد ذاب من الآلات الحديدية فى هذه المدينة كما كانت لتزداد أمانة أهلها وقد تم ذلك. وطلبت أيضا إلى ابنها أن يأمر سحابة سمائية تأتى بالقديس متياس ليقوى أهل المدينة ويثبت إيمانهم بك. وللوقت ظهرت سحابة وعليها القديس متياس ولدى وصوله سمع أهل المدينة يقولون إله متياس إله حق فتعجب ونزل فرأى العذراء ببيت الوالى فى انتظاره فسلم عليها وعلى الحاضرين ثم خاطب السيدة العذراء بقوله ما الذى صنعتيه مع أهل هذه المدينة حتى أنهم آمنوا جميعا مع أنى قد سبقت وعملت آيات كثيرة بقوة الله ولكنهم ضربونى وسجنونى ولم يؤمنوا وخلصنى من أيديهم السيد له المجد فاجابته العذراء لقد أتيت هذه المدينة بأمر ابنى الحبيب وصليت فاستحال حديدها إلى سائل وبهذه الواسطة تمكنت من انقاذ المحبوسين وآمن أهل المدينة بالسيد المسيح. فأجابها متياس طوباك يا سيدتى العذراء أم الرب لأنك استحقيتى نعمة أكثر من السمائين والأرضيين فألتمس منك أن تعلمينى تلك الصلوة. وفى

أثناء ذلك، نزلت طغمة من الملائكة يصحبها السيد له المجد على مركبته الشاروبيمية وأضاء المكان بنوره العجيب فاندهش الجميع لهذا المنظر المهيب ونظر المخلص إلى متياس وقال قم يا خليلى أنا هو ربك فأفاق من غفلته وقام ممتلئا بالروح القدس وسجد للمخلص قائلا اغفر لى يا إلهى زلاتى فأجابه الرب قائلا: لقد استحقيت كرامة عظمى مع اخوتك الرسل ووالدتى العذراء تستحق الاكرام أكثر فأكثر لأن منها تظهر آيات وعجائب كثيرة ويذيع أمرها فى المسكونة كلها. قال ذلك وصعد إلى السماء بمجد عظيم والملائكة تسبحه. وفى ثانى يوم قامت السيدة العذراء مع القديس متياس وطافا المدينة باحتفال عظيم يليق بمقامها الرفيع، فباركاها وأهلها بناء على طلب الوالى الذى كان يكتب ما يراه وفى تلك الأثناء طلبت العذراء إلى ابنها الحبيب أن يشفى كل مريض - ثم أنها كانت تنتقل من موضع إلى آخر وتهدى كل ضال وبمرورها وجدت صنما من معبودات تلك المدينة الذى لم يستطع الثبوت أمامها بل سقط للوقت وخرجت قدامه الشياطين مستغيثة وقد حذرت السيدة العذراء أهل المدينة أن لا يعودوا لعبادة الأوثان بل يتبعون الإله الحق وأنهم لا يخلصون إلا إذا اعتمدوا باسم الآب والابن والروح القدس وبشرتهم بأقوال الله الحقة وأمرت متياس أن يعمدهم لينالوا الحياة الأبدية وقد تم ذلك بفرح عظيم وأعدوا ولائم كثيرة للفقراء.

ثم إن السيدة العذراء بعد أن أتمت كل شىء مع الوالى وأهالى بلدته من جهة عمادهم وتعليمهم ما يجب عمله نحو الله وإذا بحمامة بيضاء وقفت على رأسها وقالت يا سيدتى لقد أرسلنى الإله الواحد لأخبرك بأن تتركى القديس متياس بهذه البلدة وتذهبى أنت إلى أورشليم لأن رؤساء الكهنة الذين كانوا يريدون بك السوء قد

أهلكهم الله وفى المساء ذهبت السيدة مع متياس إلى بيت الوالى حيث اجتمع هناك أهالى المدينة فودعتهم العذراء بأقوال معزية وعلمتهم كيف يقدمون الصلوات للعزة الإلهية بقولها آمنوا بالسيد المسيح ايمانا صحيحا وهو يعينكم ويرحمكم ولا يدع الشرير يتسلط عليكم فصرخ الجمع كله قائلين نحن مؤمنون معترفون أن لا إله فى السماء وعلى الأرض غير يسوع المسيح ابن الله الحى المتجسد منك أيتها العذراء فليتبارك الثالوث الأقدس الذى صنع العجائب فى مدينتنا وشفانا من مرض الخطية وصيرنا وارثين ملكوت السموات، مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك. فباركتهم واختفت عنهم وحملتها سحابة وسارت بها إلى أن أوصلتها باب منزلها فوجدت جميع العذارى يبكين فغيرت شكلها ودخلت عليهن قائلة ما الذى أصابكن حتى تولولن هكذا فقلن لأن السيدة العذراء ذهبت من خمسة أيام ولم نعلم أين هى فأظهرت العذراء نفسها لهن وخاطبتهن بما حصل معها بمدينة برطس ففرحن ومجدن الله على عنايته ومحبته.

والآن يا أحبائى فلنهتم بتطهير ذواتنا ونصنع أعمالا مرضية ونشبع الجياع ونكسى العراة ونسقى العطاش ونأوى الغرباء ونزور المسجونين ونخدم المرضى كرامة للسيدة البتول، تلك التى قد فضلت على كل السمائيين والأرضيين ومجدها أرفع من الشاروبيم والكاروبيم. نعم لقد تباركت أكثر من نساء العالمين لأنها القبة الثانية قدس الأقداس وفيها ألواح العهد والعشر كلمات مكتوبة بيد الإله الواحد مثالا للخلاص الذى بيسوع المسيح المتجسد منها بغير تغيير الذى صار وسيطا للعهد الجديد بسفك دمه الطاهر على عود الصليب حيث قد غسلنا من أدران الخطايا وصيرنا شعبا مختارا، لهذا نرفع

مجدك فى كل حين ونطلب إليك أن تشفعى فينا أمام ابنك، من يقدر أن ينطق بكرامة القبة التى صنعها موسى على طور سيناء وفيها خدم هرون وبنوه وشبهتى بها أيتها الطاهرة لأن الله اختارك وسكن فى أحشائك فلهذا نرفعك باستحقاق أيتها المدينة المباركة التى للملك العظيم. من أن يقدر ينطق بكرامتك يا مريم العذراء التابوت الذهب الذى للإله الكلمة - طوباك أيتها السماء الجديدة التى على الأرض لأنك استحقيتى أن تدعى والدة الإله أم المسيح الرب معاينة الكلمة وخادمته ذات الشفاعة القوية. أنت هى العوسجة التى منها كلم الله موسى فى نار تضطرم ولم تحترق أغصانها ولم يتغير لون ورقها. أنت القبة الثانية التى حل فيها مجد الله لأن تلك الأولى التى صنعها موسى كانت معمولة من قرمز وحرير ارجوان وغزل كتان متقنة بصنعة حاذق وكان فيها آلات الخدمة ذهب وفضة مع المنارة وتابوت العهد من ذهب ابريز مصفى وعمدها من ذهب أيضا والقواعد من فضة مهيأة بهذا الرونق الجميل من الداخل أما خارجها فكان مستورا بخرق من شعر يكاد الناظر يحتقرها مع أن داخلها مزين بأحسن الزينات ومجد الرب فيها. وهكذا الطوباوية مرتمريم كان منظرها التواضع والعفة من الخارج أما باطنها فجليل المقدار جدا وهو ضياء نفسها الملتصق بالله المطلع عليها كما هو مكتوب فى سفر صموئيل. الناس ينظرون إلى الظاهر وأنا أنظر إلى الباطن يقول الرب. أنت يا مريم المنارة الذهب الابريز ومنك ظهر المصباح المنير للعالم الإله الحق من الإله الحق الذى تجسد منك بغير تغيير وظهر فأضاء علينا نحن الجلوس فى الظلمة وظلال الموت. سهل سبلنا إلى طريق السلام باشتراكنا فى السرائر المقدسة سر تناول جسده الطاهر ودمه الزكى. من يشبهك أيتها المجمرة الذهب النقى حاملة رب البرايا الله الكلمة الذى تجسد منك ورفع ذاته بخورا إلى الله

أبيه. حملت فى بطنك غير المنظور كلمة الله الذى قدم نفسه فدية عنا بصلبه على عود الصليب، السلام لك يا مريم الحمامة النقية. أنت زهرة الحياة وقضيب هرون الذى اورق بغير ماء. يا من ولدت المسيح إلهنا بغير دنس اطلبى عنا يا من ارتفعت أكثر من الأنبياء والصديقين ولك الدالة أكثر من الشاروبيم والساروفيم اشفعى فينا أمام مخلصنا كى يثبتنا على الإيمان الصحيح وينعم علينا بمغفرة خطايانا - الملائكة ورؤساء الملائكة لم ينالوا ما نلتيه أيتها المشتملة بمجد الرب الصاباؤوت. نورك أفضل بكثير من نور الشمس ومجدك أرفع من السماء، وكرامتك أفضل من الأرض وما عليها. لباسك الفرح والتهليل ومنطقتك الرحمة والقوة يا ابنة صهيون. أنت التابوت الغير دنس المصفح بالذهب من كل جانب والمذبح الشاروبيمى والقسط الذهب والمن من داخله مثالا لكلمة الله الذى أتى وتجسد منك. مريم ابنة يواقيم القبة الحقانية التى لرب الصاباؤوت. شبهوا التابوت بالعذراء والذهب الإبريز ببتوليتها. تشبهتى بالمذبح وكاروبيمى المجد يظللانك. تشبهتى بالقسط الذهبى والمخلص بمكيال المن. شبهوا العذراء بالمجمرة الذهب وعنبرها عمانوئيل إلهنا مخلص البرية.

وقد يقر بى الوقت عندما أعدد حسناتك وكراماتك أيتها البتول مرتمريم والدة الإله الكلمة الأزلى فطوبى ثم طوبى لمن يقرأ سيرتك المقدسة ويتبع الفادى فإن الإله لا يتخلى عنه بل يعضده فى الدنيا. ويسكنه المظال الأبدية فى الآخرة ويستحق أن يشترك فى التسبحة الثالوثية قائلا هكذا مع الملائكة الأطهار (قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس) فلنطهر ذواتنا ونسبح دائما تسابيح مرضية معترفين باسمه العظيم وتجسده

من العذراء الطاهرة لكى نجد دالة عنده بشفاعتها ونسأله أن يغفر خطايانا ويسامحنا عن آثامنا ويتجاوز عن هفواتنا وسيئاتنا . ويجعلنا ممن فازوا بصالح الأعمال. قبل فروغ الآجال. ويعضدنا بقوته الإلهية. ويبلغنا أمثال هذا اليوم المقدس سنين عديدة. وأعوام متصلة مديدة. وأن يغفر ذنوبنا . ويستر عيوبنا . وينجينا من الفخاخ الشيطانية ويجعلنا متشبهين بالطغمات النورانية الملائكية. ويقبل أصوامنا وصلواتنا، وقرابيننا . ومحراقاتنا . ويكفينا شر الضربات الشيطانية والمحن الزمنية. والأمراض البدنية. ويهب القوة للشيوخ. والصحة للكهول والعفة للشبان. والنشأة الصالحة للأطفال. ويحنن قلوب المتولين علينا ويلهمهم الرأفة بنا والإحسان إلينا ويبارك نيلنا ويخصب بالبركات زرعنا ويقهر الشيطان تحت أقدامنا ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهنا على ممر الدهور والأزمان. ويخذل ويرذل الأعداء المضادين ويرد كيدهم فى نحرهم. ويقيم منار الكنيسة الارثوذكسية ويشيد مبانيها على قواعد أساس الإيمان الثابت ويسمعنا وإياكم الصوت الفرح القائل «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم» ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، بشفاعة السيدة العذراء الطاهرة البتول مرتمريم والملائكة الأطهار القديسين وكافة الآباء والأنبياء المبشرين. والرسل المنذرين وكل الشهداء المكللين. وجميع الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة من الآن وإلى دهر الداهرين. آمين.

أيها الأولاد

أطيعوا والديكم فى الرب

أفسس : ٦ : ١

الميمر التاسع

تكريس كنيسة السيدة العذراء بمدينة فيلبايس[١]

﴿يقرأ فى اليوم الحادى والعشرين من شهر بؤونة﴾

الحمد لله الذى أنار قلوب التائبين بأنوار رحمته. وكشف عن بصائر المذنبين دياجي الآثام فتبينت آثار نعمته. ذلك الذى هدانا بالسيد المسيح من متايه الأضاليل إلى حظائر شرعه ودينه. وأطلع شموس العرفان على آفاق العقول من قواطع آياته وبراهينه. وثقف نوعنا البشرى بالأوامر والنواهى من زيغه واعوجاجه. وقاده بأزمة العناية إلى الحظائر القدسية بعد إبائه ولجاجه. وأرسل مخلص العالم ظاهرا بصورة الناسوت لإبراء جبلة آدم وعلاجه. نمجده تمجيدا يليق بلاهوته ونسبحه تسبيحا يليق بعظمته وجبرؤوته. ينبغى له السجود مع أبيه الصالح والروح القدس المحيى الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

أما بعد يا إخوتى المباركين. وأبنائى الأحياء الأرثوذكسيين. من الواجب علينا أن نمجد الرب فى كل حين. ونصرخ مع المرتل داود النبى ملك إسرائيل ونقول مان أعظم أعمالك يارب. كلها بحكمة صنعت. وأنا المسكين الحقير أريد أن أعلن فضائل سيدتنا العذراء والدة الإله مرتمريم بقولى مبارك هو الرب. الإله ضابط الكل خالق السموات والأرض أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح فأشرق نوره العجيب فى أحشاء البتول وتجسد منها وصار إنسانا كاملا بسر

[١] لواضعه القديس أنبا باسيليوس الكبير أسقف قيسارية قبادوقية.

الثالوث الأقدس الواحد فى اللاهوت مبدع الأشياء وراسمها الذى اعتمد فى نهر الأردن والآب من السماء يقول: أنت ابنى الوحيد الذى بك سررت. والروح القدس نازل شبه حمامة وديعة متواضعة كما يقول الله تعلموا ليس من ملاك ولا نبى ولا رسول بل منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لهذا نؤمن بالله الآب والابن والروح القدس وبمعمودية واحدة للميلاد الجديد وفى ذلك يقول الرب لتلاميذه «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن». وقال أيضا «الحق الحق أقول لكم إن من لم يولد من الماء والروح لا يعاين ملكوت الله».

تعالوا اليوم يا أحبائى واطلبوا من الحق سبحانه وتعالى أن يفتح لنا أبواب الرحمة ويتقبل منا صلواتنا ويجعل لنا حظا فى أورشليم السمائية مع ملائكته النورانيين ونصرخ بأصوات التهليل وبغير فتور قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس نطلب من صلاحك يا محب البشر أن تدبر مصالحنا وتحفظ أراخنتنا والشعب المسيحى الأرثوذكسى وأن تؤهلنا بأن نخدم هيكلك المقدس بقلوب خاشعة وأن تبارك أغنياءنا وتولد فى قلوبهم الرحمة باخوتنا المساكين وتقوى شيوخنا وكهولنا كى يستطيعوا الانتقال من موضع لآخر لسماع كلمتك المحيية. هب نعمة للصبيان وفهما للشبان ونسكا للرهبان وعفة للنساء ومحبة كاملة بعضنا لبعض كى نستحق أن نقف مع السمائيين ونشترك معهم فى التسبحة الثالوثية بقولنا عظيم هو الرب الإله ضابط الكل الذى أرسل ابنه الوحيد وأضاء فى أحشاء البتول النقية وولد منها فى بيت لحم اليهودية بسر لا تدركه العقول البشرية.

تشبه بصنعة يده فاتخذ صورة إنسان ووضع فى مذود البهائم ليعلمنا قدر اتضاعه وليكن لنا عزاء فى ضيقاتنا. سار على الأرض باتضاع عظيم وصنع العجائب بقوة لاهوته لنعتبر نحن المتغافلين ونترك الخطية. علق على خشبة الصليب ومات وكفن وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث لخلاصنا لكى يعلمنا أنه هكذا تكون قيامة كل جسد فى المسيح. صعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه ليرشدنا أنه هو الإله حقا وسيأتى ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد حسب أعماله.

لهذا نسبح ونبارك ونشكر ونمجد الإله الكلمة الذى تجسد من السيدة العذراء ونصرخ قائلين مع إشعياء النبى «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» حقا يا اخوتى إن شمس البر أشرق لنا بالميلاد من البتول. تلك التى قد اختارها بيتا مطهرا ليسكن فيه إذ بسببها قد خلص الخروف الضال واقتلع من فم الوحش الضارى الخبيث. أشرقت علينا بإيمانها الحقيقى بعد أن بشرها الملاك الجليل جبرائيل بميلاد الفادى الوحيد الذى فتح لنا ابواب الفردوس. فلهذا يجب علينا الآن أن نقدم لله المولود من تلك العذراء قرابيننا مرضية مقدسة باسمها الطاهر لأن الإله جل اسمه جمعنا إلى بيعته المقدسة نحن المسيحيين المؤمنين باسمه العظيم واختارنا شعبا للحياة الدائمة بواسطة تجسده من الطاهرة البتول. فبالحقيقة يا والدة الإله قد تفضلتى على النساء كلهن اللواتى أكملن أيامهن بالعفاف وصرتى سماء جسدانية وسكنتى فى بيت يوسف. أنت المركبة الشاروبيمية. أنت كرسى ملك الملوك ورب الأرباب. إن لسانى يعجز عن

ذكر قليل من كثير من كراماتك أيتها البتول. فطوبى لك وطوبى لمن يقرأ عباراتك الإلهية فإن العلى لا يتخلى عنه ويستجيب دعاءه إذا استغاث بك بقلب طاهر ونية سليمة.

اسألكم أيها الأخوة المباركين والآباء القديسين أن تنصتوا بقلوبكم قبل آذانكم لسماع ما سأقصه عليكم من هذا الشرح الذى قد انتهى إلى حقارتى أنا المسكين باسيليوس من سيرة السيدة العذراء. شفاعتها تكون مع جميعنا آمين.

هلموا أيها الشعب المحب للمسيح يسوع ربنا أبناء الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية المقدسة أن تعيدوا عيدا سمائيا فى هذا اليوم المبارك لأن السمائيين والأرضيين. الملائكة ورؤساء الملائكة. الشاروبيم والساروفيم والكراسى والقوات وجميع الآباء والأنبياء والقديسين الذين أكملوا سيرتهم الحسنة فى هذا العالم متعبدين فى البرارى والقفار يفرحون معنا فى عيد القديسة العذراء ويجددون تذكارها المقدس لأن الله أعطاها المجد والكرامة إلى جميع الاجيال. مجدا مقدسا طاهرا بلا عيب. ليس كمجد رؤساء هذا العالم الذين يفتخرون باعداد الولائم الأرضية ومعدات الملاهى وآلات الطرب، وبذلك تتحول أعمالهم إلى شر. ولنعلم أن اجتماعنا هذا لا يعد اجتماعا أرضيا بل سمائيا لأننا موجودون فى هيكل الرب ومسكن الملائكة وبيعته التى اشتراها بدمه الطاهر المسفوك على عود الصليب لأجل المؤمنين به.

أعلمكم أننى لما كنت قسا قبل أن استحق لموهبة أسقفية مدينة قيسارية القبادوقية اتفق لى فى بعض السنين زيارة الأماكن الطاهرة

بأورشليم فى صوم الأربعين المقدس لأصلى على المقبرة الطاهرة التى وضع فيها جسد ربنا يسوع المسيح ففى ذات يوم دخلت بيت مريم أم يوحنا الذى دعى مرقس وفيما أنا أفتش بخزانة الكتب المقدسة الكائنة فى ذلك المكان إذ وجدت جملة كتب منسوخة بخط آبائنا الرسل وبعض معلمى اليهود مثل غمالائيل ويوسف الناسخ ونيقوديموس اللاوى ولوقا الإنجيلى وضمنها رسالة كتبها لوقا الإنجيلى الطبيب إلى أهل أورشليم ويهوذا بعد أن تنيح يعقوب أخو الرب وأرسلها عن يد تيطس وبرنابا تلميذى القديس بولس الرسول.

وهاك ما ورد فيها:

أعلمكم أيها الشعب المسيحى ورسل الله الأطهار المقيمين بأورشليم ويهوذا وكل الجليل بأن رسالتنا هذه المرسلة على يد تيطس وبرنابا التسالونيقيين كتبت بما أنعم الله به علينا لأنه فى الوقت الذى صلب فيه لم يخف عنا قيامته المقدسة من بين الأموات بل أعلنها لجميع الناس تاركا أمه القديسة لتنوب عنه فى تعزيتنا بتعاليمها المحيية إلى أن افتقدها برحمته ونقلها من هذا العالم الزائل وقدمها قربانا طاهرا لأبيه وروحه القدوس وكقولها للملاك أثناء بشارتها بالحبل الإلهى من أن جميع الأمم تطوبها. شاء الرب الإله ضابط الكل أن يبنى بيعا كثيرة على اسمها فى أقطار المسكونة لتقديم القرابين على مذابحها المقدسة وإيفاء العشور والنذور. لهذا قد كتبنا إليكم لنعلمكم بما تكلم به الله معنا وسبب دخول الناس فى الإيمان بالسيد المسيح وهو أنه لما بشرنا أهل قورنثية بكلامه تعالى ورجعت أمم كثيرة إلى الإيمان المستقيم معترفة بالسيد المسيح ابن الله الحى حيث كنا نجتمع نحن التلاميذ والرسل ورؤساء الشعب فى بيت

ارسطرخس لتأدية فروض العبادة ولضيقه لم يتمكن جميع الناس من سماع القداس الإلهى والاشتراك فى تناول السرائر المقدسة فعظم الأمر على بولس وبرنابا وكتبا إلى الجماعة الذين بانطاكية ليعلموهم أن الأمم التى آمنت قد تزايدت كثيرا ولم يوجد مكان يسعهم للاشتراك فى الصلاة ولما وصلت الرسالة إلى بطرس ويوحنا وبقية الرسل لم يتفق رأيهم على عمل شيء بل فوضوا الأمر للسيد المسيح معلمهم لأنه هو الذى أرسلهم إلى كل الأمم ليبشروهم فإن شاء أن تبنى بيع باسمه وإن لم يشأ فلتكن إرادته. ثم وقفوا للصلاة بعد أن صاموا متيقنين أن الله لا يغفل عنهم بل يسمع نداءهم ويرشدهم إلى ما يلزم عمله وفى الحال أرسلوا كتابا إلى بولس وبرنابا ورؤساء الشعب فى اليوم الثانى عشر من شهر بؤونه وقر رأيهم على أن يصوموا بطهر مدة سبعة أيام هم وجميع المؤمنين، وفى نهايتها ظهرت سحابة من السماء تحمل جميع الرسل الأطهار ولم تزل سائرة إلى أن أنزلتهم بمنزل ارسطرخس وهناك تقابلوا مع جميع إخوتهم. وبعد تأدية واجب التحية قبل بعضهم البعض قبلة أخوية وابتداوا يتكلمون عن قدرة العلى جل اسمه وكيف انتشر الإيمان فى المسكونة كلها وعن سبب اجتماعهم هذا. وفيما هم يتحدثون معا ظهر السيد المسيح على مركبته الشاروبيمية وعن يمينه السيدة العذراء وجماعة المختارين الملائكة يسبحون قائلين المجد لله فى العلا وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة. فاندهشنا لدى رؤية المخلص وسجدنا لعزته الإلهية مقدمين ما يليق بربوبيته من التسبيح والإكرام والتفتنا إلى السيدة العذراء وجميع الملائكة وقدمنا لهم الخضوع والإجلال الزائدين لدى تنازلهم من العرش الملوكى لتقديم المساعدة اللازمة لنا نحن الخطاة.

ثم طلبنا إلى الأخ بطرس أن يسأل الرب المعونة لاتمام ما نحن مجتمعون لأجله فامتنع بقوله كيف أنكره ثلاث مرات وقت الصلب ويتسنى لى الآن أن أخاطبه وأنا المذنب الأثيم فأقروا جميعا على تكليف الرسول يوحنا حبيب الرب بأن يطلب عنهم ففعل بعد أن تقدم بكل دعة وتواضع إلى الحق سبحانه وتعالى راجيا وملتمسا المساعدة فأجابه حسنا طلبت يا يوحنا وها أنا معكم ومرشدكم حتى تمام ما أنتم إليه ساعون من نحو بقاء الكنائس والبيع الكثيرة فى كل مكان للمؤمنين كى يقدموا على مذابحها قرابين مرضية ويعبدوننى ويكرمون اسم والدتى الطاهرة مرتمريم. فهلموا بنا لأريكم موضعا تبنون فيه كنيسة على اسم والدتى الطاهرة وأشيد أساسها بيدى. حينئذ ساروا يتقدمهم الرب الإله إلى أن وصلوا مدينة فيلبايس المجاورة لقورنثية وفى الجهة الشرقية منها أراهم مكانا فسيحا وقال لهم هنا يبنى بيت الرب وأمر بطرس أن يحمل قطعة حجر وطافوا بها حول البيعة وقال ليكن هذا أساسا لها بعد أن طافوا حدودها الأربعة.

ثم ابتدأوا فى العمل بمعونة الله ولما بلغ أهالى المدينة ما أمر به الرب شمروا عن ساعد الجد وساعدوا التلاميذ فى إتمام الأمر وأحضرت الأعمدة اللازمة وكل مهمات البناء وفى وقت قريب تم بناؤها على أحسن حال وأتم منوال حيث أقيمت على خمسة عشر عمود من المرمر الجوهرى بعضها وضع فى موضع الاراديون والباقى فى جوانبها وأوجد السيد له المجد آلات البيعة من لفائف وكؤوس وصوانى وما يليق بهيكله المقدس وخدمة القداس الإلهى حيث تم ذلك فى اليوم العشرين من شهر بؤونة ثم أمر الرب بأن يعلم الشعب هناك أن تكريس البيعة سيكون فى الغد الذى هو الحادى

والعشرين من شهر بؤونه ولا يعملون عملا ما فى ذلك اليوم العظيم بل يجتمعون ويعيدون عيدا روحانيا على اسم السيدة العذراء فللوقت قام بولس الرسول وأشهر الأمر فى مدينتى كورنثية وفيلبايس وعاد فاجتمع مع الرسل لتأدية فروض الصلاة طول الليل فى البيعة الجديدة حتى مطلع النهار حيث جاء المؤمنون فملأوا المكان على سعته وقام الرسل يعلمون الشعب سر تجسد ابن الله وصلبه فداء للعالمين وقيامته من بين الأموات ويعلنون لهم وصايا الإنجيل ومن يحفظها منهم يرث الحياة الأبدية. وبينما هم كذلك إذ أشرق نور سمائى يصحبه السيد المسيح ووالدته العذراء والملائكة ووقفوا فى وسطهم فقام التلاميذ مسرعين وسجدوا للمخلص فباركهم وبارك الموجودين وقال هيئوا معدات التكريس فإن يومنا هذا عظيم سر فيه أبى الصالح والروح القدس بأن تبنى هياكل له على الأرض للتعبد فيها فاحضروا ماء التكريس محمولا مع بطرس ويوحنا فباركه المخلص ورشه على أسوار البيعة وكل آلاتها وكرسها باسم الثالوث الأقدس والعذراء مريم وبعد أن أقاموا قداسا إلهيا وتناول المؤمنون السرائر المقدسة صعد السيد إلى سمائه ورجع التلاميذ إلى منازلهم بسلام ممجدين الله فرحين لخلاصهم من العبودية المرة.

هذا ما وجدته أنا الحقير باسيليوس فى مدينة أورشليم بخزانة الكتب الموجودة بمنزل مريم أم يوحنا الذى دعى مرقس فيجب علينا أن نعيد عيدا روحانيا للسيدة العذراء التى ولدت لنا الله الكلمة، ولا نتقدم بقلوب مغشوشة نجسة بل بكل طهر وعفة لننال حياة أبدية ولا يفوتكم يا أحبائى الأعزاء الشفقة والحنان لأن الويل والشقاوة والتعاسة لكل غنى قليل الرحمة، نعم لأن الله يعطيك أيها الغنى ذهبا وفضة وملابس وبيوتا وحقولا وكروما وعبيدا لتساعد اخوانك

المساكين والأرامل والمحتاجين فنقتسم معهم مما رزقك الله فلا تطردهم ولا تنتهرهم ولا تكن مرابيا واعلم أنك وإن كنت غنيا اليوم فلا يبعد أن تفتقر الغد فتذكر الموت فى كل حين وكن رحوما وتشبه بأصفياء الله الصالحين وانظر إلى إبراهيم أب الآباء الذى كان محبا للغرباء كيف استحق زيارة الرب وملائكته وأكلوا عنده خبزا ولم يتخل عنه وبارك نسله وجعله كنجوم السماء وكرمل البحر. تذكر قصة أيوب البار الذى وصل إلى درجة من الذل والهوان لم يصلها خلافه إذ أن الله ضربه بجملة ضربات ليجربه ولما قبلها بشكر ولم يتذمر رد له خيراته وسبعة أضعافها فكونوا يا إخوتى رحماء كما أن الله رحوم وتصدقوا على البائسين بقدر استطاعتكم باسم ربنا يسوع المسيح ووالدته العذراء لكى تجدوا من يرحمكم فى يوم الدينونة، الويل لكل إنسان قاسى القلب فإنه لا يجد من يرحمه فى اليوم المرهوب، وإنى أقص عليكم حكايتى أنا الحقير باسيليوس وهو أننى لما أردت أن أبنى كنيسة على اسم السيدة العذراء وطلبت من أحد الأغنياء أن يساعدنى بماله وفكره كان جوابه يشف عن قلب حجرى لم يعرف الرحمة ولا الواجب إذ أنه قال ما هى الكنيسة وما هو باسيليوس وما هى العذراء التى يريد أن يبنى لها كنيسة مع أن أولادى أحق بما أصرفه فى شىء لا يفيد وعقب ذلك أصابه مرض لم يمهله كثيرا وقضى نحبه بسبب ضعف إيمانه وانتزاع الرحمة من قلبه. أما أولاده فلما رأوا ما حل بهم أتوا إلىّ مسرعين ومعهم مقدار وافر من الذهب قدموه وهم يبكون قائلين أغفر لنا أيها الأسقف القديس لأن والدنا قد مات موت الخطية حقا لأنه جدف على الروح القدس وعلى السيدة العذراء فاستغربت ذلك كثيرا ومجدت ربنا يسوع المسيح الذى له القدرة على كل شىء وعجبت من كلام الأطفال

أولاد الغنى وإقرارهم بموت أبيهم فى الخطية. فانظروا يا محبى التعليم كيف أن الروح القدس نطق على ألسنة هؤلاء الصغار. يقول الإنجيل الطاهر تيقظوا لئلا يأتيكم السارق فيجب أن نكون مستيقظين وعاملين بوصايا الله سبحانه وتعالى لكى لا يأتى اللص الذى هو الموت فيجدنا غير مستعدين مثل الذى تعدى على اسم القديسة الطاهرة مرتمريم فأتاه اللص وهو غافل ونزع روحه فمات وبئس المصير وسيلقى جزاءه فى الآخرة فى اليوم الذى لا يجد فيه من يتشفع له. فاحذروا إذن يا إخوتى لئلا يتسلط عليكم ابليس اللعين ويعمى قلوبكم عن الصوم والصلاة والرحمة باخوتنا المساكين.

ولنرجع إلى مشروع بناء الكنيسة فنقول أنه بعد أن توفرت معدات البناء ابتدأت بعمل ستارة للهيكل وأحضرت أحد النقاشين وكلفته بعمل صورة السيدة العذراء وفى الغروب وقفت أصلى حسب عادتى وبعد نهاية الصلاة قمت واضطجعت وفيما أنا نائم رأيت ثلاث عذارى بلباس أبيض يفوق نورهن الشمس أضعافا. كلمتنى احداهن قائلة ألم تعرفنى يا باسيليوس فأجبتها لا. قالت أنا مريم العذراء أم يسوع المسيح المزمع بناء كنيسة على اسمى بواسطتك وهاتان العذراوان اللتان معى هما أجيه وصوفية اللتان تشبهتا بطهارتى وسلكتا فى طريق مستقيم منذ طفولتهما والان اطلب إليك ألا ترسم صورتى على اللوح الموجود بطرفك لأنه مكتسب بأيدى الظلم ومثله لا يستحق كرامتى ولا يسر ابنى الحبيب وفى ذلك يقول داود النبى أن دهن الخطاة لا يدهن به رأسى، لكنك إذا قمت فى الغداة امض إلى الجهة الشرقية من المدينة إلى مكان المعصرة العتيقة واحفر فى الأرض مقدار ذراعين وهناك تجد صورتى على لوح أحمر وعن يمينى ويسارى هاتان العذراوان الطاهرتان حتى إذا تم ذلك وشيدت البيعة

تضع اللوحة فوق الاراديون وسترى ما يظهر من العجائب والآيات بسببه فقلت لها يا سيدتى وأم إلهى أنت تعرفين أننا نحتاج إلى أعمدة لاقامتها عن يمين ويسار الهيكل فأجابتنى امض أولا وأحضر اللوح الأحمر وبعدها أخبرك بما يلزم عمله.

قالت هذا الكلام وباركت عليّ ومضت فقمت من نومى وأرسلت إلى النقاش لاحضار اللوح الذى كان تسلم إليه ثم استدعيت إيرا وغلانيكوس الكاهنين العظيمين وجماعة من الشمامسة الدمشقيين ومضينا إلى ذلك المكان الذى عرفتنى عنه سيدتى العذراء وابتدأنا بالحفر مقدار ذراعين فوجدنا اللوح الأحمر وعليه غشاء من الديباج فتعجبنا جدا وقلنا فى أنفسنا إن هذا هو يوم الفرح ويوم السلامة الذى ظهرت فيه آية الخلاص من قبل الإله ووالدته العذراء وللوقت حملناه وانثنينا راجعين بفرح عظيم وابتدأنا فى بناء الكنيسة بمعونة الله ومساعدة السيدة الطاهرة التى كانت ترشدنا لكل ما نحتاجه - وفى زمن يسير تم بناؤها على احسن وجه وتهافت عليها المؤمنون للعبادة بعد أن وضعنا اللوح المرسوم عليه صورة السيدة أمام الهيكل فبهت الجميع لحسن الصورة ودقة صنعها ولم يعلموا أن عليه رسم السيدة العذراء وفيما نحن نصلى ذات يوم إذ سقط من الصورة دهن كثير ملأ المكان فأسرع جماعة المصلين وأخذوا من ذلك الدهن على سبيل البركة وقامت امرأة نجسة خاطية ودهنت نفسها منه فأصابها البرص للوقت فاندهش جميع الحاضرين وقدموها لى فأخذتها على خلوة وطلبت منها أن تعترف بما أتته من الخطايا حتى أصابها ذلك المرض العضال والتجربة المرة فقالت: اغفر لى يا أبى القديس فإنى امرأة خاطية أمام الله ولديك أيها الطوباوى فقلت لها يا ابنتى اعترفى بخطيتك لعل الإله يغفر خطاياك بشفاعة والدته العذراء

فإنه رحوم ورؤوف بعبيده الخطاة فقامت وتكلمت هكذا قائلة الويل لى فإن خطيتى عظيمة جدا نعم لأنى فعلت الشر مع أختى التى كانت متزوجة برجل أهواه من قلبى إذ وقتها لم أكن متزوجة فأضمرت لها السوء وسولت لى نفسى أن أسقيها كأس سم وساعدنى على عملى هذا ابليس اللعين فقمت للوقت وأعطيتها الكأس فتناولته ولم تعلم سوء نيتى فأقامت ضعيفة مدة من الزمن ثم فارقت الحياة. ومما يسوءنى ذكره أننى تجاسرت وتزوجت برجلها وملكت كل مالها ولى معه الآن أربعة عشرة سنة وقد رزقت منه بثلاثة بنين وثلاث بنات. فتكدرت جدا لدى سماعى هذا الكلام وخاطبتها بقولى أيتها البائسة أتيت ثلاث خطايا فاستحقيت الجزاء مع قايين القاتل وهيرودس الضال ويهوذا الاسخريوطى. والآن داومى على الصوم والصلاة والدعاء إلى السيد يسوع المسيح ووالدته العذراء لعله يدركك برحمة من عنده بشفاعتها المقبولة وتتطهرى مما أصابك من البرص.

يا إخوتى إن كل نجس وخاطىء لا يستقيم أمام الله كما قال بولس الرسول أن الزناة والفسقة يدينهم الله. فاعملوا يا أحبائى على إقامة أجسادكم هياكل مقدسة لله وذبيحة طاهرة مقبولة عنده. الويل لكل خاطىء لا يجد جوابا إذا سأل الحق. فلتكن رحمتك إلى الأبد لا كخطايانا - اصنع معنا حسب صلاحك يا محب البشر. لا تأخذنا بآثامنا أيها الرب الإله ضابط الكل. ارحمنا كعظيم رحمتك ومثل كثرة رأفتك. لمن الويل لمن التعاسة لمن الشقاء. لذلك الإنسان الذى يشتهى زوجة صاحبه فإن خطيته عظيمة. ومصيبته أعظم عندما يعطى حسابا عما جنت يداه. احفظوا أجسادكم بكل طهر خصوصا أيام الآحاد وليالى الأربعاء والجمعة والأعياد الإلهية والأصوام المقدسة لتكونوا هيكلا طاهرا لروح قدسه المحيى.

وفاتنى أن أخبركم بأمر الأعمدة التى طلبتها من السيدة العذراء حينما ظهرت لى الدفعة الماضية وبينما أفكر فى ذلك إذ ظهرت لى مرة أخرى وقالت ما بالك أغفلت طلب الأعمدة فأجبتها أنت تعلمين أننى فتشت كثيرا ولم أجد فقالت امض إلى الجهة الغربية من المدينة تجد بربا[١] داخلها عامودان من زمن الفراعنة. فلما استيقظت وفكرت فى الأمر قلت من يستطيع حمل هذين العامودين فسمعت صوتا من السماء يقول يا باسيليوس لماذا أنت متحير فى استحضارهما ألا تعلم أن الله الذى رفع حبقوق النبى من شعر رأسه من أورشليم إلى أرض بابل له القدرة أن ينقل أعظم من ذلك فاثبت وتقو فى استحضارهما فقمت مع بعض القسوس والشمامسة وتوجهنا إلى تلك البربا وبعد مشاق ومحاربات من الشيطان اللعين قدمنا صلوات ورفعنا بخورا طاهرا لله وطلبنا معونة السيدة العذراء ولم ندر إلا والأعمدة انتقلت بقدرة الله إلى محلها بالبيعة التى بنيت فى مدينة فيلبايس على اسم سيدتنا العذراء وفيما أنا مضطجع إذ ظهرت لى العذراء بلباس نورانى قائلة أرأيت كيف نقلت الأعمدة بقوة ابنى الحبيب لكى يتحقق قول داود النبى فى المزمور إن مؤامرة المعاندين تبطل. والآن أعلن كل المؤمنين بأن تكريس تلك البيعة سيكون فى اليوم الحادى والعشرين من شهر بؤونه إذ فيه شيدت بيعة بأيدى الرسل الأطهار وكرست بواسطة ابنى الحبيب واعلم أننى سأجعل عين ماء بين العمودين تكون شفاء لكل من يغتسل فيها عدا السحرة والمرأة البرصاء فإنهم إذا حضروا للتبرك من عين الماء طلبا للشفاء فإن الأرض تفتح فاها وتبتعلهم. ولما استيقظت أعلنت كما أمرتنى وتمت تكريس البيعة باسم الثالوث الأقدس الآب والابن

---

[١] بربا (وجمعها : برابى) ، معبد وثنى تُعبَد فيه الأوثان (مكتبة المحبة) .

والروح القدس وسميتها باسم السيدة العذراء والدة المخلص. وكان يوما عظيما لم نر مثله قط وظهرت الآيات والعجائب فيه إذ شفى المرضى بواسطة مياه العين ولما حضر السحرة والمرأة البرصاء للتبرك من عين الماء أسوة بباقى المؤمنين فتحت الأرض فاها وابتعلتهم فاندهش الجمع اندهاشا عظيما وهالهم الأمر فسكنت روعهم وأخبرتهم بما سبق وقالته السيدة العذراء فمجدوا الله وزاد إيمانهم.

فطوبى لمن يتصدق على المساكين من ماله فى مثل هذا اليوم العظيم على اسم السيدة العذراء أو يقدم قربانا فى بيعتها أو يرحم بائسا أو يطعم جائعا أو يسقى عطشانا أو يفتقد محبوسا أو يفعل شيئا من الأعمال الصالحة فإنه يأخذ الأجر السماوى مع آبائنا القديسين. فيجب علينا أن نبسط أيدى الشكر طالبين الرحمة من الله تعالى بواسطة والدته العذراء مريم ونقدم لها يسيرا من المديح اللائق بكرامتها ونقول هكذا: مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك أيتها العذراء لأنه أشرق لنا منك شمس البر والشفاء تحت منكبيه لأنه هو الخالق أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له نسبحه ونمجده ونزيد علوه. مباركة أنت أيتها العذراء أفضل من السماء والأرض من يقدر أن ينطق بكرامتك وليس من يشبهك يا مريم. الملائكة تكرمك والسارافيم تمجدك لأن الجالس على الشاروبيم أتى وتجسد منك حتى أوصلنا إليه من أجل صلاحه. مباركة أنت ومباركة ثمرة بطنك يا والدة الإله فخر بتوليتك هو كائن قبل الدهور. عتيق الأيام أتى وتجسد منك هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس وجعلنا واحدا معه بصلاحه. نسوة كثيرات نلن كرامات ولم يبلغن كرامتك أيتها

العذراء لأنك أعلى وأفضل منهن يا فخر المؤمنين يا والدة الإله المدينة النفسانية التى حل فيها الحمل الحقيقى. الجالس على الشاروبيم الممجد من الساروفيم حملتيه على يديك الطاهرتين. المعطى غذاء لكل ذى جسد تنازل ورضع اللبن من ثدييك. فلنسبحك ونمجدك ونزيدك رفعة أيها العلى على تحننك ومحبتك لجنس البشر ونطلب منك أن تباركنا وتغفر آثامنا وتسامحنا بهفواتنا وتجعلنا ممن فازوا بصالح الأعمال قبل فروغ الآجال وتهبنا بركات سمائية وتعضدنا بقوتك الإلهية وتجعلنا مشاركين للطغمات الملائكية وتقبل أصوامنا وصلواتنا وقرابيننا ومحرقاتنا وتمنح الصحة لكهولنا والعفة لشبابنا والنمو الصالح لأطفالنا والقوة لشيوخنا وتبارك فى نيلنا وتحنن علينا قلوب المتولين علينا وتقهر قوة الأعداء والمعاندين لنا وتجعل باب بيعتك مفتوحا فى وجوهنا على ممر الدهور والأزمان وتثبتنا فى الإيمان المستقيم إلى النفس الأخير بشفاعة سيدتنا كلنا وفخر جنسنا والدة الإله العذراء القديسة الطاهرة مرتمريم البتول والملائكة المقربين والأنبياء الصادقين والرسل المنتخبين المكللين والقديسين المجاهدين، وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة من بنى البشر الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

طوبى لكل من يتقى الرب
ويسلك فى طرقه

مزمور ١٢٨ : ١

الميمر العاشر

نياحة السيدة العذراء[١]

﴿يقرأ فى اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبه﴾

المجد لله الذى متعنا نحن المؤمنين بأعياده. وأهلنا أن نكون خداما لأسراره بتدبير تأنسه واتحاده. له الشكر فإنه الواحد الأبدى الأزلى السرمدى. الذى لا واحد فى معناه غيره. ولا مثيل له فى ذاته. ولا يشاركه أحد فى صفاته. المتوحد بالدوام المنفرد بالتمام. خالق الخلق ومدبره. وواهب الرزق ومقدره المحيط بكل شيء علما. ولا تحوط به نهايات العلم. ولا يشبهه شيء وله كل شيء. الأول بلا ابتداء محدود. والآخر بغير أمد معدود. القديم بلا نهاية. الدائم بغير غاية. لم يتقدمه دهر ولا زمان. ولم يسبقه عصر ولا أوان. مدبر الامور بكلمته. ومتممها بحكمته ومرتبها بجبروته وقدرته. نحمده دائما على آلائه. ونمجده على جزيل نعمائه. إذ خلقنا على الصورة الأزلية. المسجود لها من كل البرية. وشرفنا على جميع المخلوقات الأرضية. بما وهبه لنا من النفس العاقلة الناطقة. وأنقذنا من مرارة الطغيان. وأطلعنا على سرائر الإيمان. بتوحيد جوهره وذاته، وبتثليث أقانيمه وصفاته. وخلصنا من ظلمة الجهالات. وعتق نفوسنا من رق الضلالات. ورفعنا بالولادة الثانية من درجة العبيد الذين طغوا وخرجوا عن طاعته. إلى رتبة العاملين مشيئته وإرادته بفضله وجوده ونعمته ورحمته. ليحق له علينا من طريق الحق المحقق

---

[١] لواضعه الأب القديس أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية.

ووجهة الصدق المصدق. محض العبادة الخالصة من شوؤب الشك والرذل. والإخلاص فى خدمته بالبر والعدل. وتأدية الفرائض المعروفة والقيام بحقوق السنن المألوفة. ولهذا قد لزمنا بالتمييز الصحيح والتحقيق الصريح أن نأخذ نفوسنا بالعبادة السديدة النظام والمهابة القوية المرام. فإن أولى ما فاز به الإنسان. اختصاص نفسه بالإحسان. فى عبادة ربه وباريه. وموجده ومنشئه بقصد كامل وعزم شامل ورغبة مرتفعة شريفة. وهمة عالية منيفة لا يوقفه طول المدة المديدة ولا يعطفه هول الشدة الشديدة. ولا ينقاد إلى الظلم الفادح ولا يغلب عليه حب الشره الفاضح. ولا يفرح باحتشاد ما لم يجمع. ولا يجنح به إلى حصاد مالم يزرع. ولا يلتهب بالغضب سريعا. ولا ينتقم انتقاما شنيعا. بل تكون سيرته سائرة فى طرق الفضائل، محيدة عن محجة النقص والرذائل. يرفض اللذات الوقتية وينثنى عن اتباع الشهوات الردية. لأنها سريعة الزوال وسيئة المآل. يشقى من ينقاد إلى ضلالها ويتكدر صفو شاربها. ولا يخلو طعمها من مرارة العنف والتحذير فلا يميل بقلبه إليها ولا يقبل بوجهه عليها فليت شعرى ماذا يكون جوابى إذا سئلت لأنه قد تم علىّ قول الكتاب يربطون أحمالا ثقيلة ويحملونها على أعناق الناس وهم لا يريدون أن يحركوها باحدى أصابعهم، فهلموا يا بنى الإيمان وشمروا عن ساعد الجد مجدين فى اتباع وصايا الله وحفظ نواميسه الطاهرة حتى بذلك نكون كاملين كما قال السيد المسيح له المجد، ولنسمع صوته الفرح القائل تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم. وقولوا معى هكذا مبارك الرب الإله ضابط الكل المتحنن الذى أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا متجسدا من السيدة العذراء محبة منه لخلاص الجنس

البشرى، هذا الذى قد أشرق نوره فى أحشاء العذراء وظهر منها إنسانا كاملا وأفاض علينا نعمة الروح القدس برحمته التى لا تدرك ورأفته التى لا تستدرك فلنطلب إليه أن يفتح أبواب رحمته ويقبل صلواتنا وطلباتنا رائحة مقبولة أمام كرسى عظمته وأن يجعل لنا حظا مع ملائكته النورانيين الواقفين أمامه ويسبحون بلا فتور قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس وأن يقوم تدبير الملوك الارثوذكسيين ورعاة البيعة الأطهار ويرشد الشمامسة المختارين لخدمة هيكله المقدس وأن يبارك الأغنياء ويملأ قلوبهم من الرحمة والحنان ليفرحوا بنعمته عليهم ويعزى المساكين برحمته ليشكروه فى كل حين ويقوى الشيوخ ليتمكنوا من الانتقال لسماع كلمته المحيية حتى يرثوا ملكوت السموات ويهب الشباب العفة الروحانية ويحفظ النساء عفيفات كى يتشبهن بسيدة نساء العالمين المختارة منهن ويسرن بمخافة الله لينلن الحيوة الأبدية معها فى فردوس النعيم وأن يعطى نسكا للرهبان الذين حملوا صليبهم واتبعوا الرب يسوع بكل قلوبهم. ولنسبح هكذا قائلين مبارك الله الآب الذى أرسل ابنه النور وأضاء فى أحشاء السيدة العذراء وتجسد منها وولد فى بيت لحم اليهودية وأخذ شكل العبد ووضع فى مذود البهائم ليعلمنا مقدار تواضعه وصنع كما يليق بلاهوته لينظره الغافلون ويتركوا الشر وارتكاب الخطية. وجعلنا نبصره بضعف البشرية وأخضع الشيطان تحت أقدامنا. ورفع على خشبة الصليب وخلصنا كرحمته. ومات وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ليحقق لنا قيامة كل ذى جسد وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب فى الاعالى وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات. فنشكره ونمجده ونسبحه ذلك الذى تنازل وتجسد

من السيدة العذراء المجتمعين الآن فى بيعتها المقدسة ونصرخ مع إشعياء النبى ونقول «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» فبالحقيقة صارت السيدة العذراء مختارة ومكرمة من بطن أمها لأنها ولدت بطهر ونقاوة فائقين وصارت سببا فى خلاص الجنس البشرى من أسر ابليس اللعين ووجدت دالة عند ابنها الحبيب. حقا فضلت أيتها العذراء على نساء العالم العفيفات لأن النور الذى تسربلت به يفوق كل الأنوار وتشبهت بسماء السموات منذ كنت فى بيت يوسف النجار وبتوجهك إلى الجليل صرت مركبة شاروبيمية. وبتوجهك إلى اليصابات صرت كرسيا ملوكيا. ولما توجهت إلى بيت اليصابات وباركتيه بفمك الطاهر. مثل الساروفيم تعالى مجدك من أجل طهرك وعفتك واشتملت بنور إلهى ونعمة لاهوتية حقا قال عنك الإنجيل الطاهر أيتها العذراء إن «يوسف لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» ودعى اسمه يسوع. ولم يعرف يوسف مقدار مجدك وكرامتك والنعمة التى تحليت بها إلا بعد ميلاد السيد له المجد ورأى الملائكة صاعدة ونازلة تسبح المولود منك قائلة المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة وقد دعاك الرب بوالدته الحبيبة. ولما تمت أيامك اضطجعت مثل سائر الناس وأخذت إلى العلا فى الأماكن النورانية.

والآن يا اخوتى الأحباء اريد أن اخبركم بما انتهى إلى حقارتى أنا كيرلس الحقير فى البطاركة من أجل نياحة السيدة العذراء فى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر طوبة.

كان فى ذلك الزمان فى الوقت الذى تنيحت فيه السيدة العذراء قسيسان يدعيان يوحنا وداود وكانا يرأسان أحد الاديرة

بجبل طور سيناء حيث يوجدز هناك من الإخوة الرهبان ما ينوف عن الثلثمائة والعشرين راهبا وبينما كنت جسالسا أنا الحقير كيرلس ذات يوم ورد لى كتاب منهما يطلبان فيه أن اقص عليهما خبر انتقال السيدة الطاهرة. ولما كنت لم أعرفه حق المعرفة رأيت أن اركن إلى خزانة الكتب الموجودة فى بيت لحم بمنزل أم يوحنا الذى دعى مرقس لأنها تحوى أخبار القديسين وفعلا ذهبت وفتشت هناك فعثرت على كتاب بخط يعقوب الرسول الذى صار أول اساقفة أورشليم. يذكر فيه نياحة الطاهرة مرتمريم فى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر طوبة ويقول إنه يعرف أن كتاب انتقال العذراء وما أتته من العجائب قد سطره حبيب الرب يوحنا الرسول بوضوح ووضعه فى الكنيسة بأفسس ثم ذيل مكتوبه هذا بالعبارة الآتية:

يقول القديس يوحنا الإنجيلى سلام الرب عليه. فلنشكر صانع الخيرات الذى أرسل ابنه الوحيد وحبيبه المساوى له فى الجوهر لخلاص العالم بواسطة تأنسه من السيدة العذراء بسر عجيب لم تدركه الأفهام حيث اتخذ صورة إنسان تام مع أنه الإله الواحد. خاطب خليقته وجبلة يديه ليعلمهم كيف يعبدونه وكيف يسيرون لنوال الحظ الاوفر في اورشليم السمائية سبحانه من قدير يقول للشيء كن فيكون. يحكم الخليقة بالعدل ويرحمهم بحسب أعمالهم ويفيض عليهم ويعطيهم ما يطلبونه باستحقاق فاسألوه معى أن يفتح لنا أبواب رحمته ويتقبل صلواتنا رائحة بخور زكى أمام كرسى عظمته المنير.

هذا ما حواه كتاب القديس يعقوب، ولما كانت الحالة تستدعى الذهاب إلى كنيسة أفسس فقد حررت ردا على خطاب الرئيسين

بجبل طور سيناء أخبرهما بالأمر طالبا منهما الذهاب إلى أفسس ومتى عثرا على ذلك الكتاب يرسلان صورة منه إلىّ كى أعلنه على شعب المسيحيين وقد بعثا وفدا من قبلهما إلى أفسس للتفتيش ولما وصلوا المدينة دخلوا البيعة المقدسة وابتدأوا يصلون هكذا: أيها الرب الإله يسوع المسيح أنت الذى اخترت يوحنا رسولك الطاهر وأحببته كثيرا ولقبته بابن الرعد فبارادتك يا الله أرشدنا إلى الكتاب الذى فيه التسابيح والعجائب التى أظهرتها على يدى والدتك الطاهرة فى حياتها وبعد انتقالها إلى النعيم الدائم فى ملكوت السموات حسب إرادتك الصالحة لأن لك لمجد إلى الأبد آمين.

وبينما هم وقوف أمام المذبح يتضرعون إذ ظهر بغتة القديس يوحنا الإنجيلى البتول متسربلا بحلة سمائية ومجد عظيم لا يدرك وقال لهم السلام لكم أيها الاخوة الأحباء أنا هو تلميذ الرب الذى أحبه كثيرا وقال له وهو على عود الصليب (أيها الإنسان هذه هى أمك منذ اليوم مشيرا إلى والدته الطاهرة مرتمريم التى أخبرت من قبله بذات الكلام حيث قال لها يا امرأة هذا هو ابنك منذ اليوم مشيرا إلىّ) فللوقت أدخلتها بيتى ولبثت هناك حتى يوم نياحتها بسلام والكتاب الواضح به ذلك تجدونه فى البيعة داخل خزانة الكتب خذوه وامضوا به من حيث أتيتم. قال ذلك واحتجب عن أعينهم فدخلوا ووجدوا بركة ماء والناس يتبركون منها والله يشفيهم من أمراضهم باسم الأب القديس يوحنا فتبركوا هم أيضا من موضع الله الطاهر وأخذوا الكتاب وانثنوا راجعين بفرح عظيم واستمروا سائرين إلى أن وصلوا جبل طور سيناء وهناك قدموه إلى رئيسى الدير اللذين فرحا به فرحا عظيما وشكرا الله على حسن صنيعه واعتنائه وبيده المساكين.

ثم قرآه وبعد أن وقفا على ما به ارسلا صورة منه إلى حقارتي أنا المسكين كيرلس وإذا فيه ما يأتي:

باسم الثالوث الأقدس الإله الواحد يسوع المسيح المولود من الآب قبل كل الدهور الذي تجسد من السيدة العذراء الطاهرة لخلاص البشر بمشيئته عتقنا من نير العبودية المرة. نير الشيطان وجنوده الأردياء. أنار بصائرنا بنور لاهوته وترأف علينا واعدا أيانا بنوال الحياة الدائمة في النعيم الذي لا يزول إن نحن سلكنا بحسب وصاياه. فيجب علينا معشر الأرثوذكسيين أن نعبده ونغبط والدته ونعظمها في حياتها وبعد نياحها وانتقالها من هذا العالم الزائل إلى النعيم السرمدي الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر. ونرجو بذلك شفاعة منها لنصل إلى درجة عظمى. لها الطوبى الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

ذات يوم خرجت السيدة العذراء لزيارة قبر ابنها الوحيد حسب عادتها بينما كان اليهود قد وضعوا حجرا عظيما على باب القبر وأمروا الحراس المنوطين بحراسته ألا يدعوا أحدا يذهب هناك قصد التبرك منه أو تقديم الصلوات عنده وكل من يرونه يرجمونه بالحجارة وكانوا قد أخذوا صليب سيدنا يسوع المسيح له المجد وصليبي اللصين الذين صلبا عن يمينه ويساره والحربة التي طعنوه بها في جنبه والثياب التي كان مرتديا بها والمسامير التي دقت في يديه ورجليه وإكليل الشوك الذي وضع على رأسه والأكفان التي كفن بها وقت الدفن وأخفوا الجميع في موضع مجهول وأوقعوا حروما على كل من يخبر عنها.

فلمـا نظر الحـراس السـيـدة تأتى كل يوم وتصلى ذهبـوا وأخبروا رؤساء الكهنة وعظماء اليهود بذلك فأمروهم بأن يرجموها بالحجارة إذا رأوها دفعة أخرى فأبوا ذلك وقالوا لهم إننا سنعلمكم لتفعلوا بها ما تريدون وفى ثانى يوم أتت العذراء إلى القبر حسب عادتها ورفعت يديها نحو الله وابتدأت تصلى وإذا بالسماء قد انفتحت وجبرائيل الملاك نازل على سحابة سمائية ومثل بين يديها وسجد وقال السلام لك أيتها العذراء الممتلئة نعمة. الرب معك لقد صعدت صلاتك وقبلت لديه تعالى وقد أرسلنى لأعلمك بأنك ستنتقلين من هذا العالم الزائل إلى حياة أبدية دائمة لا انقضاء لها.

فلما سمعت العذراء ذلك سرت كثيرا وسجدت لله فرحة ورجعت إلى منزلها بسلام أما رؤساء الكهنة وعظماء اليهود الذين حضروا للانتقام منها فإنهم لما نظروا ما كان اضطربوا وهربوا قاصدين الوالى وطلبوا منه أن يصدر أمره بمنع تلك الامرأة التى حالت دون أعمالهم الخبيثة وسببت لهم الفشل الزائد برجوع الفئة الكبرى منهم إلى السيد المسيح، وفيما هم يتحدثون إذ ورد عليهم خطاب من ملك الرها المدعو أبجر يقول فيه أنا أبجر ملك الرها عبد يسوع المسيح وأعترف وأؤمن من كل قلبى بأنه هو الإله الواحد خالق السموات والأرض وأكتب إلى الملك طيباريوس قيصر معلنا إياه أن أحد تلاميذ المسيح يبشر هنا بكلمة الله وقد أتى من البينات ما جعلنى أعترف وأسبح الإله الواحد إلى الأبد إذ أنه أبرأنا من أمراض شتى وشيد لنا كنيسة نذهب إليها جميعا للعبادة وقد قص علىّ ما كان من السيد وما صنعه عندكم من المعجزات فملأت محبته قلبى وتمنيت لو كنت أراه بعينى رأسى لأسجد عند قدميه واطلب غفران ما مضى من الذنوب وأسفت كثيرا لما علمت أنكم اهنتموه وصلبتموه على غير علة ولا ذنب، وفكرت أنه يجدر

بى أن أذهب إلى بيت المقدس مصطحبا جنودى كى أدمر منازلكم وأقتلكم عن آخركم جزاء عملكم هذا إلا أننى رأيت أن أكتب إلى الملك طيباريوس أولا لينتقم منكم وقد صممت فى نفسى أنه إن لم يجازيكم عن أعمالكم الشريرة فإنى آتيكم بجيوش جرارة وأبيدكم عن آخركم.

ولدى وصول الخطاب إلى الملك طيباريوس وصورته إلى الوالى ببيت المقدس فزعوا وانزعجوا. وأراد الأول أن يقتل جميع اليهود فكتب إلى الثانى يأمره بأن ينتقم منهم بقتلهم ونهب أموالهم، فلما سمعوا فزعوا واضطربوا واجتمعوا كلهم،رطرحوا أنفسهم أمام الوالى وأعطوه مالا جزيلا وسألوه ألا يفعل ذلك بسبب مريم والمولود منها لئلا يخرب بيت المقدس إلى الأبد وتضرعوا إليه أن يصلح شأنهم ويعمل على ما يعود على بلادهم بالسعادة، وطلب ألا تأتى السيدة العذراء وتصلى عند القبر دفعة أخرى حتى لا يتجدد الشر فأجابهم الوالى بقوله بل امضوا واطلبوا إليها الصفح ومتى قبلت أخبروها بما تريدون. فلما مثلوا بين يديها قالوا لها يا مريم تذكرى ما حدث بسببك وما نحن فيه من الاضطهاد من أجل ابنك، فإليك نطلب رحمة بحالتنا التعيسة وكفى ما نحن فيه من الشقاوة بسبب ذهابك إلى القبر. تعهدى بألا ترجعى ثانية فينقطع الشر. ثم إذا رغبتى أن تصلى فمع الجماعة. وإلا فاخرجى من بيت المقدس وفى بيت لحم تمكثين، واعلمى بأننا لا نتركك تصلين عند قبر ابنك بعد الآن لئلا يتشبه بك غيرك وتكون الطامة الكبرى فأجابتهم بقولها أنا لست مقيدة بأفكاركم ولا بنواميسكم ولا أسمع قولكم ولا أتبع أهواءكم الشريرة النجسة، فاغتاظوا كثيرا وخرجوا من عندها غاضبين.

ثم أن العذراء قامت تصلى على حسب عادتها طالبة من الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بنقلها أو يرشدها إلى ما فيه الخير وفى الحال ظهر لها ملاك الرب جبرائيل قائلا السلام لك يا ممتلئة نعمة الرب يخبرك عن لسانى أن تجيبى رؤساء كهنة اليهود على طلبهم من نحو مبارحتك بيت المقدس وذهابك إلى بيت لحم فإذا كان الغد وحضروا طالبين ذلك قومى واجمعى العذارى وتممى مشيئة الرب، فأجابته ليكن كما أمر الرب. وفى ثانى يوم حضروا مكررين ما طلبوه بالأمس من السيدة العذراء التى أخبرتهم بقولها هوذا أنا ذاهبة إلى بيت لحم حسب إرادة العلى. قالت ذلك وقامت للوقت ودعت النسوة المجاورات لها وقالت لهن هوذا أنا ماضية أسكن فى بيت لحم فمن أرادت منكن فلتأتى معى فقام ثلاثة منهن قائلات نحن نمضى معك ولا نفارقك حتى النهاية، فباركتهن وقبلتهن بفرح عظيم وكن يسمعن ما تقصه عليهن من الأخبار المقدسة بقلوب طاهرة حتى إذا أتى المساء يصلين معا وينمن حول سريرها وينظرن آيات كثيرة.

ثم رفعت العذراء يديها إلى السماء وسبحت الرب قائلة اسجد لك ياربى يسوع المسيح وأؤمن بعظمتك وقدرتك إذ لم تصيرنى هدفا فى أيدى العتاة بل نظرت إلى مسكنتى وأظهرت العجائب على يدى أيها القوى القادر على كل شىء فباسمك أسبح ولقدرتك أعظم ولنعمتك أشكر إلى أبد الدهور لأنك قلت وقولك الحق أن جميع الأمم تطوبنى.

وبعد ذلك بينما كان التلاميذ الاطهار يصلون سمعوا صوتا من السماء ورائحة طيب زكية وقوات كثيرة يصحبها رب المجد على

مركبته الشاروبيمية والكل يهللون بأصوات الفرح قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس وظهرت آيات كثيرة في البيت الذى تسكنه السيدة العذراء حيث جنود السماء كانت تنزل وتصعد مثل يوم ميلاد السيد له المجد فى بيت لحم فى المغارة فاندهش أهالى المدينة وأرسلوا إلى الوالى وعظماء اليهود فى بيت المقدس يخبرونهم بما نظروه من العجائب فى بيت أم يسوع فحضروا ليتحققوا الأمر ولما قاربوا المنزل نظروا السماء مفتوحة والجنود الروحانية منتشرة على بيت السيدة بمنظر عجيب والكواكب ظاهرة فى النهار والسيدة مضطجعة على سريرها والتلاميذ حولها يقولون السلام للسيدة البتول المباركة. مبارك هو المولود منها رب الصاباؤوت الذى أظهر العجائب على يديها.

أما جماعة اليهود وكهنتها فاغتاظوا مما رأوه ورجعوا بيت المقدس وقرروا ارسال قوة عظيمة للقبض على رسل المسيح لاهانتهم وفعلا جمعوا رجالا أشداء وأمروهم بذلك فلم يستطيعوا الذهاب لارتباط أرجلهم بقوة العلى فزاد غضب رؤساء الكهنة ومضوا إلى الوالى وصاحوا صيحة عظيمة قائلين لقد هلك اليهود مما تفعله تلك الامرأة الساحرة فمر بخروجها من بيت لحم وإلا تخرب المدينة، فأجابهم بحدة أنا لا أفعل شيئا لأنه ليس فى استطاعتى أن أعاند رب القوات ووالدته الطاهرة فقالوا له إن لم تفعل ما نطلب نرفع أمرك إلى القيصر فأجابهم إلى طلبهم وأمر أحد القواد وبعض الجنود أن يذهبوا ويقبضوا على كل من يجدونه فى بيت العذراء مريم إذا استطاعوا لذلك سبيلا ولكنهم عبثا كانوا يحاولون لأن ما حصل للرجال أولا حصل للجنود وقائدهم. ولما أعيتهم الحيل أمر الوالى

بقتل كل من يعارض من رؤساء الكهنة وعظماء اليهود وتحكم بينهم الخلاف ورأوا أن يوقعوا بها مهما كانت الظروف فتركوا الوالى وذهبوا ذات يوم ومعهم أخشاب كثيرة وعمدوا على اضرام النار فى بيت السيدة ليحرقوها ومن معها ولكن ساء فألهم وأخرج الله لهيبا من المنزل فأحرق أكثرهم وآمن الباقون لما نظروا ما للعذراء من القوة ثم أن الوالى لما سمع بهذه المعجزة عمد إلى بيت السيدة العذراء تصحبه فئة عظيمة وقال بالحقيقة يا مريم أم إلهنا إن المولود منك هو ابن الله ملك الملوك ورب الأرباب، فباسمه نؤمن وله نسجد.

قال ذلك وجمع أهل المدينة وقام يرشدهم معلنا لهم ما لله من القدرة وما لوالدته من الكرامة فآمن البعض وعارض البعض الآخر فزجرهم بقوله: اعتديتم على السيد وصلبتموه بدون علة ولا ذنب وأظهر لكم الآيات فى حياته وصلبه وموته وقيامته ولم تؤمنوا. أتى لخلاصكم ونزل من السماء ولم تقبلوه لكنكم تحبون الباطل وتفعلون الشر، فجزاؤكم جهنم.

أما أنا فقد آمنت بالسيد المسيح المولود من العذراء وكل من يؤمن منكم يخلص واعلموا أن من يقترب من منزلها ويفعل شرا فإنى اقتله. عند ذلك قام عميدهم الأكبر المدعو كالاب وقال: أيها الوالى إنى مؤمن بالسيد المسيح ووالدته الطاهرة واطلب إليك أن تعزل كل مؤمن على حدة وتطرد هؤلاء الكافرين بنعمة ربهم ففعل كذلك وأخذ اقرارهم بالسيد المسيح الإله الواحد وإيمانهم به وقال لهم ماذا تقولون فأجابوه نحن نؤمن بأنه ابن الله الوحيد الذى يدين الخلائق بالعدل وأنه المسيح الحى الذى تنبأت عنه الأنبياء كما يشهد بذلك

التوراة ففرح الوالى ورجع إلى منزله فوجد ابنه مريضا فأخذه حيث منزل العذراء وقرع الباب فنزلت إحدى العذارى فقال لها اخبرى سيدتى وأم الهى بأننى عبدها والى المدينة وأريد مقابلتها فذهبت وأعلمتها فأمرت له بالدخول فدخل وسجد أمام السيدة العذراء قائلا السلام لك أيتها الطاهرة والدة الإله أؤمن بابنك المخلص الذى تجسد منك فابسطى يديك الطاهرتين وباركى عبدك واطلبى إلى ابنك أن يشفى ولدى فالتفتت إليه وباركته هو وولده ووضعت يدها على الصبى فشفى حالا من مرضه وخرج من هناك بفرح عظيم وسار مع والده حتى وصلا رومية وكانا يتحدثان بعجائب العذراء.

وبعد ذلك علم الرسل بواسطة الروح القدس أن يحملوا سرير السيدة العذراء ويمضوا بها إلى المكان المعروف بالجسمانية وفيما هم سائرون إذ نظرهم اليهود وأرادوا أن يوقعوا بهم فأمروا رجلا جبارا اسمه ثاوفينا بأن يخطف السرير وينتظرهم على سفح الجبل حتى يصلوا ومعهم الحطب ليضرموه ويحرقوه فأجابهم إلى طلبهم وقام خلف الرسل الذين كانوا قد قاربوا الوصول فتقدم ومد يديه النجستين إلى السرير فضربه ملاك الرب بسيف من نار على ذراعيه فقطعا وبقيا معلقين فى السرير وخر صريعا يبكى ويصرخ مستغيثا إلى التلاميذ قائلا ارحمونى يا رسل المسيح المخلص واصنعوا الخير معى كما فعل الرب الإله يوم ما كنت مخلعا ولا تؤاخذونى بسوء أفعالى الذميمة التى أتيتها على جهل وبإيعاز من رؤساء اليهود الأشرار واعلموا إنى أنا ثاوفينا الرجل المخلع الذى أقامه سيد المجد يسوع بعد أن قضى ثمانية وثلاثين سنة مقعدا، وأمرنى أن لا أعود إلى الخطية مرة ثانية لئلا يصيبنى أكثر من الأول وها أنا قد وقعت

فى هذه الخطية فاطلبوا عنى إلى السيدة العذراء كى تتحنن وترأف بى أنا الخاطىء، فشفى للوقت وكأنه لم يصب البتة.

ولنرجع الآن إلى كتابة ما حصل للتلاميذ رسل الله الأطهار ووالدته السيدة العذراء مرتمريم فإنهم ساروا يحملونها على سريرها إلى أن وصلوا موضع الجسمانية وهناك انتظروا ما يأمرهم به الروح القدس حسب وعده الصادق وقوله الحق يوم أن كانوا فى بيت المقدس.

وفيما هم كذلك ظهرت سحابة سمائية وعليها المركبة الشاروبيمية تحمل رب القوات واثنتى عشر مركبة نارية مملوءة ملائكة ورؤساء ملائكة والكل يهللون بأصوات الفرح قائلين قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس آمين الليلوياه. سبحوا الرب من العلا آمين الليلوياه. سبحوه من السموات يا جميع ملائكته. سبحوه يا جميع جنوده. أخبروا برحمته وعدله فى جميع الخلائق. آمين الليلوياه.

وبعد أن نزلوا يتقدمهم ملك الملوك ورب الأرباب وافى الرسل الأطهار وسجدوا لعزته الإلهية قائلين لك المجد. لك القوة والقدرة يليق لك السجود والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. وكذلك تقدم الكل بوقار ساجدين للإله القدير الذى باركهم جميعا ونظر إلى والدته وقال السلام لك يا والدتى الطاهرة مباركة أنت فى السماء. فأجابته لك المجد والقوة يا ابنى وإلهى يسوع المسيح. ضع يديك الطاهرتين على لأتقوى يا من خلقت السموات والأرض بيمينك الحصين أشكرك وأمجدك إذ جعلتنى مستحقة لكل حفاوة وإكرام

فـأجابـهـا الـسـيـد منذ الآن تكونـى فى فـردوس النعيـم وهناك تخـدمك الملائكة ورؤسـاء الملائكة وتمجدك القوات وتكون نفسك الطاهـرة منيرة فى السـمـوات فى المسـاكن النورانية حيث السلامة الدائمـة. وبعدهـا تقدم الرسل وطلبوا إليـهـا أن تصلى عنهم وعن باقـى أفراد المسكونة قبل انتقالها إلى الدار الآخرة. فقالت يا ربى وإلهى يسـوع المسيح ابن الله الحى الأزلى الواحد من الثالوث المقدس لاهوت واحد ومشيئة واحدة التى بها كان كل شىء اسـألك متضرعة أن تقبل شفاعتى فى عبيدك المعتمدين المؤمنين باسمك الاقدس الصالحين، وأما الصـالحون ردهم إلى حظيـرتك الإلهـيـة وأنعم على الجـمـيـع بـالخـيـرات واقـبل المجتمعين على اسمك القدوس الذين يقدمون القرابين ويتشفعون بى. اقـبلهـم واغـفـر خطاياهم ونجـهـم من الشـدائد وكن عـزاء لهم فى أحزانهم وشـريكا لهم فـى أفراحهم. أعطهم مـا يطلبون واكفـهم شـر المعاندين واشف أمراضـهم. بارك أمـوالهم وأكثر نسلهم. أهدهم إلى طريق الخـيـر طريق السـلامـة. وأوجد فى قلوبهم المحبـة بعضـهم البـعض حتى يمجدوا اسـمك الطـاهر فى حيـاتهم. اجعل لهم الحظ الأوفـر فى ملكوت السـمـوات لاحتـسـابهم مع أبرارك وأصـفـيـائك القـديسـين الأخـيـار ولا تطالبـهم بزلاتهم وارفـع عنهم شـر الشـيطان واكسـر شوكته حتى لا يتسلط عليهم واجعلهم ذبيحة مرضـية ورعية مقبولة لديك.

أيهـا الراعى الصـالح المتـحنن القـادر على كل شـىء، اقـبل كل من يطلب إلى تحننك باسمى فى هذه الحـيـاة. فلتكن معـونتك معـهم أيهـا الإله احـفظهم فى الليل والنهـار فى البـر والبـحـر فى البـرارى والقفار. ولا تحـول وجـهك عنهم كمـا وعدتهم أيها الصـادق بقولك أنا

معكم كل الأزمان وإلى أخر الدهور كلها . فأجابها السيد بقوله يا والدتي الطاهرة التي اخترتها من جميع نساء العالمين إني سأقبل شفاعتك وكل من يطلب باسمك باستحقاق سوف يعطى سؤله. ثم نظر إلى الحاضرين وقال لقد حان الوقت الذى فيه تنتقل العذراء فرتلوا وسبحوا بأصوات التهليل وارفعوا البخور ففعلوا ذلك وهم يبكون بوقار وتضرع وابتهال وخشوع إلى أن أشرق وجهها بالنور الإلهى فبسطت يديها وباركت المجتمعين فنظر إليها السيد وقال لها: تقوى سلام أبى يكون معك تشجعى يا والدتي الحنونة أنا هو يسوع ابن الله الحى الذى تجسد منك. طوباك أيتها الممتلئة نعمة لأنك استحقيتي هذا السر العظيم، فقالت يا ولدى الحبيب كن معى حتى أسلم روحى فى يديك الطاهرتين، وللوقت أسلمت الروح حيث كان ذلك فى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر طوبه. وصاح جميع الحاضرين والطقوس النورانية بالتمجيد والتسبيح للثالوث المقدس وأعطوا الطوبى للسيدة الحقانية الطاهرة المغبوطة ملكة جميع النساء.

هذا ما وجدته أنا الحقير كيرلس فى الصورة المأخوذة من الكتاب الذى كان بكنيسة أفسس ووردت لى من قبل الرئيسين الذين بجبل طور سيناء وقد شرحت لكم يا إخوتى الأحباء خبر نياحة السيدة العذراء وما ظهر من القوات والعجائب أثناء نياحها فما علينا إلا أن نكرمها تمجيدا يليق بمقامها عند ابنها الحبيب ونصرخ ونقول: السلام لك أيتها العذراء طوباك لأن كل الطغمات السمائية يعطونك الطوبى أيتها السماء الثانية الكائنة على الأرض. أنت باب المشرق الخدر النقى الذى للإله الحقيقى، الآب نظر من السماء فلم يجد من

يشبهك فارسل ابنه الوحيد أتى وتجسد منك. تكلموا من أجلك بكرامات عظيمة يا مدينة الله العلى. بك فرحت جميع ممالك العالم أيتها العذراء وتعطيك الطوبى جميع الأجيال. فلهذا نسجد للذى ولدتيه ونزيد علوه إلى الأبد، أنت هى السحابة الخفيفة التى أمطرت علينا رحمة ظهور الابن الحبيب وحيد الآب الذى خلقك والروح القدس حل عليك وقوة العلى ظللتك.

عظيمة هى الكرامة التى استحقيتها. يا غبريال الملاك المبشر بميلاد الله الذى أتى إلى العذراء الطاهرة مرتمريم الغير دنسة وقال لها افرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك لأنك وجدتى نعمة الروح القدس الذى حل عليك وقوة العلى التى ظللتك لأن المولود منك قدوس وابن العلى يدعى. عيدا عذرويا يدعونا اليوم لنطوبك ونمدحك أيتها البتول صرت أما وعذراء معا. افرحى أيتها العذراء الطاهرة بغير فساد لأن كلمة الآب أتى وتجسد منك. افرحى أيتها الإناء المختار التى حملت بغير دنس. افرحى أيتها السماء الثانية التى للمسيح آدم الثاني الذى جاء وخلص آدم الأول. افرحى أيتها المكان الطاهر الذى جمع الطبائع المختلفة وجعلها واحدة بغير اختلاط، افرحى أيتها الخدر الملوكى الذى دخله رب المجد وصار مع البشر. افرحى أيتها العوسجة النفسانية التى تحرقها نار اللاهوت. افرحى أيتها العبدة والأم العذراء التى حملت بالجسد الجالس على الشاروبيم، فلنفرح ونسبح مع الملائكة قائلين المجد لله فى العلا وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة، عظيمة هى كرامتك يا سيدة نساء العالمين أكثر من جميع القديسين لأنك استحقيتى أن يسكن فى أحشائك الله الكلمة الذى ترتعد من رؤياه الملائكة – حقا ارتفعتى أيتها الطاهرة أكثر من

الشاروبيم والسارافيم وصرت هيكلا لأحد الثالوث المقدس. تعجبوا معى أيها الشعوب المسيحيين ومجدوا هذا السر العظيم - الغير متجسد تجسد. والذى لا بداية له صار له ابتداء. وغير الزمنى صار زمنيا. والغير مدرك لمس بالأيدى والغير منظور نظر بالأعين، ابن الله الحى صار إنسانا حقا. يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد. نسجد له ونمجده هذا الذى أتى وخلصنا من يد المعاند، فاياه نسأل أن يقبل قرابينكم ويجعل المحبة الروحانية دائمة بينكم، وينيح نفوس أسلافكم الذين رقدوا وهم ثابتون على الإيمان المستقيم، ويتعطف عليكم بالرحمة والمسامحة والصفح والغفران عما اسلفتموه من الذنوب والهفوات، ويربى أولادكم ويمنح القوة لشيوخكم والعفة لشبابكم والنشأة الصالحة لأطفالكم ويثبتكم على الإيمان المستقيم باسمه العظيم. ويمنحكم الوقوف بين يديه فى يوم الدينونة بلا خوف ولا دنس، رحمة ورأفة منه، ويمن عليكم بسلامة نفوسكم وأجسادكم وصحة أبدانكم ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهكم ويجمعكم فيها بالمحبة الروحانية، ويبلغكم أمثال هذا العيد الطاهر سنين كثيرة وأعوام متصلة مديدة. وكما جمعنا فى بيعته الأرضية نطلب منه ان يجمعنا فى مستقر رحمته السمائية، فى بيعة الأبكار الروحانية، بشفاعة السيدة العذراء والدة الإله مرتمريم وطلبات الملائكة الأطهار وصلوات الرسل والشهداء والقديسين الأبرار. وكل من أرضى الرب الإله بأعماله الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

الميمر الحادى عشر

صعود جسد السيدة العذراء[١]

«يقرأ فى السادس عشر من شهر مسرى»

المجد لله ذى المنة والإحسان، والنعمة والامتنان، الذى أحسن إلى خلقه وعبيده، فبذل عن خلاصهم دم ابنه وحيده، ووضع لنا بيعا تتلى علينا فيها أقاويلة المحيية، وجعل لنا رعاة يرشدوننا لسبل تعاليمه المرضية، واختار صاحبة الدالة العظمى والدة الإلة الكلمة تلك التى قد فضلت أكثر من الأرضيين والسمائيين بما نالته من التجسد العظيم، تعين من يتشفع بها فى الليل والنهار فنطوبها ونشكر ابنها الحبيب صانع الخيرات، الذى طهرنا بماء المعمودية، وأهلنا لنوال المواهب الروحانية، وجمعنا فى بيعته الأرثوذكسية لتذكار انتقال جسد سيدة نساء العالمين وصعوده إلى السماء فى اليوم السادس عشر من شهر مسرى.

أما بعد فأرجوكم يا اخوتى الأحباء أن تعيرونى آذانا صاغية وقلوبا واعية كى أقص عليكم ما انتهى إلىّ أنا الحقير كيرلس بطريرك الاسكندرية وما وجدته مكتوبا بأيدى ساداتنا الرسل الأطهار ومعززا بشهادة حبيب ربنا يسوع المسيح القديس يوحنا البتول بخصوص صعود جسد السيدة العذراء فى مثل هذا اليوم الذى هو السادس عشر من شهر مسرى ووجوده تحت شجرة الحياة التى بسطت أغصانها عليه بأمر الثالوث الأقدس الإله الواحد الذى ينفى له

---

[١] لواضعه الأب القديس أنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية.

السجود والعظمة إلى دهر الداهرين. وتفصيل ذلك أنه لما كان بعد نياح السيدة العذراء فى اليوم الحادى والعشرين من شهر طوبة حيث انتشرت رائحة زكية لم يشتم مثلها من قبل وصوت من السماء يقول طوباك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك وبعد أن دفنت داخل الجسمانية بحقل يهوشافاط بارشاد الروح القدس وبواسطة الرسل الأطهار الذين استمروا يقدمون الصلوات من حين لآخر أمام قبرها الطاهر حتى اليوم السادس عشر من شهر مسرى أشرق عليهم نور سماوى فى الوقت الذى كانوا فيه يسبحون ويرتلون أمام باب المغارة الموضوع فيها الجسد الطاهر وسمعوا أصوات تهليل وتسابيح روحانية ونغمات ملائكية ولم يعلموا سر ذلك وأن الإله جل اسمه أراد أن يرفع جسد والدته على أجنحة ملائكته النورانيين، فأرسل طغمة منهم لاتمام ذلك حسب مشيئته.

ولما كان توما أحد الرسل وقتها ببلاد الهند ولم يحضر اليوم الذى تنيحت فيه السيدة العذراء لسر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. ولما كان هذا التلميذ لا يؤمن بشىء ما لم يره. أراد الله أن يظهر له هذا السر العظيم فأرسل سحابة نورانية وأمره بواسطة روح القدس أن يعلوها قاصدا موضع الجسمانية بحقل يهوشوفاط حيث هناك إخوته الرسل وبينما هو على السحابة إذ رأى طغمة الملائكة تحمل جسد السيدة العذراء فاستفسر عن حقيقة الحال فقيل له هذا هو جسد السيدة العذراء مرتمريم التى تنيحت وأمرنا السيد أن نحمله ونصعد به إلى فردوس النعيم ففرح كثيرا وسجد لها وقبل جسدها الطاهر وطوبها وظل سائرا على السحابة حتى وصل موضع الجسمانية وسلم على إخوته فقالوا له ما الذى أخرك عن الحضور يوم نياح العذراء لترى العجائب التى ظهرت على يديها، حقا لقد فاتك أمر عظيم جدا فأجابهم إن الروح القدس أعلمنى بكل شىء فى حينه وإنى كنت مشتغلا وقتها

فى عماد اكلوديا ابنة ملك الهند وها قد أتيت الآن ولى رغبة شديدة فى أن أنظر جسد سيدتى (يقصد بذلك أن لا يخبرهم بحقيقة ما رآه بل أراد تمهيد الطريق أولا حتى لا يزعج اخوته عندما تأكد له أنهم لم يعلموا بخبر صعود جسدها المقدس) فأجابوه قائلين إنه داخل المغارة ويصعب علينا رفع الحجر عن باب القبر لجسامته فقال أنا لا أصدق ما تقولونه إن لم أر بعينى فأجابوه ألم تزل فى شكوكك حتى الآن وفاتك ما فعلته يوم قيامة المخلص فقال أنا هو توما الذى لا يصدق إلا إذا رأى فقاموا معه ودحرجوا الحجر عن باب القبر بعد عناء شديد ودخلوا الموضع فلم يجدوا جسد السيدة العذراء فوقفوا باهتين متحيرين وهم يقولون ما الذى حصل؟ فوقف توما التوأم من بينهم وهم حيارى وقال لا تحزنوا يا اخوتى لأنى رأيت اليوم جسد سيدتى العذراء محمولا على أجنحة الملائكة حالما كنت آتيا على السحابة فطلبت إليهم أن يخبرونى فقالوا لى هذا جسد السيدة العذراء نحمله بأمر السيد إلى فردوس النعيم فقبلته وتباركت منه واستمريت فى سيرى حتى وصلتكم. فتعجبوا جدا ومجدوا الله وقاموا مسرعين وصعدوا إلى جبل الزيتون وابتدأوا يقدمون الصلوات إلى الله تعالى قائلين أيها السيد يسوع المسيح ابن الله الحى الأزلى الذى تجسد من العذراء لخلاص الجنس البشرى نطلب إليك أيها القادر على كل شىء يا من جعلتنا مستحقين أن نجتمع من أقاصى المسكونة لتسبيح اسمك ونتبارك من جسد والدتك العذراء نتضرع إليك أيها القدوس أن تعلمنا بواسطة الروح القدس موضع جسد سيدتنا الطاهرة مرتمريم لأن لك ينبغى التسبيح والتقديس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

وللوقت ظهرت سحابة سمائية واختطفت الرسل الأطهار من جبل الزيتون واوصلتهم إلى فردوس النعيم وهناك رأوا السيد المسيح الإله الحى والملائكة حوله يسبحونه ووالدته العذراء معه فقال لها الرب

يا والدتى العذراء انظرى إلى هذا الملك العظيم وكيف أن الألوف من القوات يخدمونك ويعطونك الطوبى فنظرت إلى الملك الذى لا يفنى وسرت كثيرا حين رأت أخنوخ وإيليا وموسى وجماعة الآباء والأنبياء والرسل المختارين يسجدون أمام الرب الإله ويطوبون والدته التى نظرت إلى الفردوس وفرحت كثيرا كما أنها سرت من رؤية أماكن الصديقين والشهداء المضيئة بالأكاليل. وبعد ذلك أراها السيد السرائر المخفية وأمور البيعة المقدسة وأشياء لا تستطيع الأبصار البشرية النظر إليها ولا النطق بها وخلائق كثيرة مضيئين ومظلات ليس لها عدد وبينهم بخور يرتفع بأبواق تصرخ وجماعة يسبحون بلغات سمائية. فقالت العذراء ياربى وإلهى من هم هؤلاء الوقوف فأجابها المخلص يا والدتى القديسة هؤلاء هم الصالحون والأبرار وهذه الكرامة للمختارين وحافظى وصاياى والمؤمنين بى. وبعد ذلك نظرت إلى صقع آخر مظلم جدا يلتهب بنار عظيمة وخلائق كثيرة واقفة أمامه بقلوب حزينة جدا ووجوه معبسة فقالت العذراء من هم هؤلاء يا ولدى الحبيب؟ فأجابها المخلص يا والدتى العذراء هذا مكان الخطاة الذين لم يؤمنوا بى ولم يعملوا حسب وصاياى ويتوبوا عن خطاياهم. ثم أخذها بيدها وأعادها إلى الفردوس حيث جميع القديسين وكانت الملائكة تسبح أمام جسد العذراء إلى أن وضعه الرب تحت شجرة الحياة فامتدت أغصانها على تلك الأعضاء المكرمة. وللوقت قال الرب هذه هى التى عتقت أمها. ها أنا اليوم اتركها تحت شجرة الحياة. وأختم على جسدها الطاهر بمثال الصليب الكريم إلى يوم القيامة العظيم الذى فيه يقوم الأموات أجمعين.

وبعد ذلك التفت الرب إلىّ أنا يوحنا الشاهد بهذا وقال يا يوحنا هوذا قد نظرت كل ما كان من أمر والدتى العذراء ووضع جسدها المقدس تحت شجرة الحياة لأنك أنت يا يوحنا الشاهد بموتى وصلبى وآلامى وقبرى وقيامتى من الأموات وموت والدتى العذراء وصعود

جسدها ووضعه تحت شجرة الحياة. وبعد ذلك خطف الروح القدس كل واحد من التلاميذ ومضى به إلى موضع بشارته وأنا يوحنا الشاهد بهذا كله بعد ذلك أتيت إلى مدينتى أفسس وكتبت هذا الكلام وجعلته فى البيعة تذكارا مقدسا لوالدة الإله، ثم مضينا إلى هذا المكان الذى رأى فيه أخونا توما جسد العذراء مرفوعا على أجنحة الملائكة وبنينا هناك ديرا وبيعة على اسمها المقدس وهو المعروف الآن بدير العين من أعمال مدينة أخميم بالجبل الشرقى وكثيرة هى القوات والعجائب التى ظهرت فيه من قبل هذه العذراء القديسة الغير دنسة التى ولدت لنا الله الخالق لأن كل الخليقة تفرح وتصرخ قائلة افرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك السلام لك أيتها العذراء لأنك أفضل السمائيين والأرضيين لانك ولدت المسيح الرب الكائن معك. فنطوب عظمتك أيتها العذراء الحكيمة ونعطيك السلام مع غبريال الملاك لأن من قبل ثمرتك أدركنا الخلاص والله اتصل بنا دفعة أخرى بصلاحه. أيتها الخدر الملوكى. الروح القدس حل عليك وقوة العلى ظللتك لأن المولود منك حقا كلمة الله وابن الله الذى لا ابتداء له أتى وخلصنا من خطايانا. أنت أصل ذرية داود التى ولدت لنا بالجسد مخلصنا يسوع المسيح وحيد الآب قبل كل الدهور. أنت القبة المدعوة قدس الأقداس والتابوت المصفح بالذهب من كل جانب وألواح العهد المكتوبة بأصبع الله والقسط الذهب والمن مخفى فيه مثال ابن الله الذى أتى وحل فيه وتجسد منك بوحدانية غير مفترقة. دعيتى أم الله الملك الحقيقى ومن بعد ميلاده منك بقيتى عذراء كما قال حزقيال النبى. يا مريم ممجد هو عمانوئيل الذى ولدتيه من أجل هذا حفظك بغير فساد. تشبهتى بالسلم الذى رآه يعقوب مرتفعا إلى علو السماء. السلام لك أيتها المنارة النقية التى حملت مصباح اللاهوت.

افرحي يا رجاء خلاص المسكونة كلها لأنه من أجل طهارتك صرنا أحرارا من لعنة حواء ومن أجلك صرنا مسكنا للروح القدس هذا الذى حل عليك وطهرك. من أجل هذا نحن نعيد عيدا روحانيا نبويا صارخين مع الملك داود المرتل قائلين قم يارب إلى راحتك أنت وتابوت قدسك الذى اخترته الذى أنت يا مريم العذراء السلام لك أيتها المائدة الروحانية الذى منك أخذ خبز الحياة لكل من يأكل منه. السلام لك يا فخرنا ورجانا وثباتنا فى ظهور إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. نعظمك باستحقاق مع اليصابات نسيبتك قائلين مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك. السلام لفخر جنسنا التى ولدت لنا عمانوئيل، نسألك اذكرينا أيتها الشفيعة الامينة عند ابنك الحبيب ربنا يسوع المسيح الذى اياه نسأل أن يغفر خطايانا ويسامحنا على هفواتنا. ويستر عيوبنا ويهب لنا رحمة ورضوانا. ويقبل صلواتنا وقرانيننا. ويجعلنا أهلا للتناول من جسده ودمه الأقدسين شفاء لأجسادنا وصحة لأنفسنا من سقم الخطية. ويجعل باب بيعته مفتوحا فى وجوهنا على ممر الدهور والأزمان ويرذل سائر الاعداء المناصبين لها. ويحفظنا من مكائد العدو المحتال ويثبتنا على الإيمان المستقيم. ويسكننا فردوس النعيم ويجعل نصيبنا مع الابرار والقديسين الأطهار. بشفاعة السيدة العذراء مرتمريم والقديس البتول يوحنا الإنجيلى حبيب ربنا يسوع المسيح الشاهد بهذه الاخبار المقدسة وطلبات ساداتنا الرسل الأطهار والملائكة المقربين والأنبياء والصديقين والشهداء والمكللين والقديسين المجاهدين وكل من أرضى الرب الإله باعماله الصالحة من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الميمر الثانى عشر

أيقونة السيدة العذراء بدير صيدنايا[١]

«يقرأ فى اليوم العاشر من شهر توت»

المجد لله الواحد الأبدى المثلث الاقانيم الازلى. خالق البرايا وعالم الخفايا. الممد العقل من نور جلاله. المفيض عليه من قدس ذاته روح كماله. منه ظهر وعنه برز وإليه مآله. فهو الحق الذى لا تبلغ الافهام حكمته. ولا تدرك العقول كنه قدرته. العالى على كل المناظر والصفات. خالق السموات والأرض وجميع الموجودات. ديان الاحياء والاموات. هذا الذى تجسد من السيدة البتول الطاهرة. واختارها مسكنا مقدسا بحلوله فى أحشائها الطاهرة. وخلص الجنس البشرى من أسر إبليس وجنوده. فلنشكر الله على هذه المنة العظيمة التى لا يحصى لها عدد ونمجد حكمته الربانية التى لا ينقضى لها أمد. ونقدس ذاته تقديسا لا ينقطع من أفواهنا أبدا. ونسجد له سجودا يستحق خلوده فينا سرمدا.

أما بعد يا اخوتى الاحباء أرى كلا منكم يتكبد الاتعاب والمشاق ليربح الاشياء الارضية. فكم بالاحرى يلزمه من أجل الامور الروحانية. ليربح منها شيئا يضاعف به الوزنة التى اودعها عنده رب البرية. فإذا كان الفلاح يقاسى برد الشتاء وحر الصيف لكى يجنى ثمرة أتعابه التى تزول سريعا. والتاجر يتحمل المكاره والاسفار واضطراب البحار وقطع الطرقات وملاقاة الاهوال الصعبة ليربح فوائد زائلة. والخادم يقبل اهانة سيده كى يحصل على ما يسد به

---

[١] لواضعه الأب القديس أنبا كيرلس أسقف المدينة المقدسة بأورشليم.

رمقه. كذلك الصياد يعانى الصعوبات غير مبال بما يصيبه من شديد البرد معللا نفسه بالأمل البعيد بغية الحصول على صيد يرزقه به الله فيقضى به حاجته.

وبعد فاعلموا يا اخوتى الاعزاء أنه كان فى هذا الدير المقدس دير صيدنايا امرأة راهبة قديسة تدعى مارينا تعيش بالعفة والطهارة مداومة على الصوم والصلاة وكانت تقبل كل غريب أو ضيف بوجه بشوش وفرح وتكرمه كل الاكرام واتفق أنه فى سنه ١٢١٢ للاسكندر المكدونى حضر لهذا الدير من يدعى تاوضروس الراهب العظيم وكان قصده زيارة بيت المقدس ليصلى هناك فاستقبلته السيدة الراهبه بكل حفاوة واكرام ولبث هناك مدة ثلاثة أيام محمولا على أكف الراحة ولما عزم على المسير طلب إليها أن تزوده بالدعوات الصالحات قائلا لها أيتها الام المباركة ها أنا ماضى للتبرك من الاماكن المقدسة فى بيت لحم فإذا كنت تريدين أى شىء من هناك كلفينى لاستحضاره معى فأجابته قائلة أتمنى لك زيادة ميمونة مقبولة لدى الحق سبحانه وتعالى واطلب إليك أن تأخذ هذه الدريهمات لشراء أيقونه يكون عليها تمثال صورة الست السيدة العذراء لوضعها فى هذه البيعة المباركة فشكرها ووعدها بما طلبت ولم يأخذ منها الدراهم بل قام ووجهته بيت القدس وبعد مسيرة طويلة وصل هناك سالما وتبارك من جميع الاماكن الشريفة وقصد العودة ولم يتذكر ما كلفته به السيدة الراهبة وهو شراء الايقونة بل قام ومشى مسيرة ميل وإذ بصوت يناديه من الاعالى قائلا أنسيت ما أوصتك به الراهبة فعند ذلك تحير ولم يعلم من أين هذا الصوت وتكدر كثيرا لاهماله ما طلبته وللوقت عاد ثانية إلى المدينة حيث الموضع الذى يباع فيه (أيقونات) القديسين الابرار وبعد البحث وقع نظره على أيقونة جميلة المنظر ومتقنة الصنع عليها تمثال السيدة الطاهرة مرتمريم فدنا منها وقبلها وطلب إلى صانعها أن يبيعها له فقبل بعد أن أخذ الثمن وسلمها إليه فأخذها ولفها فى قطن باحتراس

شديد ووضعها فى كيس من قماش بعد أن تحفظ عليها تماما وخرج مسرعا وسار قاصدا العودة وفى اثناء مسيره تقابل مع رفاق يعرفهم من قبل وظلوا سائرين حتى ثانى يوم تقابلوا بعصابة من اللصوص أزعجتهم وأوقعت الرعب فى قلوبهم حيارى خائفين من سطوة هؤلاء العتاة خيفة أن يقتلوهم وينهبوا ما معهم وفيما هم كذلك إذ سمعوا من يقول اعبروا ولا تخافوا فإن الله يحفظكم فعبروا الطريق من غير أن يصيبهم اذى من هؤلاء اللصوص حيث كان حصل ذلك فى موضع يعرف بوادى الحبيب واستأنفوا السير حتى وصلوا مدينة نابلس وهناك رافقتهم جماعة أخرى يقصدون الذهاب إلى الناصرة وبينما هم سائرين فى الطريق إذ خرج عليهم أحد الاسود الكاسرة لافتراسهم فأيقنوا بالهلاك لدى رؤيتهم هذا الوحش الضارى وفيما هم يولولون إذ سمعوا ذلك الصوت الذى سمعوه اولا ينبعث من الايقونة التى يحملها الراهب وهو يقول اعبروا ولا تخافوا فإن الله يحفظكم فاستغربوا الامر ومجدوا الله وقبلوا ايقونة السيدة العذراء وابتدأوا يشجعون بعضهم البعض ثم حانت متهم التفاتة وإذا بفارس عظيم يجر الاسد مثل البهيم وهو يقول ليس لك سلطان عليهم فنكس رأسه وولى منهزما ففرحوا كثيرا وعبروا الطريق وهم آمنون.

ثم أن الراهب تاوضروس لما رأى ما كان من الايقونة سر كثيرا وعزم على أن لا يتركها طرفة عين بل يحفظها عنده لتكون له عونا فى وقت الشدة وحصنا يقيه شر الحادثات وعند وصوله مدينة الناصرة تبارك هناك وعزم على أن لا يدخل مدينة صيدنايا حتى لا يرى السيدة الراهبة فتطالبه بالأيقونة التى هو فى حاجة شديدة لها فركب قاصدا عكا ولما وصلها وجد مركبا مقلعة فركب فيها مع رفاقه. وفى أثناء السير هاج البحر وخرجت ريح عاصفة كادت أن تودى بهم إلى الهلاك فاضطروا أن يلقوا بما معهم من الأقمشة والأشياء

الاخرى أما الراهب فقد احتار فى أمره ولم يفرط فى الايقونة بل القى كل أمتعته بالبحر كما فعل رفاقه إلا هى وفيما هم حيارى والريح شديدة سمعوا الصوت ينادى من الأيقونة قائلا لا تخافوا فإن ايقونة والدة الإله معكم. ولدى سماعهم ذلك سكن الريح ورست المركب بالموضع الذى اقلعوا منه فعلم الراهب أن الذى أصابه كله قد يكون بسبب رجوعه عن الطريق ورغبته فى أخذ الايقونة فعمد إلى العودة إلى الدير بصيدنايا مع رفاقه ويسلم الايقونة للسيدة الراهبة حتى يأمن الشر المتوقع بسبب تردده فى إيفاء ما سبق أن تعهد به من قبل فقام للوقت ولم يزل سائرا مع رفاقه حتى وصلوا دير صيدنايا ولم يعرف الراهبة بنفسه كذلك هى لم تعرفه لكثرة الزائرين فاستراح ونام تلك الليلة بعد أن قدم الصلوات والتضرعات إلى الله تعالى طاليا منه أن ينجح مساعيه ويعينه على خلاص نفسه وبعد أن فرغ من صلواته افتقد الأيقونة المقدسة وإذا بالقطن الذى كان عليها بلله الدهن فتعجب من ذلك وفكر فى أمرها بعد أن تفرس فيها فوجدها مكللة بمادة دهنية تسيل إلى الاسفل فأخذ منها جزءا ووضعه على مريض من رفاقه فشفى للوقت ففرح فرحا عظيما وقال فى نفسه لا أفارق هذه الأيقونة أبدا لأنى بواسطتها أقدر أن أعمل ما يرضى الله جل اسمه وصمم على أخذها معه لعظم ايمانه بها وما ظهر من الآيات حبب الأمر إليه كثيرا فلفها وردها إلى الكيس ثانية وودع الراهبة وخرج بطلب الباب فلم يعرف مكانه فرجع إلى الداخل وتفرس ينظر إلى الباب فوجده مفتوحا وكان كلما أراد الخروج يغيب عن الباب ويصير كأنه لم يكن واستمر على هذه الحالة ثلاثة أيام والراهبة تفكر فى أمره متعجبة وتأتى إليه بما يأكل ويشرب غير أنه كان يرفض ذلك لما عنده من الأفكار فظنت أنه مختل العقل فتقدمت إليه قائلة ما الذى يؤلمك يا أبى الشيخ ومن أى شىء تشتكى فنهض لوقته وسجد لها قائلا

أغفرى لى ذنبى أيتها الطاهرة فإنى أنا هو الراهب الذى عبر بك من مدة وكلفتيه أن يشترى لك أيقونة برسم الدير يكون عليها صورة السيد العذراء فعرفته فى الحال وابتدأ يحدثها بكل ما حصل له والعجائب التى صنعت بواسطة الايقونة وما كان من الأهوال التى داهمته بسبب تصميمه على أخذ الايقونة وعدم إيفاء وعده وما حصل له أخيرا بعد حضوره إلى الدير ثم فتح الكيس أمامها وأخرج الايقونة العظيمة واطلع عليها الراهبة مارينا التى اندهشت لدى رؤيتها لما نظرته من الدهن الذى يسيل من جوانبها وابتهجت ابتهاجا عظيما وسبحت الله ومجدته على صنيعه الذى يفوق إدراك البشر ثم قبلت الايقونة ومسحتها بمنديل كان معها فانتشرت رائحة زكية من الدهن الذى لم يلبث أن عاد وكللها ثانية وبعد أن تباركوا منها جميعا أمرت الراهبة مارينا أخواتها الراهبات فحضرن وحملتها ووضعتها فى طاقة غير مبنية تباركن منها جميعهن. ثم أن الراهب تاوضروس نظر إلى الراهبة وقال ها قد اتيت لك بالايقونة العظيمة التى عليها صورة السيدة واخبرتك بكل ما حصل من العجائب والسيد المسيح يشهد على ذلك والجماعة الذين كانوا معى يؤيدون أقوالى وفيهم من الأساقفة والقسوس والشمامسة ما يعزز الشهادة واجتمعوا جميعا ووافقوا على اقواله حيث كان ذلك فى اليوم العاشر من شهر توت فى اليوم الذى أقاموا فيه تلك الايقونة المقدسة فى البيعة الطاهرة وأقام الراهب المذكور فى خدمة الدير إلى أن تنيح بسلام ودفن بجوار الكنيسة فى الجهة القبلية منها وكذلك الراهبة القديسة مارينا تنيحت بعده ودفنت بسلام.

وفى سنة ١٣٧٣ للإسكندر حضر إلى هذا الدير المبارك أحد المطارنة المدعو أنبا موسى من مدينة القسطنطينية ليتبارك من هذه

الأيقونة المقدسة عندما سمع بخبرها وعند وصوله عاين ما يسيل من الدهن منها فأمر بنقلها فى موضع متسع يحفظ ما يفيض منها من البركة لشفاء الأمراض ووافق على أقواله الراهب المدعو يوحنا الذى كان يرأس ذلك الدير وقتئذ.

ثم أن الراهب يوحنا اختار لها موضعا عظيما بالبيعة وزخرفه بالرخام المرمر ووضع تحتها جرنا من رخام لحفظ ما يسيل من الدهن وطرز الأيقونة بحرير يكلله الذهب الإبريز وكان كل من يتوسل بالسيدة العذراء للرب ينال ما يطلبه وإذا كان به مرض يشفى منه بواسطة هذا الدهن المقدس. ومن العجائب والآيات التى كانت تظهر من تلك الأيقونة أنه إذا أخذ أحد منه بامانة ووضعه فى منزله فيفيض فى يوم تذكارها فى كل سنة ويكون شفاء لكل الامراض وبركة عظيمة تحل فى المنزل ويحصل له كل خير ومن يأخذ منه بغير أمانة فإنه لا ينتفع به ويعود عليه بالضرر. فشاع خبر هذه الأيقونة فى كل الاقطار وعرف العالم قوتها واختبرها الملوك واقروا بفضلها وكرامتها وصار يتلهفون لرؤيتها والتوسل لصاحبتها.

فسبيلنا أن نزيد فى اكرام السيدة العذراء ونطلب منها أن تجعلنا مستعدين للدخول لملكوت السموات وتزيل عن قلوبنا الشكوك والافكار الردية وتساعدنا لكى لا نتهاون فى تعظيمها لأنها قد استحقت من الإله كل النعم الجزيلة التى تعجز الألسنة عن وصف اليسير منها، طوباها لأنها افضل من كل البشر. طوباها لان غبريال الملاك اتاها مبشرا بكلمة الإله المنتظر. طوباها لأنها سمعت السلام بالصوت الإلهى. طوباها لأن روح القدس حل عليها وظللتها قوة العلى. طوباها لأنها ولدت الإله الكلمة. طوباها لأنها حبلت بالجالس على الشاروبيم. طوباها لأنها صارت كرسيا للمسيح والمرتل من

السارافيم. طوباها لأنها صارت مصباحا أشرق فيه نور اللاهوت طوباها لأنها صارت بابا مشرقا ختمه رب الصاباؤوت طوباها لأنها كرمة طاهرة نتج منها ثمرة الحياة. طوباها لأنها كنز الحق الذى ظهر منه السر الحقيقى. طوباها لأنها صارت أم الحياة كما أعلن ذلك إشعياء النبى. طوباها لأنها صارت المركبة التى رآها حزقيال. طوباها لأنها قدس القديسين الساكن فيه عمانوئيل. طوباها لأنها الملكة والدة الإله المتحنن على كل الخلائق أجمعين. إياه نسأل أن ينير عقولكم ويحفظ أنفسكم وأجسادكم ويحل ببركاته على أرزاقكم ويلهمكم العمل بطاعته والتمسك بوصاياه ومحبته ويحسن لكم العاقبة فى الدنيا والآخرة، ويقيكم من مكائد العدو المحتال وجنوده الشريرة ويجعلكم أهلا للوقوف عن يمينه فى اليوم المرهوب ويبلغكم أمثال العيد المبارك سالمين من كل المكاره والعيوب سنينا عديدة وأعواما متصلة مديدة. وأنتم فائزون بالأعمال المرضية، فرحون مسرورون مساهمون الملائكة النورانية. ويستجيب صلواتكم. ويغفر آثامكم. وينيح نفوس اسلافكم ويمنح الصحة لشيوخكم. والعفة لشبابكم. والنشأة الصالحة لاطفالكم ويخضع الاعداء تحت أقدامكم وأن يقيم منار الكنيسة المسيحية الارثوذكسية ويخذل اعداء البيعة ويدخلكم مصاف الأبرار القديسين ويجعل لكم حظا ونصيبا مع كافة مختاريه الأطهار، ويجعلكم مستحقين لسماع ذلك الصوت المملوء فرحا القائل تعالوا إلى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم. ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر. بشفاعة السيدة العذراء مريم والدة مخلص العالمين والرسل الاطهار المنتخبين وكل مصاف القديسين. من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الأعجوبة العظيمة
التى صنعتها السيدة العذراء بكنيسة مدينة أتريب

المجد لله مانح العطايا . وكاشف الخفايا . صارف عوارض النقمة، وفاتح أبواب الرأفة والرحمة . المعاهد شعبه بالخلاص من قبل الإله الكلمة الذى حدد أعياد البيع المسيحية، وأنار مطالع الأفراح الروحانية، الذى جمع شمل الأمة المسيحية وأرشدها إلى تسبيح عظمته وتقديسها، الذى جعل بيعته الأرثوذكسية مثالا لسماء قدسه فى ترتيب طقوسها، وزينها بكواكب مشرقة الأنوار وبذا أصبح المسيحيون يسبحون الليل والنهار، قائمين فى مصافها قيام طغمات الألوف من الملائكة الأطهار، ناطقين بالأغانى الروحانية التى تلهى عن المزمار والقيثار، فأى طرب حسى يؤثر فى النفوس أو يفعل فى القلوب ما تفعله الألحان الروحانية من اجتذابها، وأى فردوس عقلى لم يلجه الوالجون من أبوابها، وأى حلة مجد لم يتوشحها المتوشحون بحلل كهنوتها وأثوابها خصوصا إذا خلصت القلوب من الأوصاب وصفت الخواطر من الاكدار وجبلت العقول من الأفكار الرديئة وأقبلت الأفهام على تحصيل معانى الكتب الإلهية . فينبغى لنا نحن المجتمعون فى الأعياد السيدية أن نكون متفقين بمحبة حقيقية وألفة روحانية، ونيات نقية . خالصة من كدر الخطية كى نستحق الاجتماع فى مجمع الأطهار، ونقترب من أب الأنوار . بوقوفنا فى بيعة الأبكار . لنفوز بنعيم مقدار جلاله، ونسأل مانح الجود والاحسان، وفاتح أبواب الرحمة والغفران، ومشفى الأوجاع والأحزان . جامع

شمل المؤمنين في بيعته بجزيل الامتنان، تفضلا منه على عباده المتشرفين بسمة الإيمان. الموعودين بحلوله في وسطهم كلما اجتمعوا باسمه في كل وقت وأوان. ورحمة منه على شعبه الذى اشتراه بدمه الزكى الذى يعلو عن مماثلة الاثمان. المسيح من كافة مؤمنيه. من شيوخ وكهول وشبان، وأطفال ورضعان. المجدة ربوبيته في مجامع شعبه وبيعه التى فتحت أبوابها برحمته، وتمتع المؤمنون بأعيادها مشتملين برأفته. مرتلين لاسمه كطقوس ملائكته، صاغين لما يتلى علينا من تسبيحات عذبة وأقوال إلهية، ونبوات حكمية. وضمائرنا تنتظر من النعم الوافرة ما يكسبنا أعظم موهبة عالية سمائية لنحظى بنعيم الملكوت الذى لا يزول، فيا لهذه المواهب العظيمة ما أبهى وأجمل نظامها، وأعظم كمالها - فهلموا يا معشر المسيحيين إلى وليمة ملك الملوك السمائى كى نقف فى حضرته وقوفا مزينا بالوقار، خاليا من تقاسم الأفكار. ونتشابه فى وقوفنا هذا بوقوف الأبرار. والملائكة الأطهار. أمام الإله رب الأنوار صاحب القدرة العظيم الجبار، بحسن الانفاق المزيل عن النفوس افتراق الشقاق، مقترنا بالخضوع والطلبات والخشوع لرب القوات، والمجد والتقديس لإله الألوف والربوات لنكون أهلا أن نمجده هكذا قائلين، عظيم هو الرب وعظيمة هى أعماله وأسراره وحكمته. لا يقدر بشرى على إدراك شىء من أموره العالية عن أفهام الفهماء. اهدنا يارب إلى الطريق الصالحة، تلك التى بواسطتها نخلص من موت الخطية. أيها الغافر لكل من أقبل إليه بنية صادقة، أنعم علينا وكن لنا عونا قويا فى الطريق الذى نسلك فيه كى تفتح أعين قلوبنا المظلمة وأفكارنا المدلهمة. فأنا الخاطىء الكسلان أسألك اللهم أن تفتح عين

قلبى وفهمى لأسمع كلامك وأعمل بوصاياك وأوامرك. لا تؤاخذنى على خطاياى وسامحنى واغفر لى هفواتى لانك واهب الكلام والنطق الصالح - سامحنى بزلاتى وأعمالى الذميمة - هب لى من لدنك معرفة كى أقدم على تسطير بعض من أقوالك الحكمية وإذاعة خبر الأعجوبة العظيمة التى صنعتها والدتك الطاهرة فى كنيستها بمدينة أتريب فاسمعوا هذا الخبر العجيب يا أحبائى.

لما تولى المأمون الخلافة عوضا عن أبيه هرون الرشيد كان فى ابتداء ملكه معاندا ومبغضا للمؤمنين بالسيد المسيح مضطهدا ومطاردا لهم كما كان شاول الطرسوسى مطاردا للكنيسة ومضطهدا لشعبها. وكان هذا الخليفة انتدب من خواصه أميرا كبيرا وبصحبته قوة عظيمة من الفرسان الأقوياء وأرسلهم إلى ديار مصر ليهدموا الكنائس التى بها وكانت شدة عظيمة على المؤمنين بسبب ذلك. ولما وصل الأمير إلى الديار المصرية ابتدأ أن يهدم الكنائس فى كل مكان وهو يجول القرى والمدن إلى أن أتى إلى مدينة أتريب الواقعة شرقى بنها العسل ونزل بها ونصبوا له الخيام ليستريح وكان بها كنيسة عظيمة على اسم السيدة العذراء مرتمريم وهى أول كنيسة بنيت لها بالديار المصرية وكان لها أربعة أبواب فى داخلها اسطوانات وبين كل اسطوانة وأخرى أربعون ذراعا وكان فيها ماية وستون عمود رخام أبيض، والأرض مفروشة بالرخام الملون وكانت الاسكنة والامبل مرصعة بالذهب والفضة، وكان فيها أربعة وعشرون هيكلا منقوشا وكانت أيقونة السيدة العذراء موضوعة داخل مقصورة مصنوعة من العاج والابنوس ومرصعة بالجواهر والفصوص الثمينة وعليها قطعة حرير قسطنطينى منسوج عليها صورة السيدة العذراء والملاكين عن

يمينها ويسارها بغاية الجمال وقدامها قناديل ذهب وفضة موقدة ليلا ونهارا ٠ وكان لهذه الكنيسة رئيس اسمه القس يوحنا كان بتولا مباركا قديسا وديعا مواظبا على الصلاة والصوم ورفع القرابين ملازما لخدمة الكنيسة رحوما متواضعا كثير المحبة مرضيا الله فى جميع أعماله فلما بلغ القسيس المذكور وأهل البيعة خبر الأمير وما حضر لأجله حزنوا كثيرا فتقوى رئيسهم بالروح القدس وقام للوقت وصلى للرب وطلب المعونة من السيدة العذراء ثم مضى نحو الأمير وتقدم إلى خيمته فلما رآه الغلمان قالوا له ما حاجتك يا راهب فقال القسيس المبارك أريد الأمير فاستأذنوه فأمر بدخوله وعند وصوله خاطبه بقوله يا مولاى الأمير أريد أن أعلمك بأمر على انفراد فأمر الحاضرين بالخروج فقاموا للوقت ولم يبق غير الامير وجليسه فقال القسيس يا مولاى الأمير سمعت أنك حضرت لهدم الكنائس وأنا أقصد فضلك وعميم إحسانك أن تتفضل وتنظر هذه الكنيسة قبل أن تأمر بهدمها لأنها أول كنيسة بنيت على اسم السيدة العذراء فى ديار مصر ٠ فقال جليس الأمير إن كلام هذا الراهب فيه معنى، ولا بأس أن تقوم وتنظر هذه الكنيسة على سبيل التنزه والفرجة، فقام الأمير وجليسه والقسيس يتقدمهما إلى الكنيسة فلما أبصرها تعجب من حسن منظرها وزينتها وزخارفها فقالا له إن هذه كنيسة عظيمة جدا ولكنا أمرنا بشىء لا نقدر على مخالفته البتة٠ فقال القسيس صدقت يا مولاى فيما قلت لكن أريد أن أقول لك شيئا فقال له الأمير قل ما شئت فقال القسيس أريد منك أن تمهلنى بابقاء الكنيسة ثلاثة أيام ولك فى كل يوم مئة دينار فإذا لم تصلك مكاتبة من الخليفة فافعل بها ما شئت فلما سمع الامير كلام القسيس ضحك عليه وقال له إن بيننا

وبين مدينة بغداد من هذا المكان شهرين ذهابا وشهرين إيابا فتكون المدة أربعة شهور فما تقوله لا يصدقه عاقل ولا يتحدث به لابتعاده عن الصواب كثيرا. فأجابه الجليس بقوله سيدى الأمير ما علينا إن وافقناه على طلبه فنأخذ منه الثلثمائة دينار لسد حاجتنا، مع علمنا بأن ما قاله لا يتم البتة لابتعاد المسافة بعدا شاسعا وبذا نكون قد أرضيناه من جهة وانتفعنا بالمال من جهة أخرى فوافق الأمير على ذكل وخاطب القسيس يوحنا بقوله نحن نوافقك على طلبك ولا نخالفك أبدا فقال له القس يوحنا أريد أن تعاهدنى أمام أيقونة السيدة العذراء بأنك لا تخرج عما تقرر بيننا فتعاهدوا على ذلك وخرج الأمير وجليسه من الكنيسة وهما يستهزئان به.

ثم قال القس يوحنا لأصحابه امضوا واغلقوا باب الكنيسة ولا تفتقدونى إلا بعد ثلاثة أيام ففعلوا كما قال لهم وأغلقوا عليه أبواب الكنيسة ومضوا فما كان منه إلا أنه تقوى بالروح القدس وانتصب للصلاة أمام أيقونة السيدة العذراء وقدم الطلبة إلى الله تعالى ببكاء مر متشفعا بوالدته الطاهرة قائلا: يا سيدتى يا حنونة يا بتول يا مرتمريم. هذا وقت شفاعتك وإظهار عجائبك لا تتخلى عن كنيستك المقدسة لئلا يضحك الأعداء ويهزأوا بنا أسألك أن تسألى ابنك الحبيب ربنا يسوع المسيح أن يتحنن على مسكنتنا نحن المؤمنين باسمه ويظهر قوته فى ابقاء هذه الكنيسة سالمة بشفاعتك أيتها الخدر الملوكى ولم يزل القس يوحنا مواظبا على الصلاة والطلبة واقفا على قدميه صائما لم يذق شيئا إلى كمال الثلاثة أيام فنظر الرب إلى قوة إيمانه ولم يخيب طلبه. وفى الليلة الثالثة قبل أن يشرق النور وهو منتصب للصلاة أمام أيقونة السيدة العذراء كلمته الطاهرة من

الأيقونة وقالت له أبشر أيها القديس فقد وردت مكاتبة الخليفة إلى الأمير بابقاء هذه الكنيسة وبقية الكنائس فتقو بالرب ولا تخف. ففرح القس فرحا عظيما وسجد للرب شاكرا وتقدم إلى الأيقونة وشكر السيدة العذراء.

وأما الأمير فإنه كان فى تلك الليلة نائما فى خيمته فانتبه قرب الصباح وجلس وأمر بإيقاد شمعة ولم يشعر إلا وطائر أبيض قد رمى بطاقة فى حجره وغاب لوقته والخيمة مقفولة فتحير كثيرا وأخذ البطاقة وفتحها وتأملها فإذا هى بخط الخليفة المأمون مؤرخة فى تلك الساعة عينها وفيها مكتوب هكذا:-

«نعلم الأمير الأجل أن ساعة وصول هده البطاقة إليك تبادر بالحضور إلينا بسرعة بدون تأخير والحذر ثم الحذر من أن تتعرض للكنيسة التى بمدينة اتريب ولا لبقية الكنائس التى سبق أن أمرناك بهدمها».

فتعجب الأمير غاية العجب واستدعى جليسه وأطلعه على البطاقة وعرفه بما قد رآه من الطائر الأبيض فاستغرب الأمر جدا وأمر الأمير أن يأتوا إليه بالقس يوحنا فلما حضر بين يديه استقبله بفرح عظيم وأجلسه بجانبه وقال له عرفنى أين كنت من حين أن فارقناك فقال له القس كنت فى الكنيسة أطلب إلى الله أن يتحنن علينا بابقاء هذه الكنيسة وفى هذا الوقت كلمتنى السيدة العذراء من أيقونتها وقالت لى بأنه قد وصل خطاب من مولاى الأمير الخليفة بابقاء هذه الكنيسة فشكرت الله تعالى على ذلك. فقال له الأمير نعم وصل لى فى هذا الوقت طير حمام أبيض ولم أعلم من أى جهه أتى

ولا من أى جهة خرج ومن الآن أيها القس قد عرفت وتحققت أن شفاعة السيدة الحنون العذراء مرتمريم مقبولة لأن الخليفة قد أمرني أن أمضى إليه ولا أتعرض لهذه الكنيسة ولا بقية الكنائس أيضا. والآن قم بنا لنمضى إلى الكنيسة كى أطلب من السيدة الطاهرة مرتمريم العذراء أن تكون لى عونا فى طريقى. وقام لوقته مع القس يوحنا ودخل الكنيسة وتشفع إلى السيدة كى تحرسه سالما حتى يصل مدينته وتعينه كل أيام حياته ودفع إلى القس المال المأخوذ منه وزاده مئة دينار من ماله الخاص اكراما للسيدة العذراء وأخيرا ودعه ومضى قاصدا العودة إلى مدينة بغداد، فأمر جنده وحاشيته بالاستعداد للرحيل والدهشة تملأه من حصول هذه الأعجوبة العظيمة وهو يسبح الله القادر على كل شىء ثم قام يصحبه جنوده وما زالوا سائرين حتى وصلوا بغداد سالمين وبعد أن استراحوا قام الأمير وسلم على الخليفة ففرح بقدومه معافى وخاطبه قائلا هل وصلت إليك بطاقتنا قال نعم فأجابه صحبة من؟ قال مع طائر أبيض فى تاريخ تحريرها تماما الأمر الذى أدهشنى غير أنى يا مولاى أود أن تقصنى حقيقة الحال فابتدأ الخليفة يقول له إننى قبل أن أكتب لك تلك البطاقة بثلاثة أيام حالما كنت مضطجعا فى منتصف الليلة المذكورة رأيت نورا عظيما يفوق الشمس والقمر أضعافا حيث أضاء غرفتى وسمعت صوت تسبيح وتهليل فاندهشت وقلت ما هذا؟ فتخيل لى شبه شخص من نور وقال لى ألا تعلم أن سبب ذلك كله هو مجىء السيدة مريم العذراء والدة الإله فقم واسجد لها واطلب معونتها فقمت مذعورا وسجدت فجاءنى الصوت من قبلها وهو يقول من أذن لك أن تعتدى على كنيستى التى فى مدينة أتريب وبقية البيع الكائنة

بالديار المصرية وتأمر بهدمها فأجبت إنى أجهل ما أفعل فأجابنى الصوت قائلا قم واكتب كتابا إلى الأمير فى مصر أن يبقى كنيستى التى فى مدينة أتريب وبقية كنائس المسيحيين وإلا ينالك شديد الضرر من قبلى فوعدت باتمام ذلك ولما كان صباح ذلك اليوم أهلمت الأمر ولم أفكر فيه حتى المساء فلما اضطجعت حسب عادتى ظهرت لى فى منتصف الليل السيدة العذراء وشددت على الانذار فوعدتها ولكنى توانيت لمشغوليتى فى مهام أخرى ولم أكتب شيئا حتى المساء ثم رأيت تلك الرؤيا بعينها فقمت مذعورا لأن العذراء كلمتنى بشدة قائلة قم اكتب كتابا إلى الأمير بعودته حالا. فأجبتها وإذا كتبت فمن الذى يوصله والمسافة بعيدة جدا فقالت اكتب أنت وأنا عندى من يمضى به إليه وللوقت كتبت تلك البطاقة التى رأيتها وبعد ختمها رأيت طائرا أبيض اختطفها منى. وتحققت قوة السيدة العذراء أيها الأمير وإنى أسأل الله بشفاعتها وبركاتها أن تساعدنى فى بناء كنيسة لها بجانب قصرى ليصلى فيها النصارى دفعتين فى السنة أيام أعيادها. وقد تم ما طلبه الخليفة من بناء البيعة وظهرت فيها عجائب وآيات كثيرة.

لقد سمعتم أيها الأحباء خبر هذه الأعجوبة العظيمة فينبغى لنا أن نتخذ السيدة العذراء شفيعة لنا ونطوبها ونكرمها لكى تسأل ابنها الحبيب من أجلنا ليرحمنا ويغفر لنا خطايانا ويعطينا الغلبة على الشيطان وجنوده لنستحق الملكوت الأبدى مع قديسه الابرار وملائكته الأطهار وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

فهرس الكتاب

صفحة


مكتبة المحبة
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت: ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٧٧٧٤٤٨